



مجلة العلوم الإجتماعية

Journal of Social Science

دورية دولية علمية محكمة تصدر عن المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الإستراتجية والسياسية والإقتصادية ألمانيا - برلين

العدد 12 جانفي 2020



V.R33616
ISSN 2568-6739



المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتحية والسياسية والاقتصادية
برلين-ألمانيا
ISSN 2568-6739 V.R33616

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتجية والسياسية والاقتصادية

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

الإيداع القانوني V.R33616

ISSN 2568-6739

جانفي 2020

الــعــدد الثاني عشر (12)

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

تصدر من ألمانيا- برلين- عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتجية والسياسية والاقتصادية

الهيئة العلمية والاستشارية.

شروط النشر:

مجلة العلوم الاجتماعية مجلة دولية علمية محكمة تعنى بنشر الدراسات والبحوث في ميدان العلوم الاجتماعية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية على أن يلتزم أصحابها بالقواعد التالية:

- أن تكون المادة المرسلة للنشر أصيلة ولم ترسل للنشر في أي جهة أخرى ويقدم الباحث إقرارا بذلك.

-أن يكون المقال في حدود 20 صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والجداول والأشكال والصور.

- أن يتبع المؤلف الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث وخاصة فيما يتعلق بإثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس وإحترام الأمانة العلمية في تهميش المراجع والمصادر.

-تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال باللغة العربية وترجمة لعنوان المقال باللغة الإنجليزية، كما تتضمن اسم الباحث ورتبته العلمية، والمؤسسة التابع لها، الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني وملخصين، في حدود مائتي كلمة للملخصين مجتمعين،(حيث لا يزيد عدد أسطر الملخص الواحد عن 10 أسطر بخط simplified Arabic 12 للملخص العربي و Times New Roman 12 للملخص باللغة الانجليزية)، أحدهما بلغة المقال والثاني باللغة الانجليزية على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية.

-تكتب المادة العلمية العربية بخط نوع simplified Arabic مقاسه 12 بمسافة 1.00 بين الأسطر، بالنسبة للعناوين تكون Gras، أما عنوان المقال يكون مقاسه 14.

- هوامش الصفحة أعلى 2 وأسفل 2 وأيمن 2 وأيسر 3 ، رأس الورقة 1.5، أسفل الورقة 1.25 حجم الورقة مخصص(16 23.5X).

-يجب أن يكون المقال خاليا من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.

-بالنسبة للدراسات الميدانية ينبغي احترام المنهجية المعروفة كاستعراض المشكلة، والإجراءات المنهجية للدراسة، وما يتعلق بالمنهج والعينة وأدوات الدراسة والأساليب الإحصائية وعرض النتائج ومناقشتها.

-تتبنى المجلة نظام توثيق الرابطة الأمريكية لعلم النفس.(APA)، ويشار إلى المراجع داخل المتن بذكر الاسم الكامل للمؤلف ثم سنة النشر والصفحة بين قوسين، أو ذكر الإسم الكامل للمؤلف، السنة بين قوسين.

- يشار إلى ذكر قائمة المراجع في نهاية البحث وترتيبها هجائيا وفق نظام الرابطة الأمريكية لعلم النفس، المؤلف(السنة) ، عنوان الكتاب؟، ط(الطبعة إن وجدت)، دار النشر، مكان النشر، البلد، أما المقال: للمؤلف(السنة)، عنوان المقال، المجلة، م(المجلد)، ع(العدد)، مصدر المجلة(الجامعة أو المخبر مثلا)، مكان النشر، البلد.

- المقالات المرسلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.

- المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا على رأي أصحابها.

- يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.

- يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:

sciences@democraticac.de

كلمة العدد

يأتي العدد الثاني عشر لمجلة العلوم الاجتماعية في إطار تدعيم النشر أين يتضمن مجموعة من الأجزاء ضمن هذا العدد والتي تأتي جميعها في إطار النشر العلمي الذي تبادر به المجلة في كل مرة وتحرص عليه من خلال الوعي بأهمية النشر العلمي كنتاج للثرة المعرفية.

لقد أضحت المجلة قبلة للكثير من الباحثين عبر العالم أين بينت المجلة رقيها بالنشر العلمي في ظل خطوات ثابتة نحو التقدم وهو الهدف المنشود الذي تم وضعه للمجلة منذ سنة إنشاؤها في إطار تشجيع البحث العلمي من خلال نافذة النشر العلمي بالإهتمام بنشر كل البحوث المميزة التي يمكنها أن تقدم إضافة علمية في مجال المعرفة الإنسانية وهو ما نقف عليه في حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية مجال إهتمام المجلة البحثي.

إننا نقف في هذا المقام وقفة إحترام وشكر لكل المساهمين في النشر خلال أجزاء هذا العدد والتي تأتي جميعها في إطار ترسيخ ثقافة علمية لتشجيع نشر المؤتمرات والملتقيات الدولية التي تعقد عبر دول العالم.

الدكتور بحري صابر

رئيس التحرير

مجلة العلوم الاجتماعية

المركز الديمقراطي العربي، العدد 12 ج 3، 2020

فهرس المحتويات

اسس الدولة المدنية (وثيقة المدينة أنموذجاً)

د. عبدالله حنفش حمد، جامعة الانبار، كلية العلوم الاسلامية، قسم العقيدة والدعوة والفكر الاسلامي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى اله الطاهرين وأصحابه أجمعين وبعد :

لقد نجح النبي (صلى الله عليه واله وسلم) من خلال وثيقة المدينة ان يقيم دولة الاسلام على الاسس الدستورية والادارية حيث ارسى مبادئ حقوق الانسان ومنح كل افراد المجتمع كافة الحقوق والحريات والتي كان من اهمها احترام عقيد الاخرين وعدم الاكراه في الدين خاصة اذا ما علمنا ان المجتمع في يثرب كان يتكون من طوائف مختلفة حيث كان المسلمون من المهاجرين من اهل مكة اضافة إلى الانصار من قبيلتي الاوس والخزرج واليهود بقبائلهم الثلاثة المعروفة والمشركين من اهل يثرب الذين لم يدخلوا في الاسلام لقد اجتمع كل هؤلاء مكونين قطاعا اجتماعيا على ارض المدينة التى رسم حدودها النبي صلى الله عليه واله وسلم في هذه الوثيقة .

ان قيام هذا الكيان الاجتماعي الذي تكون من اناس ينحدرون من اديان وقوميات واماكن جغرافية مختلفة على تلك الارض في ذلك الوقت يعد مثالا عمليا واضحاً للتعايش السلمي التسامح المجتمعي تجسدت فيه الوحدة الوطنية التى كان اساسها الحوار مع الاخرين والتعايش السلمي دون التنازل أو التفريط بالثوابت ولهذا اثرت ان اكتب عن وثيقة المدينة مبيناً من خلالها دور الدولة المدنية في ارساء السلم المجتمعي فكان هذا البحث الذي احتوى على مبحثين .

المبحث الاول :الدولة المدنية واسسها

المطلب الاول : تعريف الدولة لغة واصطلاحا

المطلب الثاني :اسس الدولة المدنية

المبحث الثاني : وثيقة المدينة نموذجا

المطلب الاول : كتابة الوثيقة وبنودها

المطلب الثاني: اهم الاسس الدستورية في الوثيقة

ثم الخاتمة والنتائج

المطلب الاول : تعريف الدولة لغة واصطلاحا

١- الدولة لغةً

الدولة في اللغة بتشديد الدال مع فتحها أو ضمها ،العاقبة في المال والحرب .

جاء في لسان العرب :(الدَّولة والدُّولة :الحّقْبة في المال والحَرْب سواء وقيل الدُّولة بالضم في المال الدَولة بالفتح في الحربِ) [١]

والدُّولة بالضم بمعنى السنن التي تغيَّر وتُبدل – والدُّولة الفعِل الانتقال من حال إلى حال وتجمع على دُوَل بضم الدال وفتح الواو. [٢]

والإ دالةُ : الغلبة ، يقال أُدبل لَنَا على أعدائنا :

أي نُصرنا عليهم .[٣]

ومن هذا المعنى جاء مصطلح الدولة نتيجة لغلبتها ، والا لما كانت دولة .

وورد لفظ الدولة في القران الكريم في قولة تعال (كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم). [٤]

٢- التعريف الاصطلاحي

للدولة عدة تعريفات وُضِعت من قبل العديد من المؤسسات.

١ لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين بن منظور (ت:٧١١هـ) دار صادر – بيروت ط الثانية ١٤١٤هـ ١١/٢٥٢.

٢ المصدر نفسه :١١/٢٥٢.

٣ المصدر نفسه :١١/٢٥٢.

٤ سورة الحشر اية :٧.

فقد عرَّفت موسوعة لاروس- larousse الفرنسية الدولة بانها :(مجموعة من الافراد الذين يعيشون على الارض محددة ويخضعون لسلطة معينة).[١]

وعرفت الدولة حسب اتفاقية (مونتيفيديو Montevideo) بشأن حقوق وواجبات الدولة في عام ١٩٣٣م. بأنها مساحة من الارض تمتلك سكان دائمون ، واقليم محدد وحكومة قادرة على المحافظة والسيطرة الفعالة على اراضيها ، واجراء العلاقات مع الدولة الاخرى . [٢] وعرفت بانها: شعب مستقر على اقليم معين ، وخاضع لسلطة سياسية معينة ، وهذا التعريف يتفق عليه اكثر الفقهاء لأنه يحتوي العناصر الرئيسية التي لابد لقيام أي دولة منها وهي الشعب ، والاقليم والسلطة وان اختلفوا في صياغة التعريف. [٣]

كما عرّفت: الدولة عبارة عن ذلك الشخص المعنوي الذي يمثل (أمة تغطي أرض معينة) والذي بيده السلطة العامة، او كما يسمونها السيادة[٤].

وعرّفت الدولة الإسلامية: بأنها عبارة عن جماعة المسلمين وأهل ذمتهم الذين يقيمون على أرض تخضع لسلطة إسلامية تدبر شؤونهم في الداخل والخارج وفق شريعة الإسلام. [٥]

٣- الدولة المدنية

تعرف الدولة المدنية على انها الدولة التي تحمي جميع اعضاء المجتمع وتحافظ عليهم بغض النظر على اختلاف انتماءاتهم الدينية والقومية والفكرية ، كما تعني اتحاد وتعاون الافراد الذين يعيشون داخل مجتمع يسير وفقاً لنظام معين من القوانين ويقتضي ذلك وجود قضاء عادل يطبق تلك القوانين إذ إن من الشروط الأساسية لقيام هذه الدولة هو إلا يتعرض أي فرد أو شخص فيها لانتهاك أي من حقوقه من قبل طرف اخر أو فرد اخر فهناك سلطة عليا في الدولة تعرف بسلطة الدولة ، والتي يلجأ عادة اليها الافراد حينما تهدد حقوقهم بالانتهاك.

---

١ الموسوعة السياسية

https: llpolitical- encyclopedia- orgl dictionary.

٢ المصدر السابق.

٣ القانون الدستوري والنظم السياسية ، د.سعد عصفور.

٤ القانون الدستوري، عبد الحميد متولي، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٧٥، ص٢٨.

٥ اختلاف الدارين، د. إسماعيل لطفي قطاني، دار السلام، ط١، ١٤١٠هـ، ص٢٠

ومن اهم اسس ومبادئ الدولة المدنية:

المواطنة والتي تعني ان افراد المجتمع مواطنون أي اعضاء داخل المجتمع لهم حقوق ، كما عليهم واجبات ، وان العلاقات بينهم قائمة على قبول الاخر ، والتسامح والسلام اضافة إلى المساواة في الواجبات والحقوق. فالدولة المدنية هي دولة تحافظ وتحمي كل اعضاء المجتمع بغض النظر عن انتماءاتهم القومية أو الدينية أو الفكرية.[١]

وعرّفت بأنها (دولة المواطنة وسيادة القانون التي تعطى في الحقوق والواجبات على أساس المواطنة، فلا يكون فيها التمييز بين المواطنين بسبب الدين أو اللغة أو اللون أو العرق، وهي كذلك تضمن كفالة حقوق الإنسان وحرياته الأساسية). [٢]

المطلب الثاني: اسس الدولة

ان اهم مكونات الدولة هي الشعب (المواطنون) والاقليم (الارض) ،السلطة(الحكومة) فهذه ثلاث اسس أو اركان لابد منها لقيام أي دولة .[٣]

١- الشعب : لا يتصور وجود دولة دون مجموعة من البشر ، ولابد من ان ينشأ لدى هذه المجموعة ،احساس بضرورة اشباع حاجات شتى ، ويتكون شعب أي دولة من مواطنين يتمتعون بجنسية الدولة وتربطهم رابطة الولاء ، واجانب موجودون على اقليم الدولة لا تربطهم بها سواء رابطة التوطن أو الاقامة حسب الاحوال. [٤]

٢- الاقليم : اذا وجد الشعب فلابد من الاستقرار على اقليم ما ، يكون مستقرا للشعب ومصدراً رئيسيا لثروة الدولة واقليم الدولة هو ذلك الجزء من الكرة الارضية الذي تباشر الدولة عليها سلطانها ولا يمارس عليه سلطان غير سلطانها .[٥]

---

١ مقال على شبكة الانترنت بعنوان تعريف الدولة المدنية، http://mawdoo.com

٢ الدولة المدنية بين الإسلام والعلمانية، عبد العزيز هاشم مصطفى، موقع علماء اليمن، http://alamaa_yamen.net

٣ لا يكفي ان تتمتع وحدة سياسية ما . بالمقومات اللازمة لقيام الدول (الشعب ،الارض، السلطة)؛ لكي تصبح بمقدورها ان تمارس نشاطها بصورة طبيعية دون مقومات ، وخاصة على الساحة الدولية ،فاعتراف المجتمع الدولي بالدولة الوليدة يعتبر امرا ضروريا لتمكينها من القيام بوظائفها في سهولة ويسر الاعتراف هو عملية يتم بموجبها اخفاء الشخصية القانونية على الدولة والاعتراف بحقها في الانضمام إلى المجتمع الدولي كدولة جديدة لها ما للدول الاخرى من حقوق عليها ما على هذه الدولة من واجبات .

٤ الاسلام والدستور ،توفيق عبد العزيز السديري الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ.

٥ المصدر السابق.

ويقسم الاقليم إلى ثلاث اجزاء.[١]

اولا : الارض : يشمل مساحة الارض ذات الحدود الواضحة سواء اكانت طبيعية ام مصطنعة كما يشمل الاقليم طبقات الارض وما في باطنها من خيرات وثروات.

ثانيا المائي: يتكون من الانهار والبحيرات التي توجد داخل حدود الدولة اضافة إلى اجزاء من البحار والمحيطات المتلاصقة لحدود الدولة وهو ما يطلق عليه المياه الاقليمية وقد اختلفت في تجديد المياه الاقليمية للدولة ما بين ٣ اميال إلى ١٢ ميلا أو اكثر.

ثالثا : الجوي: هو الفضاء الذي يعلو مساحة الاقليم الارض والمائي دون تحديد ارتفاعه ، ونتيجة لزيادة استخدام الطائرات عقدت الدولة اتفاقيات في ما بينها لتنظيم حركة مرور الطائرات في الاقليم التابع للدولة .

٣- السلطة : لا يكفي لقيام الدولة وجود شعب معني على اقليم معين ، فلا بد من قيام حكومة تباشر السلطات باسم الدولة ، بحيث تصبح قادرة على الزام الافراد باحترام قوانينها وتحافظ على وجودها وتمارس وظائفها لتحقيق اهدافها [٢].

المبحث الثاني: وثيقة المدينة نموذجاً

المطلب الاول : كتابة الوثيقة وبنودها

ان أي مجتمع لابد له من سلطة تنظيم امره وتدبر شؤونه (لان الاجتماع الانساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم ،الانسان مدني بالطبع أي لابد له من الاجتماع)[٣].

واذا اجتمعوا فلابد لهم من سلطة (فستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم) [٤].

وهكذا كان الامر بالنسبة للجماعة المسلمة اذ قام النبي صلى الله عليه وسلم دولته في المدينة المنورة وهي الدولة الاسلامية وليس ثمة شك في ان النبي الكريم اقام دولة مدنية وباشر فيها

---

١ ينظر ويكيبيديا ،الموسوعة الحرة .https://ar-wikipedia.org/wiki/

٢ ينظر؛ المصدر السابق.

٣ تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبريد، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ت(٨٠٨هـ) ،دار الفكر بيروت ط ٢ ١٤٠٨-١٩٨٨-٥٤/١.

٤ المصدر نفسه،٢٣٥/١.

اختصاصات لا يباشرها اليوم إلا الرئيس الاعلى للدولة ومن ذلك : اعلان الحرب، عقد الصلح وابرام المعاهدات ، ورئاسة الجهاز التنفيذي والقضائي وباختصار فما من مسألة تخص السياسة الخارجية والشؤون الداخلية إلا و الكلمة الاخيرة – بعد المشاورة فيما لا وحي فيه – تكون له عليه الصلاة والسلام فالدارس لنظام الدولة الاسلامية في عهد مبكر يجد تلك الوثيقة المهمة التي اصدرها النبي الكريم بصفته حاكما لدولة المدنية والتي تضمنت جملة من المبادئ الدستورية المهمة المتعلقة بنظام الحكم . [١]

بعد ان هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قام بتنظيم العلاقات بين سكان المدينة التي تضم المسلمين من المهاجرين والانصار اضافة إلى المشتركين من اهلها والقبائل اليهودية الثلاث بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة وكان هدفه من ذلك توفير الامن والسلام للجميع .
وكتب في ذلك كتاباً اوردته المصادر التاريخية واستهدف هذا الكتاب أو الصحيفة توضيح التزامات جميع الاطراف داخل المدينة ، وتحديد الحقوق والواجبات ، وقد سميت في المصادر القديمة بالكتاب أو الصحيفة ، واطلقت عليها الابحاث لحديثة لفظ الدستور والوثيقة .

واقدم من اورد نص الوثيقة كاملاً هو محمد بن اسحاق [٢] (ت١٥٠هـ) في كتابة السيرة النبوية [٣]. ونقلها عنه ابن كثير في كتابه البداية والنهاية [٤]وابن سيد الناس في عيون الاثر [٥]ووردت في كتاب الاموال [٦] لابن عبيد القاسم بن سلام وبعض نصوص الوثيقة وردت في كتب الحديث بأسانيد متصلة بعضها اوردها البخاري ومسلم ، فهذه النصوص من الحديث الصحيح وقد احتج بها

---

١ النظم الاسلامية ،د. منير حميد البياتي ،د. فاضل شاكر النعيمي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد كلية الشريعة ط الاولى ١٩٨٧م،ص٢٠٨.

٢ هو محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار ابو عبد الله المدني ولد سنة ٨٥هـ في المدينة المنورة وقضى فيها معظم شبابه وتنقل بين كثير من الامطار الاسلامية كالكوفة والري وبغداد ورأى انس ابن مالك وسعيد بن المسيب وسمع القاسم بن محمد بن ابن بكر الصديق ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وغيرهم كثير توفي محمد بن اسحاق ببغداد سنة (١٥١هـ) ودفن بمقبرة الخيزران بالجانب الشرقي . انظر ترجمة تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢٣١/٧ . وفيات الاعيان : لابن خلكان :٢٧٧/٤.

٣ اصل الكتاب (المغازي) ونهج ابن اسحاق بتقسيمة إلى ثلاث اجزاء المبتدأ وبه عالج التاريخ الرسلات قبل الاسلام – والمبعث وبه درس حياة النبي صلى الله عليه وسلم ونشأته في مكة والمغازي وضمنه الحديث عن غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وحياته في المدينة . وسيرة النبوية لابن اسحاق هي من اقدم واهم المصادر التي وصلتنا عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وما من مؤلف جاء بعده إلا كان عيالاً عليه ، وقام ابن هشام ابو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت٢١٨) بتهذيب هذا الكتاب فحذف منها كثير من الاسرائيليات والاشعار المختلقة واضاف اليها معلومات في اللغة الانساب فنالت بعد التهذيب رضا جمهور العلماء حتى اشتهرت بالسيرة النبوية لابن هشام .

٤ البداية والنهاية ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ) ، دار الفكر ،٢٢٤/٣.

٥ عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، محمد بن محمد بن سيد الناس (ت٧٣٤هـ) دار القلم بيروت ط الاولى ٢٢٨/١.

٦ كتاب الاموال ، ابو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) دار الفكر بيروت ،٢٦٠/١٢.

الفقهاء وبنو عليها احكامهم كما ان بعضهما ورد في مسند الامام احمد وسنن ابي داود ، وابن ماجة ، والترمذي وهذه النصوص جاءت من طرق مستقلة عن الطرق التي وردت منها الوثيقة [١].
والارجح ان هذه الوثيقة كتبت ووقع عليها في العام الهجري الأول (٦٦٢م) وقام (ولهاوسن) المستشرق الالماني بتجزئة النص الاصلي الذي اورده ابن هشام إلى (٤٧) فقرة ثم قام حميد الله بتجزئة بعض الفقرات فلبغ الرقم (٥٢) فقرة [٢]

بنود الوثيقة

١- هذا الكتاب من محمدٍ النبيِّ (رسولِ اللهِ) بين المؤمنين والمسلمين من قريشٍ (واهلِ) يثرب ومن تبعهم فلحق بيهم وجاهد معهم .
٢- انهم امة واحدة من دون الناس .
٣- المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
٤- وبنو عوفٍ على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
٥- وبنو الحارث (بن الخزرج) على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
٦- وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
٧- وبنو جُشَمّ على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .
٨- وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

---

١ سيرة النبوية الصحيحة ،د. اكرم ضياء العمري ٢٧٢.

٢ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة محمد حميد الله الحيدر ابادي الهندي (ت١٤٢٤هـ)، ٦١/١-٩٥.

٩- وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وتفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٠- وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١١- وبنو الاوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

١٢- وان المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم ان يعطوه بالمعروف من فداء أو عقل وان لا يحالف مؤمنٍ دونه .

١٣-وان المؤمنين المتقين (ايديهم) على (كلِّ) من بغى أو ابتغى دسيعة ظلم أو اثما أو عدوانا أو فساداً بين المؤمنين ، وان ايديهم عليه جميعا ، ولو كان ولد احدهم.

١٤-ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافرٍ، ولا ينصر كافراً على مؤمن.

١٥-وان ذمة الله واحدة يجير عليهم ادناهم ، وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

١٦-وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصرٍ عليهم.

١٧-وان سلمَ المؤمنين واحدة ، لا يُسلمُ مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .

١٨-وان كل غازيةٍ غزت معنا يُعقبُ بعضُها بعضاً.

١٩-وان المؤمنين يبئ بعضُهم على بعضٍ بما نال دماءهم في سبيل الله .

٢٠-وان المؤمن المتقين على احسن هدى واقومهِ.

٢١ -وانه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به ، إلا ان يرضى وليُّ المقتول (بالعقل) وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

٢٢-وانه لا يحل لمؤمن اقرَّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الاخر ان ينصر محدثا أو يؤويه ، وان من نصره ، أو آواه ، فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

٢٣-وانه مهما اختلفتم فيه من شيءٍ، فان مردهُ إلى الله والى محمد.

٢٤ -وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

٢٥-وان يهودّ بني عوف امة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وانفسهم إلا من ظلم نفسه واثِمَ ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه واهل بيته .

٢٦-وان ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .

٢٧-وان ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف .

٢٨-وان ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .

٢٩-وان ليهود بني جُشَمَ مثل ما ليهود بني عوف .

٣٠-وان ليهود بني الاوس مثل ما ليهود بني عوف .

٣١-وان ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلا من ظلم واثم ، فأنه لا يوتغ إلا نفسه واهل بيته.

٣٢-وان جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .

٣٣-وان لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف ، وان البرَّ دون الاثْم.

٣٤-وان موالي ثعلبة كأنفسهم.

٣٥-وان بطانَةَ يهود كأنفسهم .

٣٦-وانه لا يخرج منهم احد إلا بأذنِ محمدٍ وانه لا ينحجزُ على ثار جرح.

٣٧-وان على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب اهل هذه الصحيفة . وان بينهم النصحَ والنصيحة والبرُّ دون الاثم .

٣٨-وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٣٩-وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

٤٠-وان الجار كالنفس غير مضارٍّ ولا آثم.

٤١-وانه لا تجارُ حرمة إلا بان اهلها.

٤٢-وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدثٍ، أو اشتجارٍ يخافُ فسادُهُ ، فان مرده إلى الله والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الله على اتقى ما في هذه الصحيفة وابرّهِ.

٤٣-وانه لا تجار قريش ولا من نصَرَها.

٤٤-وان بينهم النصر على من دهم يثرب .

٤٥-واذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ، وانهم إذا دعوا إلى مثل ذلك ، فان لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين.

٤٦-وان اليهود الاوس مواليهم وانفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البرِّ المحض من اهل الصحيفة ، وان البرُّ دون الاثم لا يكسبُ كاسب إلا على نفسه ، وان الله على اصدق ما في هذه الصحيفة وابرِهِ.

٤٧- وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم او آثم ، وان الله جار لمن برَ واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

توضيحات لغوية

١- الرَبْعةِ: الحال التي جاء في الاسلام وهم عليها.

٢- العاني: الاسير.

٣- المعاقل: الدّيات الواحدة : معقلة .

٤- ويروى : مفرحاً، وهو معنى المفرح بالحاء المهملة (أي الذي اثقله الدين). (بند١٢).

٥- دسيعة : العظيمة ، وهي في الاصل ما يخرج من حلق البعير اذا رغا . هنا: دسيعة ظلم : أي طلب عطية دون حق.

٦- اعتبطه : أي اقتله بلا جناية منه توجب قتله.

٧- يوتغ : يهلك (بند٢٤).

٨- بطانة الرجل : خاصته واهل بيته.

٩- وعلى ابر هذا : أي على رضا به .(بند ٤٢).

١٠- أي ان الله وحزبه المؤمنين على الرضا به .(بند٤٢)

المطلب الثاني: الاسس الدستورية في الوثيقة

١- الاعلان عن قيام الدولة الاسلامية وان شعبها يتكون من مهاجري مكة وانصار المدينة ، مضافاً اليهم كل من ابدى استعداده للتبعية لهذه الوحدة وخضع لقيادتها من الاقليات الاخرى القاطنة في المدينة كما ورد ذلك في البند (٢،١) من الوثيقة .

قال ابن اسحاق (وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار ، وادع فيه يهود عاهدهم واقرهم على دينهم واموالهم هذا كتاب من محمد صلى الله عليه وسلم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم وجاهد معهم ، انهم امة واحدة من دون الناس)[١].

٢- رسمت الوثيقة الحدود الادارية والارض التي ستقوم عليها هذه الدولة حيث جعلت المدينة حرماً امناً بالنسبة لجميع القاطنين على اقليمها كما ورد في البند (٣٩).

(وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة)[٢].

لقد اعتبر المدينة حرماً بموجب هذا البند والحرم هو ما لا يحل انتهاكه ، فلا يقتل صيده ولا يقطع شجره وحرم المدينة بين الحرة الشرقية والحرة الغربية وبين جبل (ثور) في الشمال وجبل (عسير) في الجنوب ويدخل وادي التحقيق في الحرم وبذلك احلت هذه المادة الامن داخل المدينة ومنعت الحروب الداخلية [٣].

٣- حددت الوثيقة السلطة العليا للدولة

حيث جعلت السلطة العليا في الدولة بيد النبي صلى الله عليه وسلم وجعلته حكماً بين افرادها كما ورد ذلك في البند (٤٢،٢٣).

---

١ السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام الحميري (ت٢١٣هـ) تحقيق مصفى السقا ، مطبعة مصطفى الحلبي مصر ط٢ ، ١٣٧٥هـ ، ٥٠٣/١.

٢ المصدر نفسه

٣ السيرة النبوية : الصحيحة ٢٩٢/١.

(وانه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدثٍ او اشتجارٍ يخاف فسادُهُ ، فانه مرده إلى الله والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على اتقى ما في هذه الصحيفة وابره) [١]

لقد ركزت السلطة القضائية يد الرسول صلى الله عليه وسلم فهو يحكم في الخلافات التي تهدد الامن وتسبب لاضطراب سواء كان ذلك بين المسلمين فقط كما في البند (٢٣) أو مع اليهود كما في البند المذكور فقد اوجد في هذه المادة سلطة مركزية يرجع اليها الجميع وهي مسألة بالغة الاهمية لما لها تأثير في خلق الاستقرار والنظام وان هذه السلطة من الله فهي موصوفة بصفة قُدسية ، كما ان لها قوة تنفيذية لان اوامر الله تعالى واجبة الطاعة ولازمة التنفيذ كما ان وامر الرسول من الله وطاعتها واجبة .

وليس ثمة شك في ان النبي صلى الله عليه وسلم باشر فيها اختصاصات لا يباشرها اليوم الرئيس إلا على للدولة .

٤- حددت الوثيقة اساس المواطنة في الدولة الناشئة .

حيث حددت نوعية العلاقات الرابطة بين افراد المجتمع الاسلامي ، حيث نصت على اعتبار اليهود المقيمين في المدينة من رعايا الدولة الاسلامية على اساس المواطنة ، لهم حقوق وعليهم واجبات. وتضمنت وثيقة موادعة اليهود البنود من (٢٤) إلى (٤٧) على التوالي وقد مر معنا انفاً ان النبي (صلى الله عليه وسلم) كتب كتابا بين المهاجرين والانصار ، وادع فيه اليهود وعاهدهم، واقرهم على دينهم واموالهم واشترط لهم واشترط عليهم .

جاء في السند (٢٥) وما بعده (وان يهود بني عوف امة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وانفسهم ، إلا من ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه ، وان ليهود بني النجار مثل ما يهود بني عوف ، وان ليهود بني الحارث مثل اليهود بني عوف ، وان ليهود بني ساعدة مثل اليهود بني عوف .....)[٢]. ويتضح بتشكل جلي من هذا النص ادا اليهود امة مع المسلمين فهم امنون كذلك على دينهم واموالهم واغراضهم وضمنت لهم حرية العقيدة وكلفت لهم حريتهم الدينية

١ السيرة النبوية : لابن هشام ،٥٠٤/١.

٢ السيرة النبوية : لابن هشام ٥٠٣/١.

ويشكل هذا البند القاعدة الاساسية في المواطنة التي تعني ان افراد المجتمع مواطنون ينتمون لهذه الدولة التي كلفت لهم الحرية والمساواة في الحقوق والواجبات بغض النظر عن انتماءاتهم القومية أو الدينية. كما نصت الوثيقة على مواد في التكافل الاجتماعي بين افراد الدولة كما في البنود (٣) و(١٢). ونصت على اقامة العدل ، وتنظيم القضاء ، ونقله من الافراد والعشيرة إلى الدولة دون محاباة ودون السماح لاحد من مهما كان مركزه بالتدخل وتعطيل القانون كما في البند (١٣) ، وتضمنت على بعض المبادئ الجنائية المهمة فقررت مبدأ شخصية العقوبة أي ان العقوبة تنال الجاني وحدة دون عشيرته بعكس ما كان واقعا في الجاهلية كما في البند (٣٧) و(٤٦).

ومبدأ القصاص جزاء للقاتل العمد والعدوان (٢١).

اضافة إلى نصوص في الحقوق والحريات الفردية والاجتماعية والاقتصادية فقررت الامن والمسكن والتنقل كما في البند (٣٩) و(٤٧) وحق الفرد في المعونة المالية كما في البند(٣) و(١٢).

كما ابقت الوثيقة على بعض الاعراف القديمة التي كان العرب متعارفين عليها قبل الاسلام كما في البند (٣).

وهكذا يتضح ان الوثيقة قد احتوت على كل الاسس والمبادئ التي يجب توفرها لقيام الدولة المدنية. حيث اعلنت عن قيام الكيان السياسي على رقعة الارض التي حددتها وشكلت السلطة العليا وبينت نوعية العلاقة التي تربط ابناء الدولة. بلا مراء فان هذه الصحيفة هي وثيقة دستورية بالغة الاهمية بما احتوته من تنظيمات كاملة لنظام الحكم في الدولة حيث تميزت بصياغة قانونية شاملة ودقيقة لا مجال للاختلاف حول مفاهيمها وتطبيقاتها فان أي مطلع منصف على مناهج البحث في القانون الدستوري يمكن ان يعد هذه الوثيقة اهم وثيقة دستورية في التاريخ الانساني وهي البداية الحقيقة والفعلية الاولى لتدوين الدساتير[١].ان كلمة (الدستور) هي اقرب اطلاق مناسب في اصطلاح العصر الحديث على هذه الوثيقة وهي اذا كانت بمثابة اعلان دستور فانه يشمل جميع ما يمكن ان يعالجه أي دستور حديث بمعنى يوضع الخطوط الكلية والخطوط الواضحة

١ وثيقة المدينة اول دستور مكتوب في العالم ، الاستاذ عماد الدين حدوق، مقال في جريدهم التحرير الالكترونية تونس ايلول ٢٠١٧.
(www.attarir.info)

لنظام الدولة في الداخل والخارج أي فيما يتعلق بعلاقة افراد الدولة بعضهم مع بعض وفيما يتعلق بعلاقة الدولة مع الاخرين.[1]

ومن هنا تبيين بان الخطأ المعرفي الذي يقع فيه فقهاء القانون الدستوري اذا تحدثوا عن بدأ الدساتير المدونة هو تأكيدهم على ان اول الدساتير المكتوبة هو دستور (فيلادلفيا) في الولايات المتحدة الامريكية سنة ١٧٧٦م والدستور الفرنسي للثورة الذي كتب سنوات ١٧٨٩-١٧٩١م بوصفة اول دستور فرنسي مدون ، ونعتقد في هذا المستوى بان هذا الموقف هو مغالطة معرفية لأننا اذا رجعنا إلى تاريخ الدساتير. المدنية المكتوبة نجد ان اول دستور مدون هو دستور المدينة، فلا يستطيع أي باحث في القانون الدستوري ان ينفي الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد بادر بمجرد استلامه الحكم في يثرب إلى اصدار دستور مكتوب وهو (الصحيفة) ما يسمى بوثيقة المدينة وقد شكلت هذه الوثيقة وحدة قانونية متميزة عن غيرها وقائمة بذاتها تحمل نظامها القانوني الخاص المتكامل الذي يميزها عن سائر الانظمة السياسية المعاصرة له أو السابقة عنه أو اللاحقة له[2].

هذه هي الوثيقة التي وضعها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منذ قرابة اربعة عشر قرنا وهي وثيقة جديرة بالأعجاب حقاً ، وثق فيها ما بين المهاجرين والانصار من اخاء وحلف، وقرر فيها حرية العقيدة لغير المسلمين ، وحرية الرأي، وحرمة المدينة وحرمة الحياة، وحرمة المال، وبذلك سبق النبي صلى الله عليه وسلم إلى تقرير حقوق الانسان من ذلك الزمن البعيد وقرر فيها تحريم الجريمة الغدر والخديعة وهي فتح جديد في الحياة السياسية المدنية في هذا العام يومئذ.[3] لقد نجح النبي صلى الله عليه وسلم من خلال هذه الوثيقة ان يقيم دولة الاسلام على الاسس الدستورية والادارية حيث ارسى مبادئ حقوق الانسان ومنح كل افراد المجتمع كافة الحقوق والحريات والتي كان من اهمها احترام عقيدة الاخرين وعدم الاكراه في الدين خاصة اذا ما علمنا ان مجتمع يثرب

---

١ فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة د. الشهيد محمد سعيد البوطي ، دار الفكر – دمشق ط(٢٥) ١٤٢٦هـ، ١٥٣/١.

٢ وثيقة المدينة اول دستور مكتوب في العالم ، عماد الدين حدوق مصدر سابق.

٣ السيرة النبوية في ضوء القران والسنة ، محمد بن محمد بن سويلم ابو شهبة (ت١٤٠٣هـ) دار القلم ، دمشق ط (٨) ١٤٢٧هـ ، ٥٨/٢.

كان يتكون من طوائف مختلفة حيث كان المسلمون من المهاجرين من اهل مكة اضافة إلى الانصار من قبيلتين الاوس والخزرج من اهل يثرب واليهود بقائلهم الثلاثة المعروفة والمشركين من اهل يثرب الذين لم يدخلوا في الاسلام ، لقد اجتمع كل هؤلاء مكونين قطاعاً اجتماعياً على ارض المدينة التي رسم حدودها النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الوثيقة. ان قيام هكذا كيان اجتماعي مكون من اناس ينحدرون من اديان وقوميات واماكن جغرافية مختلفة على تلك الارض في ذلك الوقت بعد امراً في غاية الصعوبة وشيئاً غريباً لم تألفه العرب شبه الجزيرة العربية خاصة اذا علمنا ان حياة العرب كانت قائمة اساساً على رابطة الدم والقرابة.

ونحن نعيش اليوم فتن ومشاكل ونزاعات بين افراد المجتمع الواحد وعمليات ارهابية تتخذ من الاختلاف المذهبي والعرقي طريقاً للوصول إلى اهدافها الخبيثة من اجل هدم بنية المجتمع وتمزيق نسيجة فما احوجنا اليوم لفهم اسس ومبادئ هذه الوثيقة التي اسست مجتمعا تجسدت فيه الوحدة الوطنية كان اساسها الحوار مع الاخر والتعايش السلمي دون التنازل أو التفريط بالثوابت.

النتائج

١. تعتبر وثيقة المدينة اول وثيقة دستورية بالمفهوم الحديث ارست مبادئ حقوق الانسان ومنحت الحرية لكل ابناء المجتمع في الدولة الاسلامية الاولى وهي تعد مثالاً عملياً واضحاً طبق على ارض الواقع للعيش معاً بسلام .

٢. ان كلمة (دستور) هي اقرب اطلاق مناسب في اصطلاح العصر الحديث على هذه الوثيقة لما احتوته على تنظيمات كاملة لنظام الحكم حيث تميزت بصياغة قانونية شاملة ودقيقة لامجال للاختلاف حول مفاهيمها وتطبيقاتها عالجت كل ما يمكن ان يعالجه أي دستور حديث في الوقت الحاضر .

٣. احتوت الوثيقة على كل الاسس والمبادئ القانونية التى لابد من توفرها لقيام أي دولة من الدول (الشعب ، الاقليم ، السلطة) ودستور كفل اقامة العدل وتنظيم القضاء وضمن المساواة بين الناس فهم سواء في الحقوق والواجبات .

٤. حددت الوثيقة نوعية العلاقات الرابطة بين افراد المجتمع في الدولة الناشئة وجعلت اساس ذلك هي المواطنة فنصت على اعتبار اليهود المقيمين في المدينة من رعايا الدولة الاسلامية فهم امنون على دينهم واموالهم واعراضهم .

٥. نجح النبي (صلى الله عليه وسلم) من خلال هذه الوثيقة ان يقيم دولة الاسلام على الاسس الدستورية حيث ارسى مبادئ حقوق الانسان ومنح كل افراد المجتمع كافة الحقوق والحريات والتي كان من اهمها احترام عقيدة الاخرين وعدم الاكراه في الدين فأسس مجتمع تجسدت فيه الوحدة الوطنية التى كان اساسها الحوار مع الاخر والتعايش السلمي دون التنازل أو التفريط فأن بناء الدولة المدنية على الاسس الدستورية من اهم وسائل تحقيق الامن الفكري والسلم المجتمعي وتعد الركيزة الاساس في استقرار الامم وتطورها .

فما احوجنا لنجعل من وثيقة المدينة مثالا يحتذي به وواقعا يمكن تطبيقه ليعم الامن والامان لجميع الناس بغض النظر عن الطائفة او المذهب

واخر دعوانا ان الحمدلله رب العالمين

المصادر

١. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين بن منظور (ت:٧١١هـ) دار صادر – بيروت ط الثانية ١٤١٤هـ ١١/٢٥٢.

٢. الموسوعة السياسية

https: llpolitical– encyclopedia– orgl dictionary.

٣. القانون الدستوري والنظم السياسية ، د.سعد عصفور.

٤. الاسلام والدستور ،توفيق عبد العزيز السديري الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ.

٥. ينظر ويكيبيديا ،الموسوعة الحرة

https://ar–wikipedia.org/wiki/.

٦. تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبريد، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ت(٨٠٨هـ) ،دار الفكر بيروت ط ٢
٧. النظم الاسلامية ،د. منير حميد البياتي ،د. فاضل شاكر النعيمي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد كلية الشريعة ط الاولى ١٩٨٧م،ص٢٠٨.
٨. انظر ترجمة تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
٩. وفيات الاعيان : لابن خلكان
١٠. البداية والنهاية ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ) ، دار الفكر
١١. عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، محمد بن محمد بن سيد الناس (ت٧٣٤هـ) دار القلم بيروت ط الاولى
١٢. كتاب الاموال ، ابو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) دار الفكر بيروت
١٣. سيرة النبوية الصحيحة ،د. اكرم ضياء العمري
١٤. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة محمد حميد الله الحيدر ابادي الهندي (ت١٤٢٤هـ)
١٥. السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام الحميري (ت٢١٣هـ) تحقيق مصفى السقا ، مطبعة مصطفى الحلبي مصر ط٢.
١٦. وثيقة المدينة اول دستور مكتوب في العالم ، الاستاذ عماد الدين حدوق، مقال في جريدهم التحرير الالكترونية تونس ايلول ٢٠١٧. (www.attarir.info)
١٧. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة د. الشهيد محمد سعيد البوطي ، دار الفكر – دمشق ط(٢٥) ١٤٢٦هـ،
١٨. السيرة النبوية في ضوء القران والسنة ، محمد بن محمد بن سويلم ابو شهبة (ت١٤٠٣هـ) دار القلم ، دمشق ط (٨).
١٩. القانون الدستوري، عبد الحميد متولي، ط٦، ١٩٧٥م، دار المعارف، القاهرة.

٢٠.اختلاف الدارين، إسماعيل لطفي القطاني، ط١، ١٤١٠هـ، دار السلام.

٢١. الدولة المدنية بين الإسلام والعلمانية، عبد العزيز هاشم مصطفى، موقع علماء اليمن، http://alamaa_yemen.net.

عبّاد الشيطان نشأتهم، وصاياهم، طقوسهم

م.م خالد سعدون محمد عبد العزيز القره غولي

المقدمة

الحمد لله علي الشأن، وأعوذ بالله من زيغ الشيطان، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد...

إن بشاعة المعتقد الذي يدين به عبّاد الشيطان يولّد رهبة عظيمة من انتشارها في المجتمعات الإسلامية، لأنها من ابشع المعتقدات التي شهدتها البشرية، فهي تعتمد على السحر والشعوذة والجنس، وهي عقيدة قديمة اعتقدها بني البشر في الحضارات القديمة كالمصرية والهندية والفارسية واليونانية وحتى الحضارات العربية القديمة، ولكنهم لم يصلوا في اعتقادهم بالشيطان لمثل ما اعتقدت به هذه الجماعة الزائغة، ففي الحضارات السابقة كانوا يعتقدون أن هناك قوتان متصارعتان في الكون قوة الخير وقوة الشر وكانوا يتقربون لقوة الشر لإرضائها والتخلص من شرورها، أما جماعة عبدة الشيطان فقد بالغوا في عبادته بطرق شتى حتى أنهم يتقربون له بذبح القربان بطرق مرعبة مخيفة، وكذلك بأفعال الجنس كل عضو منهم يفعل بمن شاء حتى لو كان فعله بمحرم له. وهذا ما جذبني وشدني للبحث عن أسس ونشأة وتطور من اتخذ الشيطان معبودًا من دون الله تعالى للحذر والتحذير منهم ومن معتقداتهم الزائفة الزائغة.

منهج البحث:

التزمت في كتابة بحثي هذا بالمنهج الوصفي التاريخي لمعرفة أصل نشأتهم ووصف وفهم عقائدهم وطقوسهم وديانتهم.

خطة البحث: تكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المبحث الأول كان بعنوان عبّاد الشيطان نشأتهم وانتشارهم، وكان من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشيطان في الحضارات القديمة.

المطلب الثاني: الشيطان في الديانات السماوية.

المطلب الثالث: عبادة الشيطان في العصر الحديث.

المبحث الثاني كان بعنوان: أهم عقائدهم وطقوسهم وأعيادهم، وكان من ثلاثة مطالب أيضًا:

المطلب الأول: أهم عقائدهم ووصاياهم.

المطلب الثاني: أهم الطقوس التي يمارسونها.

المطلب الثالث: أهم الأعياد والمناسبات عندهم.

ثم الخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: عبّاد الشيطان نشأتهم وانتشارهم:

هذا وكل ديانة لا بد أن تنشأ وتتكون من دعوة وعقيدة ومناصرين لها حتى تأخذ طريقها للنجاح بين الناس، وعبادة الشيطان كان لها دعاة جعلوا لأنفسهم عقيدة وطقوسًا انطلقوا منها في دعوتهم الباطلة، وفي هذا المبحث سأبحث عن أصل تكوّن هذه الجماعة على مر التأريخ، فقد جعلت المبحث على ثلاثة مطالب وهي:

المطلب الأول: عبادة الشيطان في الحضارات القديمة:

أ) الحضارة المصرية:

كانت عبادة الشيطان ظاهرة منتشرة في العديد من الحضارات القديمة، وكان للشيطان حظ عظيم ونصيب كبير عندهم، ففي الحضارة المصرية وفي زمن الفراعنة كان عندهم إلهين اثنين، الأول إله للخير وكانوا يطلقون عليه اسم (أوزوريس) وهو إله الخير والمحبة، ورب الأرباب وملك الخلود عندهم، وهو الإله الذي أحبه الناس في زمانهم، والثاني إله الشر وكانوا يطلقون عليه اسم (ست) أو (سِتان) وهو يمثل الشر والظلام والشيطان، وهو الإله الشرير الذي قتل شقيقه

(أوزوريس) إله الخير، وهو ملك الموت والدمار، وهو المسؤول عندهم عن كل الشرور التي تصيب أرض مصر وأهلها[١].

ب) الحضارة الهندية:

كانت الديانة البرهمية عند الهندوس تؤمن بأن لهذا العالم ثلاثة آلهة رئيسية، وهم:

١- براهما: وهو الخالق الأعظم أو خالق الخلق.

٢- فشنو: وهو إله الخير والفضيلة، وحارسهم والمحافظ عليهم.

٣- شِو: وهو إله الشر والفناء والموت والدمار، ويسمى أيضًا سيفا[٢].

ف(براهما) ليس له مهمة إلا الخلق، ولذلك قلّما يعبد، وأما فشنو فهو إله الخير وهو الحافظ لهم -في اعتقادهم- وهو أفضل الإلهة وأرفعهم مقامًا، كان يعبده ويعظمه قسم من الهندوس، أمّا سيفا فهو أقدم الآلهة التي منها تتألف الديانة الهندوسية، وعلى الرغم من أنه إله القسوة والشر والموت إلا أن أكثر الهندوس كانوا يعبدونه ويقدسونه، لأنهم يعتقدون أنه يجب ارضاءه حتى في إطلاق الإسم عليه؛ ولذلك سموه (سيفا) أو (شيفا) وهي لفظة أريد بها التخفيف من بشاعة الاسم أو المنزلة لذلك الإله، وقد تمادى بهم الأمر حتى أصبح (سيفا) مركز العبادة عندهم، وقد ظهرت فرق خاصة لعبادته، منها فرقة حملة الجماجم، وكانت من جملة طقوسهم في العبادة شرب الخمر، وأكل اللحوم، وممارسة الجنس، وكانوا يرسمون الجماجم على أجسادهم وملابسهم، ويحملون وعاءً على شكل جمجمة وقت التجول، ويمارسون الجنس بصورة مفرطة، وهو من أهم وصايا جماعة عبادة الشيطان ومرتكزاتهم [٣].

ت) الحضارة الفارسية:

١ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، بإشراف د. يحيى علي الدجني، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين – غزة، ١٤٢٩ه – ٢٠٠٨م، ص١٠، وعبّاد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، يوسف البنعلي، المكتب الإسلامي للطباعة، ١٤٢٥ه – ٢٠٠٤م،ص١٩، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، جامعة الملك خالد، كلية التربية للبنات، قسم الدراسات الإسلامية، بحث منشور بمجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد ٢٦ (٨)، ٢٠١٢م، ص١٩٢٥.

٢ - ينظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي – دمشق ١٦/٣، وتاريخ الفكر الديني الجاهلي، محمد إبراهيم الفيومي (ت: ١٤٢٧هـ)، دار الفكر العربي، ط/٤، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص٨٠.

٣ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني،ص١٢، وعبّاد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، يوسف البنعلي، ص٢٢، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، تأليف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، ط/٤، ١٤٢٠هـ، ٧٢٦/٢.

هي كسابقاتها من الحضارات، كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة، وأبرزها الثنوية، فقد كانوا يعتقدون أن لهذا الكون إلهين اثنين، إله للخير، وإله للشر، وكانت في الحضارة الفارسية عدّة ديانات أكبرها وأكثرها انتشارًا هي (الزرادشتية) التي أسسها (زرادشت) أو (زردشت بن بورشب) كانت تلك الديانة تقوم على اعتقاد أن هذا العالم تحكمه قوتان متضادتان، هي قوة النور وقوة الظلمة، ولكل من تلك القوتان إله، فإله النور هو (اورمزدا) وهو إله الخير، والفضيلة، وخالق الكائنات النافعة، ومنه تفرعت آلهة الخير، وإله الشر أو الظلمة هو (أهرمن) وهو الذي يمثل الشر والظلام والشيطان، وخالق الكائنات الضارة، وقد تفرعت منه أيضًا آلهة الشر، ولهم ديانات أخرى كثيرة لكن أشهرها هي الزرادشتية ومعظم تلك الديانات تشترك في الطقوس والعقائد[١].

ث) الحضارة اليونانية:

اليونان لم يفصحوا صراحة عن عبادة الشيطان في طقوسهم وعبادتهم، ولكن توجد عندهم أرواح شريرة يسمونها (ALastotes) وهي تحاول دائمًا أن تزين الظلال للناس ليسلكوا طريق الشر فيضلوا سواء السبيل، وهذه الصفات تشبه إلى حدٍ كبيرٍ صفات الشياطين الموجودة في كثير من الديانات الأخرى، ألا إن صفات الآلهة المزعومة عندهم أكثر قبحًا من صفات تلك الأرواح[٢]، (لقد دنس اليونان آلهتهم بالرذائل، وأغرقوهم بالشهوات، ووصفوهم بالسفح والزنى والشذوذ)[٣].

ج) الحضارة العربية القديمة:

عاشت على أرض العرب قبل الإسلام العديد من الحضارات أشهرها وأهمها: السومرية والبابلية، وكانوا كلهم يؤمنون يوجد إله للخير وإله للشر؛ ولذلك يخبرنا تعالى عنهم بقوله عز وجل: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ[٤]، وقد كان للشيطان حضور في طقوس سكان تلك البلاد قديمًا لا سيما السومريين والبابليين، (وكانت الخرافة والسحر

---

١ - ينظر: الملل والنحل، أبو الفتح الشهرستاني، ٤١/٢، وعبّاد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، يوسف البنعلي، ص٢١، وظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٣.

٢ - ينظر: عبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٢٥، وعبّاد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، يوسف البنعلي، ص٢٧.

٣ - عبّاد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، يوسف البنعلي، ص٢٧.

٤ - من سورة الأنعام: آية ١٠٠.

تسيطران على الإنسان عندهم بقوة، والشياطين في اعتقادهم أرواح شريرة خرجت من باطن الأرض، ومنها ما كان مصدرها أرواح الموتى الذين لم يتم دفنهم، فهؤلاء يهيمون في الأرض ينشرون الأذى انتقامًا لما حلّ بهم من اهمال في عدم دفنهم، ويكون انتقاء شرهم عن طريق التعاويذ والطقوس السحرية والقرابين)[1].

المطلب الثاني: الشيطان في الديانات السماوية:

أ) اليهودية:

على الرغم من ذكر الشيطان في التوراة عند اليهود ألا إنهم وصفوا الآلهة بأوصاف الشيطان أيضًا، كما في ديانة اليونان، فالآلهة عند اليهود كالشيطان حقود عنصري يكره جميع الأمم عدا الشعب المختار؛ ولذلك هم يذكرون أن الإله تآمر مع النبي يعقوب عليه السلام ليسرقا المواشي من الناس، كما إن هذه الآلهة وفي لحظة غضب قرر أن يبيد شعب بأكمله لولا تدخل النبي موسى عليه السلام في الوقت المناسب[2].

واليهود عرفوا منذ البداية بظلالهم وعدم التزامهم بإقامة شرع الله تعالى، فقد عبدوا العجل الذي صنعوه بأيديهم وموسى وهارون عليهما السلام بين ظهرانيهم، قال تعالى: چ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮛ ﮛ ﮛ ﮛ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې چ[3]، وقوله تعالى أيضًا: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ چ[4]، وتمردوا منذ البداية على الديانات وأولها ديانتهم ورسلهم وكتبهم، فسلكوا كل الطرق لإغواء الآخرين ومتبعي الديانات الأخرى، وأهمها الإسلام بعد مبعث النبي ﷺ وظهور الدين الإسلامي وانتشاره، ومن الطرق والجماعات التي استغلها اليهود لإغواء الناس واظلالهم هي جماعة عبدة الشيطان، فبدأوا يتمثلون بالشيطان في كل شيء حتى في وصفهم النصارى بأنهم أبناء إبليس؛ ولذلك نجد أن اليهود يشتركون مع عبدة الشيطان في كثير من الطقوس متأثرين بما في نفوسهم من الوثنية وحب الإنفلات من الأخلاق

١ - عبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٢٥.

٢ - ينظر: عبادة الشيطان ٢٩، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٢٧.

٣ - سورة الأعراف: آية ١٤٨.

٤ - سورة طه: آية ٨٨.

والإيمان، ومن أهم الطقوس المشتركة هي: تقديم القرابين قسمة بين الرب والشيطان، الصلاة للشيطان، وتقديم القرابين البشرية وسفك الدماء والتشجيع على الفواحش والشذوذ الجنسي والتعامل بالسحر والاستعانة بالشيطان[١]،

وكان لليهود الدور الأكبر في انتشار هذه الجماعة في العالم، فقد كان مؤسس أول كنيسة لعبادة الشيطان هو يهودي، وهو (انطون ليفي) فقد أنشأ أول كنيسة عام ١٩٦٦م خاصة بعبدة وعبادة الشيطان، وهو الذي أخلف (كرولي) وتلقف أفكاره ونشرها في العالم.

ب) المسيحية:

كغيرها من الديانات في الحضارة القديمة فقد (بدأ بصيص من التمييز بين الخير والشر في الديانة المسيحية فسمح لها هذا البصيص أن تقفز قفزة كبيرة نحو التصور الحقيقي للشيطان، واتضحت صورته أكثر فأكثر فهو رمز للشر والفساد، كما إن الرب هو رمز الخير والمحبة)[٢].

ولكثرة التحريف في الديانة المسيحية وفي الإنجيل فقد ارتقى الشيطان شيئًا فشيئًا حتى سمي (رئيس الشياطين)، ثم أعطي مقاليد الريح والهواء، ثم ارتقى فأصبح أمير الظلام، وأخيرًا وصل إلى الألوهية فسمي (إله الدهر)[٣]؛ ولذلك نجد أن للمسيحية دور كبير في نشر هذا الفكر المنحرف واعطاء هذه الجماعة الحجم الأكبر حتى أصبحت دينًا يتعبد به، ومن أشهر الفرق النصرانية التي عبدت الشيطان هي: باسيليدس، وفالنتيوس، ومرقيون، والكنارية وتعني الأطهر، وهذه الفرقة – الكنارية– هي التي قالت بإله للخير وإله للشر، وقالوا بأن الشيطان هو الخالق لهذا الكون المرئي وليس الله تعالى، كما إنهم تمردوا على كثير من الشعائر الدينية النصرانية، كالعشاء الرباني والقداس وغيرها، وقد انبثقت هذه الجماعة –الكنارية– عن فرسان الهيكل الذين أنشأتهم الكنيسة عام ١١٨٨م للدفاع عن المسيحيين أبان الحروب الصليبية، وقد هزمهم صلاح الدين الأيوبي

١ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني ص٣٢ وما بعدها، وعبّاد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، يوسف البنعلي، ص٣٣، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٤٨.

٢ - عبّاد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، يوسف البنعلي، ص٣٠.

٣ - ينظر: المصدر نفسه، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٥٧.

عام ١٢٩١م وأجلاهم عن بيت المقدس وجردهم عسكريًا، ثم أحس ملك فرنسا (فليب الرابع) بخطرهم فأمر بالقبض عليهم واعترفوا بجرائم كثيرة منها عبادة الشيطان، فصدر الحكم على جميع اتباع عبدة الشيطان بالإعدام، وأعدم رئيسهم (جاك دي مولي) عام ١٣١٤م، فضعف نشاطهم، ثم عاودوا ظهروهم ثانية عام ١٣٣٥م، في مدينة تولوز الفرنسية فقبض على ثلاث وستين عضوًا منهم، وأمر بإعدامهم حرقًا بأفران النار الملتهبة.

وحين انتشر الطاعون في أوربا وقتل ثلث سكانها في القرن الرابع عشر الميلادي، ارتدّ عدد كبير من النصرانية وعبدوا الشيطان بدعوى أنه اغتصب مملكة السماء.

أما في القرن السابع عشر الميلادي فقد أسس (آدم وايز هاويت) جماعة النورانية أو حملة النور، والتي كانت تعتنق عبادة الشيطان، وتعمل الماسونية اليوم لسيطرة الشيطانيين على العالم بأكمله[١].

ت) الإسلام:

في الإسلام الشيطان مخلوق من نار، وهذا يعني أنه ليس من الملائكة كما يتصوره النصارى في تحريفاتهم، فقد بيّن الله تعالى في الآيات القرآنية أن الشيطان من الجن وليس من الملائكة، قال تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﭼ[٢]، فبين أن ابليس من الجن، والفرق بينه وبين الملائكة إن إبليس خلق من النار، أو من لهب النار، والملائكة خلقت من النور، يقول تعالى في ذلك: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﭼ[٣]، وقوله تعالى أيضًا: ﭽ ﮉ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ[٤]، والمارج هو لهب النار أو أطراف اللهب[٥]، وفي الحديث الشريف: (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ

١ - ينظر: الملل والنحل ٥٧/٢، وظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص١٦-١٧، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٢٦.

٢ - سورة الكهف: من الآية ٥٠.

٣ - سورة الحجر: آية ٢٧.

٤ - سورة الرحمن: آية ١٥.

٥ - ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر بيروت – لبنان، ١٤١٥ه-١٩٩٥م، ١٠/٢، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - السعودية، ط/٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ٢٢٥/٥.

لَكُمْ)[١]، وطبيعة تكوينهم تختلف عن طبيعة التكوين البشري؛ لذلك فإن للشيطان قدرات خارقة للعادة البشرية، وله أفعال خاصة لا يستطيع عوام البشر أن يقوم بها، ومع كل تلك الخوارق والأفعال فإنه لا يستطيع أن يتسلط على إنسان ما لم يستسلم له ويتبعه، فقد تكفل الله تعالى بحماية من آمن به، فقال تعالى: ﭽ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ﭼ[٢]، بل قد اعترف بنفسه على مدى ضعفه تجاه المؤمنين فقد قال تعالى حكاية عنه: ﭽ□□ □□□□□□□□ ﭼ[٣].

المطلب الثالث: عبادة الشيطان في العصر الحديث:

قسمت هذا الطلب على قسمين انطلاقًا من التقسيم الجغرافي المتعارف عليه في زماننا، وهو الشرق والغرب، فتحدثت أولًا عن الغرب لأنه مهد انطلاق الدعوة والعبادة وتأسيسها، ثم عن الشرق الإسلامي لأنه كان ضحية لتلك المخططات.

أولًا: الغرب:

اختلف المؤرخون في بداية عودة ظهور ونشأة أفكار عبدة الشيطان في الغرب في العصر الحديث، فذهب بعضهم إلى أن بدايتها كانت في القرن الأول للميلاد عند (الغنوصيين) أو (الغنطوسيين) وهم قوم اعتقدوا أن الخلاص يأتي عن طريق المعرفة الروحية لا عن طريق الإيمان والأعمال الصالحة، لذا أطلق على مذهبهم اسم (مذهب العرفان) وقد تأثروا بالديانة الثنوية، فكانوا ينظرون إلى الشيطان على أنه مساوٍ لله تعالى في القوة والسلطان، ومع أن الكنيسة رفضت معتقداتهم في بادئ الأمر وحاربتهم إلا أنها تأثرت بهم بعد ذلك كما سيأتي، ثم تفرعت عن الغنوصية فرقة أخرى أطلق عليها (البولصيون) فأنزلوا الشيطان منزلة رفيعة وعظموه أكثر من أسلافهم، وقد ظهرت أول مجموعة منهم في الجنوب الشرقي لأوربا وتحديدًا في بلغاريا وقد أطلقوا على أنفسهم اسم (البوغوميليون) وكان هؤلاء يؤمنون بأن الشيطان هو الخالق لهذا العالم وأن الله تعالى لم يقدر على أخذه منه ؛ لذلك فهم يعبدونه[٤].

١ - رواه مسلم برقم ٢٩٩٦، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، ٢٢٩٤/٤.

٢ - سورة الاسراء: من الآية ٦٥.

٣ - سورة ص: آية ٨٢ - ٨٣.

٤ - ينظر: عبّاد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، يوسف البنعلي، ص٧٥ وما بعدها، وعبدة الشيطان بدأوا من البارون وانتقلوا لطابا ثم وصلوا إلى السعودية، بحث منشور بقلم محمد الحكيم، على موقع أخبار مصراوي: www.masrawy.com، ص٣.

وذهب بعض المؤرخين إلى أن عبادة الشيطان ظهرت عند (فرسان الهيكل) وتسمى أيضًا (الداوية) وهي الفرقة المسيحية العسكرية التي أنشأتها الكنيسة عام ١١١٨م في القدس ؛ وذلك لحماية المسيحية أبان الحروب الصليبية، وقد هزمهم صلاح الدين الأيوبي –رحمه الله– عام ١٢٩١م وأعدم رئيسهم (جاك دي مولى) عام ١١١٣م[١]، وقد اختفت تلك العبادة لزمن طويل ثم عاودت ظهورها على يد (اليستر كراولي) (١٨٧٥ – ١٩٤٧م) ويعدّ الأب الروحي لهذه النحلة، وهو الذي وضع أسسها في العصر الحديث، فقد بدأ بالدفاع عن الإثارة والشهوات الجنسية في كتبه ومحاضراته، ثم انظم إلى جماعة (العهد الذهبي) السرية، حتى أصبح معلمها الأول، وأقام علاقات شاذة مع بعض أعضائها، كما مارس معهم السحر، وأعلن (كراولي) أنه يتمنى أن يصبح قديس الشيطان، وأن يعرف بالوحش الكبير أو الرجل الشرير، وفي عام ١٩٠٠م ترك (كراولي) جماعة العهد الذهبي وأوجد جماعة ذات نظام خاص أطلق عليها اسم (سلفر ستار) يعني (النجم الفضي) وأخذ ينتقل ويسافر عبر العالم يدعوا إلى جماعته بنظامها الخاص الجديد، إلا أن السلطات الإيطالية طردته من بلادها وذلك لكثرة الأخبار التي عرفت عنه تعاطيه للمخدرات، وتقديم الذبائح وما شابه من طقوسهم) وكان ذلك في مدينة (صقليا)، وبقي طيلة حياته متنقلًا بين البلدان في العالم داعيًا إلى الشهوات وباحثًا عنها مع النساء والرجال، وقد زار حتى البلدان العربية فقد سافر إلى الجزائر للقاء روح الشيطان هناك –على حد وصفهم–. وقد أصبح في آخر حياته يؤمن بأنه مصاص دماء، وراح يحقن نفسه بالهيروبين إلى أن وجد ميتًا بين زجاجات الخمر وحقن المخدرات[٢].

هذا وقد وضع كراولي خمس نظريات لنجاح وانتشار الفكر الشيطاني، وهي:

١– توريط العوائل بعبادة الشيطان، مما يضمن انتقال التعاليم إلى الأبناء.

---

١ - ينظر: عبّاد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، يوسف البنعلي، ص٧٨، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٤٠، وعبدة الشيطان، ص٥، www.masrawy.com، وعبادة الشيطان في العالم: من أين بدأت، ومتى دخلت العالم العربي، بحث من اعداد: محمود عبد اللطيف، ٢٠١٢م، منشور على موقع صوت العروبة: www.arabrioce.comL2600.

٢ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٢٣، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٤٠، وعبدة الشيطان ص٤-٢٧، www.masrawy.com، وعبادة الشيطان في العالم محمود عبد اللطيف، (بحث منشور، دون ترقيم)،www.arabrioce.comL2600 .

٢- مهمة جيله هي نشر التعاليم الشيطانية.

٣- قيام عدد من الأشخاص بوضع تعاليم خاصة ضد القانون والدين والشرائع.

٤- قيام مجوعة من عبدة الشيطان بتنظيم القوانين، والدعوة إلى المعتقدات الشيطانية، وجذب وإغواء الجمهور بشتى الوسائل المغرية.

٥- الاهتمام بالمراهقين الثائرين على مجتمعاتهم فهم قوة التغيير في العالم[١].

ثم جاء بعد كراولي خليفته (انطوان شيلدز لافي) ويسمى أيضًا بـ (أنطوان ساندوا لافي) كما ذكره بعض الكتاب[٢]، وهو يهودي أمريكي ولد عام ١٩٣٠م ومات عام ١٩٩٧م، وهذا الشخص تلقف أفكار كراولي وسار على أثره، وقد ادعى أن الله تعالى ظلم ابليس، وطالب بدليل مادي على وجود الله تعالى، مؤكدًا أن الأدلة التي تثبت وجود الشيطان كثيرة، ويعدّ (لافي) أول من أسس عبادة الشيطان في العصر الحديث عند كثير من الكتاب والمؤرخين، وذلك لأنه أول من أسس معبدًا للشيطان أسماه (كنيسة الشيطان) وذلك عام ١٩٦٦م في مدينة (ولبرجستجت) في أوكلان بولاية (كاليفورنيا)، وقيل أنها في مدينة (سان فرانسيسكو) وقد ألف كتابًا مقدسًا أسماه (الانجيل الأسود) وأصدر كتابًا آخر في عام ١٩٧٠م بعنوان (أسرار الشعوذة والسحر والعرافة) ثم أصدر كتابًا آخر في عام ١٩٧٢م أسماه (التعذيب من أجل الشيطان)، وقد حظيت دعوة لافي إلى انتشار واسع في العديد من بلدان العالم وليس في أمريكا وحدها، فقد انتشرت في أوربا واستراليا وآسيا وجنوب افريقيا، مما أدى إلى وصولها ودخولها للأسف إلى كثير من الدول الإسلامية.ولكن مع كل هذا الانتشار فقد حصلت انشقاقات في اتباع حركة (لافي)، منها في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٥م على يد (ميشيل أكينو)، وفي عام ١٩٨٠م على يد (ميشيل سميث)، وغيرها الكثير من الانشقاقات التي خرجت عن الجماعة[٣].

وقد تشكلت أعداد اخرى من المنظمات الشيطانية في الغرب منها:

---

١ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٢٣.

٢ - ينظر: الجذور التاريخية لعبدة الشيطان، د. محمود يوسف الشوبكي، ويحيى علي الدجني، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٢٣ه – ٢٠٠٣م (دون ترقيم).

٣ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٢٤، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٤٠، وعبدة الشيطان ص٢٤-٢٨، www.masrawy.com، والجذور التاريخية لعبدة الشيطان، د. محمود يوسف الشوبكي، ويحيى علي الدجني، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٢٣ه – ٢٠٠٣م (دون ترقيم).

منظمة (ONA) ومنظمة (OSV) في أيرلندا، ومعبد (ست) في أمريكا، وكذلك (تمبلي أوريا نتيس) و (كنيسة الحكم الأخير) و (جمعية القارية لأمل الشيطان) و (كنيسة الانسان العالمية) وغيرها الكثير من المنظمات والكنائس التي تدعوا للجماعة[١].

ثانيًا: الشرق الإسلامي:

كان الشرق الإسلامي ومنذ اللحظة الأولى لظهور الدين الإسلامي محط أنظار الأعداء من الدول الأخرى سواء مشركين وملحدين وكافرين، أو أتباع ديانات اخرى ؛ ولذلك كانوا ولا زالوا يحاولون ابعاد متبعي هذا الدين بشتى الطرق والوسائل، ويدسون بينهم من يدعوهم إلى الزيغ والظلال وهذا يظهر جليًا عند المستشرقين، وحركات التبشير، والتنصير، وغيرها الكثير من الحركات الهدامة لهذا الدين، وقد رُصدت المبالغ الطائلة لتلك الحركات والأشخاص المكلفون بهذه المهمة من منظمات وهيئات ودول عظمى لغرض جذب أكبر عدد ممكن من المسلمين واغوائهم واخراجهم عن دينهم، ومن أهم تلك الفرق التي تحاول جذب المسلمين إليها وابعادهم عن دينهم هي فرقة (عبدة الشيطان) وللأسف أن تلك الجماعة والدعوة وجدت حيزًا في عقول بعض الشباب ذكورًا واناثًا من المسلمين استغلت ذلك الحيز وتمركزت فيه ليس حبًا بالشيطان وإنما اتباعًا للنفس بإعطائها كل ما تشتهيه من أعمال جنسية، ومخدرات، وشرب للخمور، ورقص وحفلات وما شابه، وقد وجدت دعوتهم استجابة عند بعض الناس لا سيما الشباب في كثير من الدول العربية والاسلامية، وهذا ما سأتطرق إليه في بحثي هذا.

١- مصر:

كان الظهور الحقيقي الأول لعبدة الشيطان في مصر بداية عام ١٩٩٧م، عندما تم القبض على مجموعة من الشباب تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والرابعة والعشرين بلغ عددهم مائة وأربعون فردًا من الذكور والإناث، وكان أكثرهم من أولاد الطبقة الغنية ومن خريجي المدارس الأجنبية، ولا يعرفون شيئًا عن الإسلام على الرغم من أنهم مسلمين، ولكن هذا الإجراء لم يمنع من ظهور

---

١ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٢٦، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٤٠، وعبادة الشيطان في العالم، محمود عبد اللطيف، (بحث منشور، دون ترقيم) www.arabrioce.comL2600 .

الجماعة من جديد ففي عام ٢٠١١م اعتقل الأمن المصري العشرات من متبعي هذه الفرقة في صالة بإحدى البواخر السياحية على شاطئ النيل أثناء احتفالهم بزواج بعضهم من بعض، إذ كانوا من الشاذين، والمذهل في الأمر أن من بينهم ثلاث أطباء، وصاحب شركة كومبيوتر، وأخصائي سياحة[١]. ثم عاودوا الظهور في عام ٢٠١٢م عندما شاهد مجموعة من المواطنين مجموعة كبيرة من الشباب يرتدون الملابس السوداء ويتصرفون بغرابة، فقرر المواطنون إقامة دعوى على تلك الجماعة ذات التصرفات الغريبة الأطوار فوكلوا محاميًا للتقدم بالبلاغ ضدهم وضد القائمين على ذلك المكان الذي يبدو أنه منتجع سياحي يطلق عليه (ساقية الصاوي) وفعلًا تقدم المحامي بالدعوى واستمعت نيابة قصر النيل إليه، ولكنه تراجع عن دعواه بعد أن تبين له أنهم مجرد مجموعة من محبي موسيقى الميتال، وانتهى التحقيق بالحفظ. وتؤكد التحقيقات أن أفراد الجماعة بلغ عددهم في مصر ما يقرب من (٢٠٠٠) عضو منهم مذيعات وأبناء فنانين وموسيقيين كبار، وتبين أيضًا أن هناك محلات متخصصة في بيع ملابس عبدة الشيطان، ولهم أندية ومطاعم خاصة تستقبلهم ويقيمون فيها حفلاتهم وسهراتهم[٢].

٢- لبنان:

ذكر قسم من الكتاب والصحفيين أن هذه الظاهرة بدأت في لبنان عام ١٩٩٢م حيث انتحر شاب يبلغ من العمر أربعة عشر عامًا وقد بعث إلى صديقه برسالة طلب منه فيها أن يدفن أشرطة (الروك أند رول) التي كان مولعًا بها معه، ثم توالت حالات الانتحار المماثلة حتى بلغت بحسب قارير أمنية إحدى عشرة حالة' وقد ألقت قوى الأمن على مجموعة من عبدة الشيطان عام ١٩٨٦م، ويوجد في لبنان العشرات من المقاهي والمنازل والأندية الليلة التابعة لعبدة الشيطان[٣].

الأردن:

١ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص١٣١.

٢ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص١٣١، وعبدة الشيطان فيصل الماسونية والنورانية، بحث للدكتور: بلبل عبد الكريم، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م، منشور على الموقع الرسمي للدكتور: سعد بن عبد الله الحميد: www.alulah.net، (دون ترقيم)، وعبادة الشيطان في العالم، محمود عبد اللطيف، (بحث منشور، دون ترقيم) www.arabrioce.comL2600.

٣ - ينظر: عبدة الشيطان فيصل الماسونية والنورانية، د. بلبل عبد الكريم www.alulah.net (بحث منشور، دون ترقيم).

ظهرت جماعة عبدة الشيطان في الأردن في منتصف التسعينيات، إلا أن السلطات الأردنية حاولت التقليل من حجمها وخطرها، وقد قبضت على مجموعة منهم في أيلول من العام ٢٠٠٢م في إحدى قاعات الاحتفال في منطقة عبدون في عمان. وأعلنت دائرة المطبوعات عن مصادرة نحو الف شريط فيديو والمئات من أقراص الكومبيوتر التي تدعوا إلى فكر عبدة الشيطان، وأغلقت مديرية المصنفات المرئية والمسموعة نحو تسعة عشر محلًا لبيع تلك الأشرطة، وهذا يعكس مدى جهد الدعاة لتلك الضلالات، وقد شهدت الأردن مرات عدّة اعتداء على بعض المساجد والجوامع، منها مسجد زيد بن حارثة ﷺ بمنطقة في منطقة الجبل الأخضر في مدينة عمان[١].

٣- البحرين:

نقلت وكالة (يو بي أي) عن صحيفة الوطن السعودية في ٢٠٠٥/٤/١٢م أن السلطات البحرينية على وشك القبض على رئيس تجمع عبدة الشيطان في البحرين، بعد حصولها على معلومات عنه عقب اكتشافها حفلات للشواذ في إحدى فنادق العاصمة المنامة، وقد بدأ الكلام عن تلك الظاهرة في المملكة على مستوى الصحف وحتى البرلمان بين عامي ٢٠٠٣-٢٠٠٤م، ثم ظهر بعدها علنًا عبر تنظيم الحفلات والسهرات الليلية الشاذة واللاأخلاقية[٢].

٤- تركيا:

لم يذكر تاريخ محدد لظهور هذه الجماعة في تركيا ولكن يقدر عدد المنتمين إليها ب٣٠٠٠ الاف شخص، وقد أقدم العديد منهم على الانتحار مما أقلق السلطات التركية، وزاد القلق عندما أقدمت إحدى المجموعات على تقديم فتاة قربانًا للشيطان لوقف الزلازل بعد أن ضرب تركيا زلزالًا مدمرًا[٣].

هذا مختصر وجود الجماعة في بعض الدول الشرق المسلم ولا يقتصر وجودهم على هذه الدول فقط، وقد تحدثت تقارير صحفية عن وجودهم في المغرب في عام ٢٠٠٧م، وكذلك في تونس والجزائر، وحتى في السعودية عندما ألقت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليل الخميس

---

١ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص١٣٢، وعبدة الشيطان فيصل الماسونية والنورانية www.alulah.net (بحث منشور، دون ترقيم).

٢ - ينظر: المصادر نفسها.

٣ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص١٣٤.

والجمعة القبض على ٣٠ شخصًا عاريًا في حفل مختلط بالرياض، وكانوا من احدى عشرة جنسية أجنبية مختلفة يقيمون حفلًا مختلطًا[١].

المبحث الثاني: أهم عقائدهم وطقوسهم وأعيادهم:

لا بدّ لكل ديانة أو معتقد من عقائد يؤمن بها أتباع تلك الديانة، ولا بدّ لهم أيضًا من طقوس ومناسبات وأعياد تكون مقدسة عندهم ويقيمون عليها عبادتهم ودينهم، وعبادة الشيطان واحدة من تلك العبادات والمعتقدات التي بنيت على عقيدة سار عليها دعاتها وأتباعها، وجعلوا لتلك العقيدة أركانًا تسعة أسموها وصايا وأيقنوا أنها لا بدّ من أن تطبق في ديانتهم. ولهم أيضًا طقوس غريبة خاصة بهم، وكذلك لهم أعياد ومناسبات يقسمون فسها شعائرهم وديانتهم، وقد قسمت هذا المبحث على ثلاثة مطالب خصت كل مفردة من مفردات المبحث بمطلب خاص بها.

المطلب الأول: أهم عقائدهم ووصاياهم:

وردت الوصايا التسع في كتاب (الإنجيل الشيطاني) الذي وضعه (انطوني ليفي) وهو بمثابة الكتاب المقدس عند عبدة الشيطان، وهذه الوصايا من أهم ما قامت وبنيت عليه هذه العبادة القذرة، ويُعتَقد أن (ليفي) أراد جعل وصاياه الشيطانية بديلًا عن الوصايا الواردة في العهد القديم (التوراة) كما ذُكِر أن الوصايا عشر في أساسها ولكن (ليفي) استبعد احداها لعدة أسباب –كما يذكرها الاستاذ عمر في رسالته ظاهرة عبادة الشيطان، حسب تقديره الشخصي– من أهمها:

إن عبدة الشيطان يولون أهمية خاصة للعدد تسعة فإضافة إلى الوصايا يوجد أيضًا: الخطايا الشيطانية التسعة، كما إن عدد الكهنة في مجلس كنيسة الشيطان تسعة أشخاص، أما سبب حذف الوصية العاشرة فهو ما تنص عليه تلك الوصية وهي: الشيطان هو الذي سيحرز النصر على الله في آخر الزمان، فهي تناقض أفكار (ليفي) ومعتقداته، لأنه ينكر وجود الله تعالى، وللخروج من هذا التناقض عمد إلى حذف تلك الوصية[٢].

---

١ - ينظر: المصدر نفسه، وعبدة الشيطان فيصل الماسونية والنورانية www.alulah.net (بحث منشور، دون ترقيم)، وعبدة الشيطان، ص٦٨، www.masrawy.com.

٢ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٦٩-٧٠، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٤٣.

الوصية الأولى: الشيطان يمثل ويحث على الانغماس في الملذات، واطلاق العنان لها وليس الزهد أو العفة أو التقشف[١]، ومن عنوان هذه الوصية يتبين أن مؤسسي هذه العبادة يفسحون المجال أمام متبعيهم لممارسة الجنس والإنغماس في الملذات، واتباع الهوى، واشباع الغريزة الحيوانية في نفوسهم، وهذا يدل على عظم الإنحراف السلوكي والأخلاقي لا بل والإنساني عندهم، فهم في ذلك كالبهيمة بل أخس منها، قال تعالى: ﭽ ۓ ﮈ ﮉ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ﭼ[٢]، ويقول أيضًا:

ﭽ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑڑﭼ[٣]، "يقول تعالى لرسوله ألم ينته إلى علمك يا رسولنا أنا أرسلّنا الشياطين أي شياطين الجن والإنس على الكافرين بنا وبآياتنا ورسولنا ولقائنا تؤزهم أزاً أي تحركهم بشدة نحو الشهوات والجرائم والمفاسد، وتزعجهم إلى ذلك بالإغراء إزعاجاً كبيراً"[٤]، وقال عز شأنه أيضًا: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ[٥]، وهذا هو دور الشيطان منذ أن خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح وإلى يوم القيامة، فقد أخذ على نفسه عهدًا بإغواء الناس والتعرض لهم لا سيما المنصرفين منهم والطائعين له.

الوصية الثانية: الشيطان يمثل الوجود الحيوي والحياة الواقعية الحقيقية، وليس مجرد أوهام وأحلام روحية[٦]، هناك تناقض واضح وبيّن في هذه الوصية، فإن عبدة الشيطان ينكرون المغيبات ولا يؤمنون بها مع إيمانهم بالشيطان وتقديسه وعبادته، وهو أيضًا من المغيبات حيث أنه لا يُرى ولا يُلمس، وكيف أمكن التوصل إلى معرفة الشيطان، ومعرفة القصص التي يذكرونها مع آدم وحواء لولا وجود الله تعالى واخباره بذلك، ووجود الملائكة والأنبياء والرسل، فالتناقض أنهم يؤمنون

---

١ - ينظر: عباد الشيطان ص٢٦، وظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٧٠، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٤٣.

٢ - سورة البقرة: آية ١٦٩ .

٣ - سورة مريم: آية ٨٣ .

٤ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط/٥، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٣٣٢/٣.

٥ - سورة ص: آية ٨٢.

٦ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٧٢، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٤٣، وعباد الشيطان ٨٦.

بالشيطان على أنه حقيقة واقعية مع أنه غيبي وينكرون باقي الغيبيات، ويتناسون مصدر الإخبار عن الشيطان وكيفية معرفته[١].

الوصية الثالثة: الشيطان يمثل الحكمة النقية الصادقة غير المدنسة، وليس خداع النفس بالأفكار والأوهام الزائفة المنافقة، وأي حكمة وأي صدق مع ما يدعون إليه من فساد الأخلاق وإيهام النفس والكذب عليها في دعواهم وطقوسهم وعبادتهم، وهم يعدون الشيطان مثلًا للحكمة النقية ودالًا عليها، وهو لا يمثل إلا الكفر والفساد والطغيان والانتقام، فهم يعدّون الكفر مرادفًا للحكمة والإيمان، مع أنه لا يمكن أن يجتمعا في قلب واحد لأنهما متضادان ومتناقضان، وإلا فكيف يكون الكفر والخمر والمخدرات وقتل الأطفال وارتكاب الجرائم والانتحار وممارسة الجنس حتى مع المحارم من الإيمان والحكمة الصادقة وترك ذلك من الكفر والنفاق؟[٢]، يقول تعالى على لسان إبليس: چ   چ[٣]؛ لذلك حذرنا تبارك وتعالى من مكائد الشيطان وعداوته للإنسان فقال عز من قائل: چ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ[٤].

الوصية الرابعة: الشيطان يمثل الشفقة والرفقة الطيبة لمن يستحقها، هذه الوصية بحد ذاتها منافية لكثير من طقوسهم وعباداتهم، فأي شفقة في الإنتحار؟ وقتل الأطفال قربة للشيطان؟ وهذا مغاير ومعاكس تمامًا لكل ما جاء من أخبار عن الشيطان وذم له في جميع الديانات السماوية، وهو أمر تعمده (ليفي) لمخالفة جميع الأديان[٥].

الوصية الخامسة: الشيطان يمثل الإنتقام وليس التسامح وارادة الخد الآخر، عند قراءة الوصايا والنظر فيها بتفكر وتمعن نجد أنها متناقضة فيما بينها والتناقض واضح وبيّن وجلي، ففي الوصية الرابعة قالوا بأن الشيطان يمثل الرحمة والطيبة، وفي هذه الوصية قالوا بأنه بمثل الانتقام لا

١ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٧٣.

٢ - ينظر: عباد الشيطان ٨٦، وظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٧٥، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٤٤.

٣ - سورة ص: آية ٨٢ – ٨٣ .

٤ - سورة فاطر: آية ٦ .

٥ - ينظر: عباد الشيطان ٨٦، وظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٧٥، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٤٤.

التسامح، فكيف يجمع بين الرحمة والطيبة والرفق، وبين الانتقام وعدم التسامح؟ والذي يبدوا من هذا التناقض أن متبعيهم لا يفقهون شيئًا من عقيدتهم ووصاياهم والمهم عندهم هو اشباع الغريزة لا غير.

الوصية السادسة: الشيطان يمثل ويتحمل المسؤولية لمن هم أهل لها، وليس الاهتمام بالمعتوهين ومصاصي الدماء، "يرى ليفي في هذه الوصية أنه يجب الاهتمام بمن هم أهل لذلك ومن يستحقون الاهتمام، بدلًا من الاهتمام بنوع آخر من الناس، وهم أولئك الذين لا يقدمون للمرء أي فائدة"[١]، قول ليفي ووصيته تبين دعوته لتعظيم أتباعه وأتباع جماعته على اعتبار أنهم يعطون الحق والحرية المطلقة للإنسان فهم وحدهم من يستحقون الاحترام والتقدير.

الوصية السابعة: "الشيطان ينظر للإنسان على أنه أحد الحيوانات، ربما أفضل أحيانًا، وأغلب الأحيان هو الأسوأ حتى من تلك التي تسير على أربع"[٢]، الإنسان مكرم معظم عند الله تعالى ووصفه بأنه حيوان أو أسوأ من الحيوان ما هو إلا تدنيس لذلك المخلوق العظيم عند الله تعالى، ومحاولة للانحطاط بمكانة الإنسان الذي استخلفه الله تعالى في الأرض[٣]، قال تعالى: ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ[٤]. هناك حالة واحدة يكون فيها الإنسان أحظ وأسوأ من البهائم وهي عندما يتبع هواه ويتخذ إلهًا غير الله تعالى"[٥]، قال تعالى: ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ[٦]، يقول السمرقندي في تفسير هذه الآية: "أتظن أنهم يريدون الهدى؟. ﭽ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭼ في الأكل والشرب ولا يتفكرون في أمر الآخرة، ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ يعني أخطأ طريقًا من البهائم لأن البهائم ليسوا بمأمورين ولا منهيين"[٧].

---

١ - ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٧٧، وينظر: عباد الشيطان ٨٦، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٤٤.

٢ - عباد الشيطان ٨٦، وظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٧٨.

٣ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٧٨.

٤ - سورة الاسراء: آية ٧٠ .

٥ - ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٧٨.

٦ - سورة الفرقان: آية ٤٤ .

٧ - بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (ت: ٣٧٥هـ)، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت، (د/ت)، ٥٤٠/٢.

الوصية الثامنة: الشيطان يمثل كل ما يطلق عليه ذنوب أو خطايا، حيث إنها تؤدي جميعًا إلى الإشباع الجسدي[١]، أفصح ليفي في هذه الوصية عن دعوته ومخططه وهو اقتراف الذنوب والخطايا، والاستمتاع بالملذات الجسدية فقط، وكسر حاجز الخوف والتدين، وهذا ما أراده الشيطان منذ اللحظة الأولى، قال تعالى: ﭽ ڌ ڍ ڎ   ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ﭼ[٢]، وهذا في نظرهم أمر طبيعي لأنه محبب للإنسان وموافق لرغباته، إذن هم يقولون كل أمر قبله الإنسان ووافق عليه ورغبه لا يعتبر خطيئة أو ذنب، للإنسان مطلق الحرية[٣].

الوصية التاسعة: الشيطان هو أفضل صديق للكنيسة، حيث أبقاها حية وفي عمل وتجارة طوال هذه العصور، يحاول ليفي في هذه الوصية تحسين صورة الشيطان في عقول الناس لا سيما أصحاب الديانات السماوية ؛ لذلك ربط بين علاقة الكنيسة والشيطان، واعتبره أفضل صديق لها على مر العصور، وقد أراد ليفي من خلال هذا القول مغازلة القائمين على الكنائس ليوقفوا مهاجمة أفكاره وإظهار زيغها وزيفها، بادعائه أن وجوده ووجود الكنيسة يصب في صالح المتدينين، ويزيد من التفاف الناس حولهم[٤].

المطلب الثاني: أهم الطقوس التي يمارسونها:

لعبادة الشيطان أفكارا هدامة اعتنقوها وجعلوا منها عقيدة يؤمنون بها ودينًا يدينون به، وطقوسًا يتعبدون بها ويمارسونها، وأصبح دينًا يلتزم به، له معتقدات وأفكار يؤمن بها متبعوه، وله طقوس وعبادات يؤدونها ويمارسونها، فمنذ انضمام أي فرد إلى صفوف الجماعة وحتى نهاية وجوده معهم لا يعفى عن شيء من ذلك كله، بل عليه أن يقدم ما هو جديد من الفساد والطغيان لهذه النحلة، ولكثرة فسادهم وكفرهم والحادهم أصبحت لهم طقوسًا كثيرةً، بعضًا منها لا يستسيغه لربما حتى الإنسان الكافر الملحد، وفي هذا المطلب سأذكر أهم ما يعتقدون به أو يؤدونه من تلك الطقوس حسب تقسين ليفي.

١ - ينظر: عباد الشيطان ٨٨، وظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٧٩.

٢ - سورة الحجر: آية ٣٩ .

٣ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٨٠.

٤ - ينظر: عباد الشيطان ٨٨، وظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٨٠.

يقسم ليفي الطقوس الشيطانية إلى ثلاثة أقسام:

أولًا: الطقوس الجنسية: وهي لإطفاء الشهوة المتوهجة، وإيجاد الرغبة عند الشخص لممارسة الجنس مع من شاء ومتى شاء، والفساد الأخلاقي والفاحشة ظاهرة عند عبدة الشيطان، فأكثر القواعد التي أقيمت عليها دعوتهم والأسس والوصايا التي ذكرتها آنفًا معظمها تصب وتوجب الإنفلات الأخلاقي، وممارسة الجنس مع الرجال والنساء على حد سواء، ومع المحارم وغير المحارم ؛ لذلك فإن طقوس عبدة الشيطان ما هي إلا عبارة عن حفلات وغناء، وممارسة الجنس بكافة أنواعه وأشكاله، والاغتصاب للأعضاء الجدد وجثث الموتى، وكل ذلك يحدث في معابدهم، وأمام كافة الأعضاء[١].

ثانيًا: الطقوس المهلكة وتسمى أيضًا طقوس التدمير، يقوم هذا الطقس على السحر، حيث أنهم يهلكون من يزعجهم أو من يكرهونه بالسحر "وذلك بوضع العمل له ليلًا أو قبل أن يستيقظ بساعتين على الأقل"[٢]، والمراد بالعمل هو السحر، وهذا الطقس يعكس فكرهم، فقد دعوا في وصاياهم إلى الإنتقام والحقد والكراهية والرغبة في القتل والتدمير، وعدم الرحمة والرأفة والشفقة[٣].

ثالثًا: طقوس الرحمة والتعاطف: "وذلك لمساعدة أحد أفراد المجموعة حصيًّا أو ماديًا أو علميًا"[٤]، ومع أن هذا الطقس ذو ظاهرة وطبيعة رحيمة إلا أنه لا يكون إلا لأعضاء الجماعة أو الكنيسة ؛ وذلك لأن الشيطان هو الصديق الأوفى للكنيسة كما جاء في وصايا ليفي[٥]، إذن فالرحمة ليست عامة مع كل الناس، بل يقابلون الناس بالانتقام والتعذيب.

كما أن لهذه الطقوس مستلزمات ووسائل يجب توافرها لإتمام تلك الطقوس، من أهمها:

١- اللباس الأسود الفاضح ولجميع المشاركين رجالًا ونساءً وصغارًا وكبارًا.

---

١ - ينظر: عباد الشيطان ٩٠، وظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٨٣، وعبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، ص١٩٤٤، وعبدة الشيطان ٧٢ – ٧٣، www.masrawy.com، وعبدة الشيطان فيصل الماسونية والنورانية، www.alulah.net (بحث منشور، دون ترقيم).

٢ - عباد الشيطان ٩٠.

٣ - ينظر: عباد الشيطان ٩٠، وظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٨٥.

٤ - عباد الشيطان ٩٠.

٥ - ينظر: ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص ٨٤، وعباد الشيطان في العالم (دون ترقيم).

٢- المذبح، وهو مكان عادة مرتفع يقدمون فيه قربانهم للشيطان، وأيضًا يمتحنون ويضمون العضو الجديد إلى الجماعة في ذلك المكان.

٣- رمز البافوميت (Baphomet) وهو أحد أهم رموز عبدة الشيطان وقد استخدم من قبل فرسان الهيكل ليمثل الشيطان ويوضع على حائط فوق المذبح.

وهناك رموز أخرى يستخدمونها في طقوسهم كالشموع السوداء، والأجراس، وكأس القربان وشرباه، واستخدام السيف، والمخطوطة وهي قطعة من جلد الماعز تستخدم لكتابة الطلبات عليها[١].

المطلب الثالث: أهم الأعياد والمناسبات عندهم:

لا بدّ لهم من أعياد ومناسبات دينية تناسب دينهم الذي ادعوه وعقيدتهم التي ابتدعوها، وقد تكون لهم أعيادًا ومناسبات غير دينية أيضًا والغاية من أنواع وتعدد المناسبات والأعياد لجذب أكبر عدد ممكن من الناس، ولإظهار حرية ما يدعون إليه –الحرية المطلقة العمياء– ؛ ولذلك كانت لهم أعيادًا منوعة كثير أذكر أهمها:

١- عيد ميلاد الفرد: ويعني الإحتفال بيوم الولادة للشخص، وللأسف الشديد أن بعض المسلمين أخذوا منهم تلك المناسبة وذلك العيد فيحتفلون بميلاد ولد أو بنت أو زوج أو زوجة أو قريب ويحتفلون بذلك احتفالًا غالبا ما يكون فاحشا يبذخون له الأموال، ويستأجرون له مطربًا أو مطربةً أو فرقة بأكملها، وهم يعلمون حرمة ذلك لكنهم يقنونه من باب الديمقراطية ولا يعلمون أن ذلك من أعياد ومناسبات قوم كفروا بالله تعالى أشد الكفر.

٢- عيد الهالووين: وهو من أهم أعيادهم، ويكون في آخر يوم من شهر اكتوبر وأول يوم من شهر نوفمبر، ويكون الاحتفال بذلك اليوم لإله الموتى الذي يطلق الأرواح في تلك الليلة لتعود إلى مساكنها.

---

١ - ينظر: عباد الشيطان ٩٠ – ٩٨، وظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٨٥، وعبدة الشيطان ٧٢ – ٧٣ ،www.masrawy.com، وعباد الشيطان في العالم (دون ترقيم)، وعبدة الشيطان فيصل الماسونية والنورانية www.alulah.net (دوم ترقيم).

٣- عيد القديس: وهو يقام في ليلة الحادي والثلاثين من اكتوبر ومن طقوسه أن تقوم الساحرات بالعبادة ومراقصة الشيطان.

٤- عيد الفسق العظيم: وهو في اليوم الأول من مايو، تقام فيه طقوس الدماء، ويتكرر أيضًا في اليوم الرابع والعشرين من شهر ديسمبر حيث "تقام فيه طقوس الدماء أيضًا، والذبيحة يكون ضحيتها طفل صغير، ولا يذبح حتى ينال أنواع التعذيب والتنكيل بجثته أو يشق صدره وهو حي لأكل كبده أو قلبه دافئًا، كل هذا الإجرام اللا أخلاقي يسهل للساحر الحصول على الطاقة المطلوبة لإرضاء الشيطان ثم بلوغه المرتبة العليا ليشبع رغبات نفسه"[١]، وكل تلك الأعياد والمناسبات والطقوس إنما تدل على إظهار الفاحشة بين الناس، وتغذية منابع الكره والبغضاء والحقد بين الناس، وتسليط أنظار الناس إلى الباطل دون الحق وإلى الفساد دون الإصلاح.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا ونبينا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله الطيبين وصحبه الغر الميامين ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين...

أما بعد:

فهذا مختصر ما توصلت إليه من استنتاجات في بحثي هذا اجملها فيما يأتي:

النتائج:

١- الإطلاع الجيد والفهم الدقيق لهذه الجماعة السرية نوعًا ما، والتي بدأت تحصد ثمارها في الوطن العربي وفي بلدان المسلمين.

٢- إثبات أن هذه الجماعة قديمة على مر العصور والتأريخ وليس وليدة العصر الحديث.

---

١ - الرقم سبعة (٧) أثره في المعتقدات والآداب والفنون وغيرها، بلعيد محاسن، دار الكتب العلمية، بيروت، (د / ت)، ج٣ / ص٢٠٣، وينظر في ذلك: عبادة الشيطان ٩٥ وما بعدها، وظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، ص٨٨ وما بعدها.

٣- التأثير الواضح لليهود في انتشار هذه الجماعة، ونشر عقائدها، وطقوسها، ولا سيما في الشرق الإسلامي.

٤- استغلال عبدة الشيطان للسحر والشعوذة والجنس كأداة لنشر أفكارهم واغواء الشباب واستمالتهم.

٥- التناقض الكبير والواضح في عقائد وطقوس عبدة الشيطان وتكذيب بعضها بعضًا.

المصادر والمراجع

أ) الكتب والمؤلفات:

١- القرآن الكريم.

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.

٣- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط/٥، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٤- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (ت: ٣٧٥هـ)، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر – بيروت، (د/ت).

٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د/ت).

٦- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٧- الرقم سبعة (٧) أثره في المعتقدات والآداب والفنون وغيرها، بلعيد محاسن، دار الكتب العلمية، بيروت، (د / ت).

٨- ظاهرة عبادة الشيطان دراسة وتحليل، رسالة ماجستير للطالب طارق عمر علي التلباني، بإشراف د. يحيى علي الدجني، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين – غزة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٩- عبّاد الشيطان أخطر الفرق المعاصرة، يوسف البنعلي، المكتب الإسلامي للطباعة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

١٠- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي – دمشق.

ب) البحوث والمقالات:

١- عبدة الشيطان بدأوا من البارون وانتقلوا لطابا ثم وصلوا إلى السعودية، بحث منشور بقلم محمد الحكيم، على موقع أخبار مصراوي: www.masrawy.com .

٢- عبدة الشيطان فيصل الماسونية والنورانية، بحث للدكتور: بلبل عبد الكريم، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م، منشور على الموقع الرسمي للدكتور: سعد بن عبد الله الحميد: www.alulah.net

٣- عبادة الشيطان في العالم: من أين بدأت، ومتى دخلت العالم العربي، بحث من اعداد: محمود عبد اللطيف، ٢٠١٢م، منشور على موقع صوت العروبة: (www.arabrioce.comL2600).

٤- عبادة الشيطان دراسة وصفية تحليلية، عالية القرني، جامعة الملك خالد، كلية التربية للبنات، قسم الدراسات الإسلامية، والمنشور بمجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد ٢٦ (٨)، ٢٠١٢م.

٥- الجذور التاريخية لعبدة الشيطان / د. محمود يوسف الشوبكي، ويحيى علي الدجني، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م (دون ترقيم).

المعاملات الربوية وأثرها على مقصد الشريعة الإسلامية في حفظ المال

د.محمد احمد مطر المحلاوي، جامعة الفلوجة، كلية الشريعة

المقدمة :

جاءت الشريعة المطهرة لإقامة بنيان الأمة الإسلامية بالحفاظ على الضرورات الست والتي لا بقاء لمجتمع وأمة إلا بالحفاظ عليها وهذه الضرورات الست هي: الدين، النفس، النسل، العرض، العقل، والمال .

والمال قوام الحياة ولا قيام لإنسان ولا بقاء له إلا بالمال فهو الطعام والشراب والسكن والعدة والعتاد. وقد وصفه الله بذلك فقال: {ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما} (النساء:٥) فالمال قوام الحياة ، وقد شرع الله سبحانه وتعالى من التشريعات ما يكفل الحفاظ عليه، وتنميته بكل وسيلة صالحة، فأباح الله للمسلمين أن ينموا أموالهم بالزراعة، والصناعة، والرعي، وإحياء الموات واستخراج المعادن، والصيد، والتجارة، والإجارة، والمشاركة والمقارضة، ووضع التشريعات التي تكفل تنظيم كل ذلك حتى لا يطغى شريك على شريك، ولا عامل على صاحب عمل، والعكس، ولا البائع على المشتري والعكس، ولا المستأجر على المؤجر والعكس وكل ذلك في نظام تشريعي يكفل العدل وتوزيع الثروة، وقيام الحافز وشحذ الهمة للربح والعمل ، كما جعل للفقراء نصيبا في مال الأغنياء بالصدقة والزكاة حتى يتم التكافل والتحابب والتعاون، وتسد خصلات الناس جميعا ، ونهى سبحانه عن كل من شأنه أن يكون أكلا لأموال الناس بالباطل كالرشاوي والقمار، والرهان، وحرم الربا لما يجر من فساد في المجتمع بحيث يجمع الثروة في أيدي طائفة من المرابين الرأسماليين فقط، والربا لا شك أنه مصدر الكوارث الاقتصادية والفساد الاجتماعي هذا في باب تنمية المال بالطرق المشروعة وتحريم الكسب الخبيث ، وأما ما شرعه الله سبحانه وتعالى للحفاظ على المال، فكثير جدا، فمن ذلك سن الله

سبحانه حد السرقة ليكون هذا رادعا عن العدوان على المال الخاص أو العام[1] ، والربا حرام في الإســلام لقوله تعالى : { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّـيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا } [البقرة: ٢٧٥] إلى غيرها من نصوص الكتاب والسنة وإجماع العلماء ، وحُرم كذلك في كل الشرائع السماوية لما فيه من الأضرار الاقتصادية والاجتماعية[2] وهذا البحث يتناول موضوع المعاملات الربوية وأثرها على مقصد الشريعة الإسلامية في حفظ المال.

أهمية البحث :

يأخذ البحث أهميته من خلال الآتي :

ـــ معالجته لموضوع يتعلق بأهداف الشريعة وغاياتها وهو موضوع (مقصد الشريعة الإسلامية في حفظ المال) .

ـ تناوله لموضوع المعاملات الربوية التي انتشرت انتشاراً واسعاً في هذا العصر وتحت مسميات كثيرة وخادعة مما يحتم التعريف بها والتنبيه لخطورتها .

ــــ يلبي البحث حاجة الباحثين وطلاب العلم عامة والدراســين المتخصــصــين في المعاملات المالية على وجه الخصوص .

مشكلة البحث وأسئلته :

تتبلور مشـــكلة البحث في التســـاؤل التالي : ما مدى تأثير المعاملات الربوية على مقصد الشريعة الإسلامية في حفظ المال ؟ ويتفرع منه الأسئلة التالية :

١/ ما المقصود بالمعاملات الربوية ؟

٢/ ما أنواع المعاملات الربوية ؟

٣/ ما ضوابط التي تساعد على حفظ المال في الشريعة الإسلامية .

أهداف البحث :

(١) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية : عبد الرحمن عبد الخالق ، الكويت ١٧ من ذي الحجة سنة ١٤٠٤هـ ص ٢٩ .

(٢) أحكام القرآن : أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصــاص ، ضــبط نصــه وخرج آياته عبد الســلام محمد علي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى ١٤١٥ - ١٩٩٤ م ٥١٣/٢، ومجموع الفتاوى : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار الفكر بيروت ١٨/٣ .

يهدف البحث لتحقيق عدة أهداف منها :

. بيان مفهوم المعاملات الربوية والآثار المترتبة عليها .

. الكشف عن أسباب عناية الشريعة بالمال وجعله أحد الضروريات الخمس .

. التعرّف على أثر المعاملات الربوية على مقصد الشريعة الإسلامية في حفظ المال .

منهج البحث :

اعتمد الباحث في كتابة هذا البحث على : المنهج التاريخي وهو عبارة عن إعادة للماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها، كما استفاد الباحث كذلك من المنهج الوصفي : وهو طريقة من طرق التحليل والتفسير بشكل علمي منظم من أجل الوصول إلى أغراض محددة لوضعية اجتماعية أو مشكلة اجتماعية أو إنسانية .

الدراسات السابقة :

هناك الكثير من الدراسات التي تناولت الربا فقد : تناولت رغداء محمّد أديب زيدان (٢٠٠٠م) موضوع الرّبا وبدائله في الإسلام وحاولت من خلال البحث بيان أنّ الرّبا لا يساهم في تقدّم الإقتصاد, بل هو على العكس من ذلك سبب أساسيّ في الأزمات الإقتصاديّة, وسبب رئيس أيضاً في تقسيم المجتمع إلى أغنياء وفقراء, وهو لا يخدم إلّا فئة قليلة لا يهمّها سوى الربح وجمع المال, وحتّى هذه الفئة تكون فائدتها مؤقّتة لأن خلل الإقتصاد الّذي يسبّبه الرّبا سوف يصيبها لا محالة.

وناقش محمد محروس المدرس الأعظمي (٢٠٠٥ م) البدائل المقترحة عن الربا في المديونية ذات القيمة الكبيرة وتوصل البحث إلى أن هذه البدائل تدفع الاقتصاد الإسلامي إلى الأمام قدما ، وتبعد عن الربا الذي يفر منه كل مسلم كما يفر أحدنا من الأسد وتحقق المنافع التي حققها الاقتصاد الغربي، من : تجميع الأموال ، واستخراج المكتنزات.. وتحويلها إلى مدَّخرات منتجة ، وزيادة الدخل القومي، الذي يخسر مبالغ كثيرة، بسبب : عدم قدرة الأموال الصغيرة على تحقيق مشاريع كبيرةٍ منتجة، وعدم القدرة على العمل عند كثيرٍ من أصحاب

المدَّخرات، أو عدم المعرفة بطرق الإنتاج النافع.. فنجمع أموالهم بالإقراض الذي يأتيهم بنفع، ويشغِّل ما كان عاطلاً.

هيكل البحث :

يقوم هيكل البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة عبى النحو التالي :

المقدمة :

وتتضمن :

. أهمية البحث .

. مشكلة البحث .

. أهداف البحث .

. منهج البحث .

. الدراسات السابقة .

. هيكل البحث .

المبحث الأول : تعريف المعاملات الربوية وبيان أنواعها والأدلة على تحريمها

وفيه مطلبان :

. المطلب الأول : تعريف المعاملات الربوية وبيان أنواعها .

. المطلب الثاني : أدلة تحريم المعاملات الربوية .

المبحث الثاني : الآثار المترتبة على المعاملات الربوية

وفيه مطلبان :

. المطلب الأول : الآثار الاجتماعية والاقتصادية للمعاملات الربوية .

. المطلب الثاني : دور المعاملات الربوية في عدم تحقيق مقصد حفظ المال .

الخاتمة :

نتائج البحث وتوصياته .

المصادر والمراجع :

بترتيب حروف المعجم بتقديم اسم الكتاب على اسم المؤلف .

المبحث الأول

تعريف المعاملات الربوية وبيان أنواعها والأدلة على تحريمها

المطلب الأول : تعريف المعاملات الربوية وبيان أنواعها

أولاً : تعريف المعاملات لغة وإصطلاحاً

المعاملات في اللغة : جمع معاملة ؛ وهي مأخوذة من العمل وهو لفظ عام في كل فعل يقصـــده المكلف(١) ، قال ابن منظور : " وعاملت الرجل أعامله معاملة والمعاملة في كلام أهل العراق هي المساقاة في كلام الحجازيين ..." (٢) .

وأما في الاصطلاح : فهي الأحكام الشرعية المتعلقة بأمور الدنيا كالبيع والشراء والإجارة والرهن وغير ذلك(٣) ، وقيل : المعاملات جمع المعاملة من العمل وهي فعل يتعلق به قصد وهي حق العبد عرفا. فالمعاملات خمسة – المعاوضات المالية – والمناحكات والمخاصمات – والأمانات – والبركات (٤) .

ويطلق علماء الفقه وأصوله مصطلح المعاملات في مقابل مصطلح العبادات في ذكر أنواع أبواب الفقه ، وقالوا أن مدار أمور الدين خمسة أشياء وهي : (الاعتقادات والعبادات والمعاملات والزواجر والآداب)(٥) .

والأصل في أحكام العبادات عدم التعليل؛ لأنها قائمة على حكمة عامة، وهي التعبد دون إدراك معنى مناسب لترتيب الحكم عليه ، وأما أحكام المعاملات والعادات والجنايات ونحوها،

---

(١) المعجم الوسيط : أحمد الزيات وآخرون تحت إشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، نشر: دار الدعوة ٦٢٨/٢ .

(٢) لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر بيروت ، الطبعة

الأولى ٤٧٤/١١ .

(٣) القاموس الفقهي : سعدي أبو حبيب ، دار الفكر ، دمشق – سورية ، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م تصوير: ١٩٩٣ م ص٢٦٣ .

(٤) دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون) : القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ٨٥/٢ .

(٥) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٥٨/١١ .

فالأصل فيها: أن تكون معللة؛ لأن مدارها على مراعاة مصالح العباد، فرتبت الأحكام فيها على معان مناسبة لتحقيق تلك المصالح(١).

ثانياً : تعريف الربا لغة واصطلاحاً

الربا في اللغة مطلق الزيادة والنماء ، جاء في صـحاح الجوهري : " ربا الشـئ يربو ربوا، أي زاد ، والرابية: الربو، وهو ما ارتفع من الارض وربوت الرابية: علوتها "(٢) ، وقال ابن فارس : " الراء والباء والحرف المعتل وكذلك المهموز منه يدل على أصـل واحد، وهو الزيادة والنماء والعلو. تقول من ذلك: ربا الشـيء يربو، إذا زاد. وربا الرابية يربوها، إذا علاها. وربا: أصـابه الربو؛ والربو: علو النفس "(٣) ، وجاء في القاموس المحيط للفيروزآبادي : " ربا ربوا، كعلو، ورباء: زاد، ونما ... "(٤) .

والربا في اصطلاح العلماء والفقهاء هو الزيادة وفي الشرع هو فضل خال عن عوض شـرط لأحد العاقدين "(٥) ، وعرّف الحنفية الربا بأنه : فضـل خال عن عوض بمعيار شـرعي مشـروط لأحد المتعاقدين في المعاوضـة(٦) وعرّفه الشـافعية بأنه: عقد على عوض مخصـوص غير معلوم التماثل في معيار الشـرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما(٧) ، وعرّفه الحنابلة بأنه: تفاضـل في أشياء، ونسء في أشياء، مختص بأشـياء ورد الشـرع بتحريمها – أي تحريم الربا فيها – نصـا في البعض، وقياسـا في الباقي منها(٨) ، وعرّف المالكية كل نوع من أنواع الربا على حدة(٩) .

(١) الموافقات : براهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م ٣٠٠/٢ .

(٢) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) : إسماعيل بن حماد الجوهري ، دار العلم للملايين ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م ٢٣٤٩/٦ .

(٣) معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا أبو الحسين الرازي ، تحقيق : عبد السَّلام محمد هَارُون ، اتحاد الكتاب العرب ، الطبعة الأولى : ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م ٤٨٣/٢.

(٤) القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق: محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة ط ٨ ، ٢٠٠٥م ص١٢٨٦ .

(٥) التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ ص١٤٦ .

(٦) رد المحتار على الدر المختار : ابن عابدين محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الحنفي ، دار الفكر-بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ١٧٦/٤ .

(٧) مغني المحتاج لى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ٢١/٢ .

(٨) كشاف القناع عن متن الإقناع : منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى ، دار الكتب العلمية ٢٥١/٣، ودقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات : منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى ، عالم الكتب - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ١٥٧/٣.

(٩) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني : علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي ، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر – بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ٩٩/٢ .

أنواع المعاملات الربوية :

الربا المحرم في الإسلام نوعان[١] :

ـ أولهما: ربا النسيئة الذي لم تكن العرب في الجاهلية تعرف سواه، وهو المأخوذ لأجل تأخير قضاء دين مستحق إلى أجل جديد، سواء أكان الدين ثمن مبيع أم قرضاً.

ــــ ثانيهما: ربا البيوع في أصناف ستة هي الذهب والفضة والحنطة والشعير والملح والتمر وهو المعروف بربا الفضـــل. وقد حرم ســـداً للذرائع، أي منعاً من التوصـــل به إلى ربا النسيئة، بأن يبيع شخص ذهباً مثلاً إلى أجل ثم يؤدي فضة بقدر زائد مشتمل على الربا.

والنوع الأول هو المحرم بنص القرآن وهو ربا الجاهلية، وأما الثاني فقد ثبت تحريمه في السنة بالقياس عليه لاشتماله على زيادة بغير عوض، وأضافت السنة تحريم نوع ثالث وهو بيع النَّساء إذا اختلفت الأصناف، فاعتبرته ربا؛ لأن النَّساء في أحد العوضين يقتضي الزيادة. ويساويه في المعنى القرض الذي يجر نفعاً؛ لأنه مبادلة الشيء نفسه[٢] .

وربا البيع عند جمهور الفقهاء نوعان[٣] : ربا الفضل وربا النسيئة[٤] ، وقد عرّف فقهاء الحنفية ربا الفضـــل[٥] الذي هو بيع: بأنه زيادة عين مال في عقد بيع على المعيار الشـــرعي (وهو الكيل أو الوزن) عند اتحاد الجنس. ولم نقل: (شرطت في عقد بيع) كما ذكر الكاساني؛ لأن ترك ذلك أولى فإن الربا يتحقق بالزيادة المشروطة وغير المشروطة في البيع أو في القرض، والقصد من قوله (عين مال) هو أنه ينظر في تحقيق الفضل أو الزيادة إلى المقدار والكمية لا إلى القيمة، واحترز بقيد (المعيار الشـــرعي) عن المذروع والمعدود، فإنه لا يتحقق فيهما ربا. كما لا ربا في الأموال القيمية مثل أنواع الحيوان والبسط والطنافس والأثاث والأراضي والشجر

(١) الفقه الإسلامي وأدلته : وهبة الزحيلي ، الطبعة الرابعة، دار الفكر – دمشق – سورية ٣٥٣/٥ .

(٢) الموافقات للشاطبي ٤٠/٤.

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته ٣٥٤/٥ .

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م ١٨٣/٥، بداية المجتهد ونهاية المقتصد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، دار الحديث – القاهرة، ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م ١٢٩/٢، و المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني : عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ٥/٤ .

(٥) سماه ابن القيم الربا الخفي الذي كان تحريمه من باب سد الذرائع ، انظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين : محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ١٧٢/٢.

والدور، فلا تحرم فيها الزيادة، فيجوز فيها أخذ كثير مقابل قليل من جنسه؛ لأن القيميات ليست من المقدرات أي مما لا تخضع في مبادلتها لمقدار كيلي أو وزني موحد. وإنما يختص الربا في كل مكيل أو موزون، فلو باع خمسة أذرع من قماش معين بستة أذرع منه، أو بيضة ببيضتين أو شاة بشاتين، جاز بشرط التقابض في المجلس، فإذا كان أحدهما نسيئة لم يجز البيع؛ لأن وجود الجنس فقط كاف لتحريم ربا النَّساء، أي تأجيل أحد البدلين[1].

وأما ربا النسيئة[2] الذي هو بيع، فقد عرفه الحنفية بأنه: فضل الحلول على الأجل، وفضل العين على الدين في المكيلين أو الموزونين عند اختلاف الجنس، أو في غير المكيلين أو الموزونين عند اتحاد الجنس[3]، أي أن يباع الجنس الواحد ببعضه، أو بجنس آخر مع زيادة في الكيل أو الوزن في نظير تأخير القبض، كبيع صاع من الحنطة بصاع ونصف يدفع له بعد شهرين،وكبيع صاع من القمح بصاعين من الشعير يدفعان له بعد ثلاثة أشهر، أو بدون زيادة كبيع رطل من التمر ناجز تسليمه برطل آخر من التمر مؤجل التسليم، وهذه أمثلة المكيل أو الموزون عند اختلاف الجنس أو اتحاده. وأما مثال غير المكيل أو الموزون عند اتحاد الجنس فهو بيع تفاحة بتفاحتين لشهر مثلاً[4]. ففي كل هذه الأمثلة يوجد ربا النسيئة لاشتماله على زيادة في أحد العوضين بدون مقابل، وأما سبب التحريم عند التساوي قدراً فهو بسبب الزيادة في القيمة، إذ لا يقبل أحد العاقدين عادة تأجيل تسليم أحد العوضين إلا عند وجود الزيادة به في القيمة[5].

ربا المصارف أو فوائد البنوك :

(١) الفقه الإسلامي وأدلته ٣٥٥/٥ .

(٢) سماه ابن القيم الربا الجلي : وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية، فيقول الدائن للمدين عند حلول الأجل: أتقضي أم تربي؟ وهذا هو الربح المركب ، انظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين ١٧٢/٢.

(٣) بدائع الصنائع ١٨٣/٥، ورد المحتار ١٨٤/٤ .

(٤) إن الزيادة المادية التي سيحصل عليها البائع بعد مدة كانت في مقابل تسليم المشتري في الحال مداً من الحنطة. وهذا هو المقصود بفضل الحلول على الأجل أي أن المال المدفوع في الوقت الحاضر أكثر أهمية من المدفوع في المستقبل، وأما المقصود بفضل العين على الدين فهو أن الشيء المعين بذاته يكون أكثر أهمية من الشيء المعين بنوعه إذ قد يختلف هذا عن الوصف، انظر : الفقه الإسلامي وأدلته ٣٥٦/٥ .

(٥) الموافقات للشاطبي ٤٢/٤.

يرى العلماء أن ربا المصارف أو فوائد البنوك من ربا النسيئة، سواء أكانت الفائدة بسيطة أم مركبة، لأن عمل البنوك الأصلي الإقراض والاقتراض، فتدفع للمقرض فائدة ٤٪ أو ٥٪ وتأخذ فائدة من المقترض ٩٪ أو ١٢٪، ولا يصح القول بأن البنك مجرد وسيط بين المودع والمقترض، يأخذ عمولة مقابل وساطته، لأن البنك ممنوع من القيام بنشاط استثماري، ولا يتقاسم المودع مع البنك الربح والخسارة، ولا يتقاسم البنك مع المقترض في مشروعه الأرباح والخسائر، والنسبة مع الطرفين محددة مشروطة سلفاً سواء بالنسبة للمودع أو المقترض، وإن مضار الربا في فوائد البنوك متحققة تماماً، وهي حرام حرام كالربا وإثمها كإثمه، لقوله تعالى: {وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ } [البقرة: ٢٧٩] وقد أصبح الربا في عرف الناس اليوم لا يطلق إلا على ربح المال عند تأخيره، وهو مشابه لربا الجاهلية المضاعف مع مرور الزمن. فربا النسيئة الواقع في عقدي الصرف والقرض هو الواقع الآن، كشراء نقد، (دولارات) بنقد (دراهم) دون تقابض، واقتراض أو استلاف دنانير على أن يرد زيادة عليها بنسبة معينة ٥٪ مثلاً، أو مبلغاً مقطوعاً كمئة دينار أو ألف. وأما ربا الفضل فهو نادر الحصول، لكنه حرام سداً للذرائع إلى ربا النسيئة[١] .

المطلب الثاني : أدلة تحريم المعاملات الربوية

الربا محرم بالقرآن والسنة والإجماع[٢] ، أما القرآن الكريم : فقوله تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} [البقرة: ٢٧٥] ، وقال تعالى : {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة: ٢٧٨] ، وكان تحريم الربا سنة ثمان أوتسع من الهجرة.

وأما دليل تحريمه في السنة فقوله صلّى الله عليه وسلم : «اجتنبوا السبع الموبقات. وذكر منها أكل الربا»[٣] وروى ابن مسعود رضي الله عنه قال:

(١) الفقه الإسلامي وأدلته ٤٠٠/٥ .

(٢) المرجع السابق ٣٥٢/٥ .

(٣) صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، في ١ - كتاب الإيمان ٣٨ - باب بيان الكبائر وأكبرها ٩٢/١ حديث ٨٩.

« لعن رسول الله صلّى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه»[1]. وأجمعت الأمة على أن الربا محرّم، قال الماوردي: "حتى قيل: إنه لم يحلَّ في شريعة قط"[2] ، لقوله تعالى: {وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ } [النساء: ١٦١] يعني في الكتب السابقة .

وتحريم الربا مر بمراحل أربع[3] : أولها : تقبيح فعل اليهود الذين يأكلون الربا والتشنيع عليهم في قوله تعالى: {سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ} [المائدة: ٤٢] ثانيها : التفرقة بين الربا والزكاة في قوله تعالى: {وما آتيتم من رباً ليربو في أموال الناس، فلا يربو عند الله، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله، فأولئك هم المضعفون } [الروم:٣٩/٣٠] وثالثهما : التنديد بفعل العرب المشركين في الجاهلية ونهي المؤمنين عن محاكاة فعلهم بقوله تعالى: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ } [الروم: ٣٩] والنهي ليس مقصوراً على حالة المضاعفة، وإنما هذا قيد لبيان الواقع، وتقبيح الوضع القائم الشائع بين العرب حينما يقرض أحدهم لآخر قرضاً لمدة، ثم يحل أجل القرض ويعجز المدين المقترض عن وفاء دينه، فيقول له المقرض الدائن: (إما أن تقضي أو تربي) فيزيد له في الأجل مقابل الزيادة في الربا، وهذا عين عمل المصارف الحالية تكون الفائدة ٧٪ أو ٩٪ مثلاً، فيعجز المدين عن سداد الدين، فتضاعف عليه الفائدة في العام الثاني والثالث وهكذا حتى تكاد الفائدة في النهاية تعادل أصل رأس المال وهذه هي الفائدة المركبة،والتي لا يتنبه لها القائلون بفوائد البنوك المقللون لمقدارها والمبيحون لها، بل إن هذه الفوائد أسوأ من ربا الجاهلية[4] .

ورابعها : تحريم الربا تحريماً قطعياً ووصف المرابين بالتعرض لحرب الله ورسوله، في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

(١) سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، دار الفكر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد في ١٧ - كتاب البيوع ٤ باب في آكل الربا وموكله ٢٦٤/٢ حديث ٣٣٣٣.

(٢) الحاوى الكبير : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردى ، دار الفكر للنشر ، بيروت ١٣٦/٥

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته ٣٩٦/٥ .

(٤) الفقه الإسلامي وأدلته ٣٩٧/٥ .

قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} [البقرة: ٢٧٥، ٢٧٦] ثم قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ } [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

المبحث الثاني

الآثار المترتبة على المعاملات الربوية

المطلب الأول : الآثار الاجتماعية والاقتصادية للمعاملات الربوية

قال الله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٨٨] أي: ولا تأخذوا أموالكم أي: أموال غيركم، أضافها إليهم لأنه ينبغي للمسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويحترم ماله كما يحترم ماله، ولأنّ أكله لمال غيره يجرؤ غيره على أكل ماله عند القدرة ، ولَمّا كان أكلها نوعين: نوع بحق، ونوع بباطل، وكان المحرّم إنما هو أكلها بالباطل، قيّده تعالى بذلك، ويدخل في ذلك أكلها على وجه الغصب، والسرقة، والخيانة في وديعة، أو عارية، أو نحو ذلك، ويدخل فيه أيضا أخذها على وجه المعاوَضة بمعاوضة محرّمة كعقود الربا والقمار. كلها فإنها من أكل المال بالباطل، لأنه ليس في مقابلة عوض مباح. ويدخل في ذلك أخذها بسبب غِش في البيع والشراء ونحوها. ويدخل في ذلك استعمال الأجراء وأكل أجرتهم، وكذلك أخذهم أُجرة على عمل لم يقوموا بواجبه(١) .

آثار الربا الاجتماعية :

إن الربا عمل يتنافى مع الشرع الإسلامي ، إنه يقوم على الاستغلال ، والمرابي لا يجعل الله في حسابه ولا يراعي المبادئ والغايات والأخلاق، وإنما الغاية عنده هي تحصيل المال

(١) من أحكام الفقه الإسلامي وما جاء في المعاملات الربوية وأحكام المداينة : عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ص ١٦.

بأي طريق وأية وسيلة، ويؤدي هذا إلى إنشاء نظام يسحق البشرية ويشقيها أفراداً وجماعات، دولاً وشعوباً، لمصلحة شرذمة قليلة من المرابين لا يرعون عهداً ولا ذمة لأحد من الناس[١].

وللربا في المجتمعات التي تتعامل به آثارٌ وخيمة على الفرد وحده وعلى المجتمع بأسره ويمكن أن نبحث في آثار الربا الاجتماعية من ناحيتين: الناحية الأخلاقية والنفسية والناحية الجماعية وهي كما يلي : من الناحية الأخلاقية والنفسية : الربا واحد من الأعمال التي تعمق في الإنسان الانحراف عن المنهج السوي، ذلك أنّ المرابي يستعبده المال، ويعشي ناظريه بريقُه، فهو يسعى للحصول عليه بكل سبيل، وفي سبيل تحقيق المرابي لهدفه يدوس القيم، ويتجاوز الحدود، ويتعدى على الحرمات[٢] .

والربا ينبت في النفس الإنسانية صفات ذميمة ويصرف عنه ما يحصل للمؤمنين المتقين من السعادة، ومن ذلك : ينبت الربا في النفس الإنسانية الجشع كما ينبت الحرص والبخل ، ومن آثاره أيضاً الشَّره والكسل غير المريح وهذه الآفة تظهر آثارها جلية واضحة في الشره الذي يخيم على نفوس المرابين، ويجعلهم يستغلون كل قوى غيرهم وإنتاجه في كسب يعود عليهم. إن تسهيل القرض بفائدة شجع الكثيرين على الإسراف وعدم الادخار، فإنه إذا كان يشجع على الادخار الآثم عند بعض الناس، فهو يشجع على عدم الادخار عند الآخرين، لأنه إذا كان المسرف يرى مَنْ يقرضه بالفائدة في أي وقت فأنه لا يرعوي، ولا يحسب حساب المستقبل بحيث يدخر في حاضره ما يحتاج إليه في قابله، وإن اضطرته حاجته يجد المصرف الذي يقرضه بفائدة الضامن الذي يضمنه ، كما إن التعامل بالربا يوجد اضطراباً نفسياً مستمراً بالنسبة لآكل الربا وموكله على السواء، وإنه فوق ما يحدثه من اضطراب في النظام الاقتصادي يوجد قلقاً نفسياً مستمراً للمتعاملين، وهو بالنسبة لآكله ينبعث من جشعٍ أساسه الكسب من جهود غيره، وبالنسبة للآخر المستغل ينبعث من جشعٍ في كسبٍ ليس في مقدوره[٣]. ويمكن القول أن الآثار التي تظهر في المجتمع الذي يتعامل بالربا آثار كثيرة منها : فقدان التآلف وحصول الكراهية

(١) الربا وخطره وسبيل الخلاص منه ص ٢٩ .

(٢) الربا وأثره على المجتمع الإنساني : محمد عثمان شبير وآخرين - الناشر دار النفائس - عمان - الأردن ، ص١٠١ .

(٣) المرجع السابق ، ص١٠٢ .

والحقد والبغض بين أفراد ذلك المجتمع واختلال توزيع الثورة المؤدي إلى خلل يصـــيب المجتمع كما أن الربا بما يحدثه في النفوس من أمراض، وبما يوجده في الاقتصاد من بلايا، وبما يصنعه من خلل يصيب المجتمعات الإنسانية بالدمار كما لعب الربا دوراً هاماً في انهيار المجتمعات.

آثار الربا الاقتصادية :

انتشــر التّعامل بالرّبا بحجّة خدمة الإقتصــاد, ولكنّ خطر الرّبا يطال الإقتصــاد ويؤثّر فيه تأثيراً سلبيّاً, وذلك من خلال[١]:

١ . الرّبا يسبّب الأزمات الإقتصاديّة : وذلك من ناحيتين: الأولى, ما تصيبه طبقة المرابين من إثراء غير مشروع بسبب حصولهم على الفوائد المقرّرة على المقترضين دون المساهمة في مخاطر مشروعاتهم. والثّانية, ميل طبقة المرابين في أوقات الرّخاء إلى التّوسّع في الإقراض, وميلها إلى تقنين الإقراض في أوقات الرّكود, أو منعه خوفاً من احتمالات الخسارة, وعملاً على استرداد قروضها, وإرغاماً للمقترضين على السّداد[٢] , مما يزيد من سوء الأزمات الإقتصاديّة ويوسّع أضرارها.

٢ . الرّبا يسبب الغلاء والإنحرافات الماليّة: فالفائدة الّتي يدفعها المنتج إلى المقرض تُضاف إلى تكاليف الإنتاج, وما ذلك إلّا لأنّ أيّ مشروع لا يعطي أرباحه إلّا بعد سنة أو بضع سنوات, بينما تكون الفائدة مستحقّة في فترة لا علاقة لها بالأرباح, مما يؤدّي إلى غلاء الأسعار, ونحن نعرف أنّ الّذي يستخدم هذا الإنتاج هم أفراد الشّعب الفقراء بشكل عامّ .

٣ . إنّ تركّز المال عند المرابي يحرم النّشاط الإقتصادي من هذا المال ومن دخوله فيه, مما يؤدّي إلى الرّكود والتّأخّر الإقتصادي. حيث أنّ هذا المرابي لا يقوم بأيّ نشاط اقتصادي إلّا إذا جاء من يقترض منه, ويتحمّل مخاطر المشاريع الإقتصاديّة وحده, أمّا المرابي فهو يريد ربحاً مضموناً, وليس على استعداد للتّعرّض لمخاطر أيّ مشروع اقتصادي.

---

(١) الربا وبدائله في الإسلام : رغداء محمّد أديب زيدان ، موقع مكتبة صيد الفوائد http://www.saaid.net/book/index.php ص ١٥ .

(٢) محاضرات في الثّقافة الإسلاميّة : أحمد محمّد جمال ، دار الكتاب العربي, بيروت, ط٦, ١٩٨٣/١٤٠٣ ص ٣٣٩.

٤ . يؤثّر الرّبا على إنشاء الصّناعات الجديدة, وتوسّع الصّناعات القائمة, فالآلات الّتي تُخترع يجب أن تحقق ربحاً سنويّاً يعادل تكلفتها + سعر الفائدة, حتّى يستطيع الصّناع توظيفها في الإنتاج.

المطلب الثاني : دور المعاملات الربوية في عدم تحقيق مقصد حفظ المال

يقول ابن خلدون عن دور المال وأهميته وضـــرورة تنظيم أُموره " وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك، بل هي ثلث أركانه ، لأن الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه ، فاحتاج صـاحب الملك إلى الأعوان في أمر السـيف ، وأمر القلم ، وأمر المال فيتفرد صـاحبها لذلك بجزء من رياســة الملك"[١]. ولما كان المال قوام الحياة وعماد الاقتصـــاد ومصـــدر من مصـادر قوة الأمة والأفراد, فقد اعتنى الإسـلام بحفظه , ولم يقتصـر دلك على إنماءه واسـتبقاءه بل كان الأمر الأهم هو حفظه قبل تحصـــيله, بمعنى الاعتناء بمشـــروعية تملكه واكتســـابه؛ فاكتســـاب المال بطريق مشـــروع يعني عدم الاعتداء على حقوق الآخرين في تملكه ، وجعلت الشريعة الإسـلامية حفظ المال من كليات الضـروريات الخمس في منظومة مقاصـدها وأولوياتها, وقدمته في ظروف خاصـــة على أهم العبادات التي لا يجوز التهاون فيها بحال, فيجوز قطع الصـلاة لإدراك الدابة الشاردة، والمقصد هو حفظ المال من الضـياع ، وقد جمع القرآن الكريم في آية النســاء بين النفس والمال وذلك قوله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَـكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً } [النســاء : ١٨٨] ، والمعاملات الاقتصـادية من بيع وشـراء وإجارة ومضـاربة وما شـابه ذلك من أنواع التعامل المالي التي هي عقود بين الطرفين، إذا سـادها جو الصـدق، وعدم التجاوز على حقوق الآخرين، والتزم كل طرف بما يقتضـــيه العقد، فإن التعامل الاقتصـــادي والتجاري ســـوف يكون ناشـــطاً وفاعلاً وبعيداً عن الخداع والاعتداء والغبن والتدليس، مما يعود على السوق بمزيد من الأموال، وينعكس

(١) تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) : عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون الإشبيلي ، تحقيق: خليل شحادة

، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ٣٠٤/١ .

ذلك أثراً فاعلاً على شـيوع قيم الثقة والصـدق في المجتمع، مقابل قيم الجشـع والظلم والاعتداء والغش التي تؤدي إلى زعزعة الروابط الاجتماعية وتماسـك المجتمع، ويهدد اسـتقراره، مما يعدُّ أوضـح صـور الفسـاد في الأرض ، وقد بلغ من تأكيد القرآن الكريم على حرمة الربا أن جعل تركه من شروط الإيمان، وأن من يتعامل به محارب لله ورسوله كما اعتبره صلى الله عليه وسلم من السـبع الموبقات ومسـتحقاً للعن ، والربا كسـب بلا جهد يثري صـاحب المال على حسـاب الآخرين، بعيداً عن الخسـارة، فائدته مضـمونة ينالها المرابي في كل الأحوال، لتصـبح الفئة المستثمرة لأموالها بالربا ذات نفوذ وسلطان فيزداد جشعها وظلمها في معاملاتها، وتتكدس لديهم الأموال بلا ضابط ولا قيد .

إن التعامل بالربا فيه ظلم واضـح وتعطيل لمقصـد حفظ المال لأنه أخذ للمال من غير عوض ولا جهد ولا عمل ولا تعرض للربح والخسـارة، وإنما يعيش على كد وجهد الآخرين، كما أنه يربي الإنسـان على الكسـل والخمول والابتعاد عن الاشـتغال بالمكاسـب المباحة النافعة من تجارة وزراعة وصـناعة، كما أنه يفضـي إلى انقطاع المعروف بين الناس وإضـعاف روح التعاون والتراحم والمواسـاة بينهما، كما يؤدي إلى تكديس الأموال في يد نفر قليل من المرابين مما يورث العداوة والبغضـاء بين الناس ، ولتجنب كل ذلك كان لابد من عدم اسـتثمار الأموال عن طريق الربا واعتباره ضابطاً من ضوابطه[١]. وفي سبيل حفظ المال شرّع الإسلام الزكاة باعتبارها وسيلة من وسائل محاربة كنز المال وتعطيله ومن شأنها أن تحفز أصـحاب رؤوس الأموال للبحث عن مجالات اسـتثمارية إنتاجية وإلا تناقص رأس المال بتكرار دفعه للزكاة ، وفي ظل تحريم الربا والتعامل بالفائدة في النظام الاقتصـادي في الإسـلام فلا مجال أمام أصـحاب رؤوس الأموال إلا بالتوجه إلى المشروعات الإنتاجية[٢].

ومما سـبق يتبين للباحث خطورة المعاملات الربوية على الفرد والأمة وأن من تعامل به وتعاطاه فقد أصـبح محاربًا لله ورسوله ، وعلى المسـلم أن يكتفي بما أباح الله ورسوله صـلى

(١) الربا والمعاملات المصرفية : عمر عبد العزيز المترك ، السعودية – الرياض ط٣ ١٤١٨هـ ص ١٦١، ١٦٢.

(٢) مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام : سعيد مرطان ، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م ، ص١٨٢ .

الله عليه وسـلم، وأن يكف عما حرمه الله ورسـوله ، ففيما أباح الله كفاية وغنى عما حرم، وألا يغتر بكثرة البنوك والمصـارف الربوية وانتشـار معاملاتها في كل مكان فإن كثيرا من الناس لا يهتم بأحكام الإسـلام وإنما يهتم بما يدر عليه المال من أي طريق كان وما ذلك إلا لضـعف الإيمان وقلة الخوف من الله عز وجل وغلبة حب الدنيا على القلوب وهذا الواقع المؤلم من الكثير من المسلمين يوجب على المؤسسات الخاصة والجهات الرسمية وخواص التجار بأن يتعاونوا جميعًا على تعزيز المصـارف الإسـلامية وأن يعمل الجميع على تحويل البنوك القائمة اليوم إلى بنوك إسلامية تكون معاملاتها متمشية مع الشريعة الإسلامية وخالية من الربا بجميع أشكاله وصوره ، والله المستعان .

الخاتمة :

في خاتمة البحث يخرج الباحث بالنتائج التالية :

ـ إت تحريم الإسلام للربا يشمل كل تعامل به سواء أكان ربا فضل أو ربا نسيئة وسواء كان الربا بفائدة كثيرة أو قليلة وسواء أكان ربا استهلاك أو استثمار فكل هذه التنويعات تندرج تحت لفظ التحريم في قول الله تعالى : { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } [البقرة : ٢٧٥] .

ـــ أن للربا آثاراً جسيمة على الاقتصاد تطال كل متغيراته، لذلك وجب على المسلمين تجنب التعامل الربوي التزاما بالمنقول من الشـريعة بهذا الخصـوص، وإدراكاً للمعقول، لأن في ذالك درء مفاسد كثيرة وجلب مصالح واقعية وملموسة .

ـــ الربا سبب رئيس من أسباب انهيار اقتصاد المجتمع بسبب تلكُّؤ الدائن عن العمل وإخلاده إلى الراحة والكسل طمعا في ربح الفائدة والإثقال على المدين بالالتزامات الربوية .

ـــ يؤدي الربا إلى انهيار أخلاق المجتمع بسبب انعدام التعاون بين أفراده مما يؤدي حتما إلى تفسخ المجتمع وشيوع الأنانية والأثرة فيه بدل التضحية والمحبة والإيثار .

ـ هيَّأ الإسلام طرقا للحفاظ على المال والقضاء على الربا القائم والتخلص منه مستقبلا ، من هذه الطرق أنه أباح شركة المضاربة، كما أباح الإسلام بيع السّلم، وهو بيع آجل بعاجل، فمن كان مضطرا للمال يبيع على الموسم من إنتاجه بسعر مناسب ، وبشروط مذكورة في كتب

الفقه ، وأيضاً أباح بيع المؤجل : وهو زيادة عن الثمن في بيع النقد ، وقد أباحه الإسلام لتيسير مصالح الناس، وللتخلص من التعامل بالربا .

من توصيات البحث :

. الحض على وجود مؤسسات للقرض الحسن : سواء أكان القرض على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات أو على مستوى الحكومات تحقيقا لمبدأ التكافل الاجتماعي بين الأمة.

ـ ضرورة تنفيذ تفعيل فريضة الزّكاة في المجتمعات الإسلامية لما فيها من خير كثير, ونستطيع من خلال تنفيذها بشكلها الصّحيح, أن نسدّ حاجات كثيرة للدّولة والأفراد, بدل اللجوء إلى الرّبا الّذي يزيد المشاكل تعقيداً ولا يحل شيئاً منها.

والله من وراء القصد

المصادر والمراجع :

١/ القرآن الكريم .

٢/ أحكام القرآن : أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، ضبط نصه وخرج آياته عبد السلام محمد علي ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى ١٤١٥ – ١٩٩٤ م

٣/ إعلام الموقعين عن رب العالمين : محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٤/ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

٥/ بدائل مقترحة عن الربا في المديونية ذات القيمة الكبيرة : محمد محروس المدرس الأعظمي ، كلية التراث الجامعة ، بغداد ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م

٦/ بداية المجتهد ونهاية المقتصد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، دار الحديث – القاهرة، ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م .

٧/ تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) : عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون الإشبيلي ، تحقيق: خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٨/ التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

٩/ حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني : علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر – بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٠/ الحاوى الكبير : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري الماوردى ، دار الفكر للنشر ، بيروت .

١١/ دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون) : القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

١٢/ دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات : منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى ، عالم الكتب . بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

١٣/ الربا وأثره على المجتمع الإنساني : محمد عثمان شبير وآخرين – الناشر دار النفائس – عمان – الأردن .

١٤/ الربا وبدائله في الإسلام : رغداء محمّد أديب زيدان موقع مكتبة صيد الفوائد http://www.saaid.net/book/index.php

١٥/ الربا والمعاملات المصرفية : عمر عبد العزيز المترك ، السعودية – الرياض ط٣ ، ١٤١٨هـ .

١٦/ رد المحتار على الدر المختار : ابن عابدين محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الحنفي ، دار الفكر-بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

١٧/ سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، دار الفكر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

١٨/ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) : إسماعيل بن حماد الجوهري ، دار العلم للملايين ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م .

١٩/ صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٠/ عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢١/ الفقه الإسلامي وأدلته : وهبة الزحيلي ، الطبعة الرابعة، دار الفكر – دمشق – سورية .

٢٢/ القاموس الفقهي : سعدي أبو حبيب ، دار الفكر ، دمشق – سورية ، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م تصوير: ١٩٩٣ م .

٢٣/ القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق: محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة ط ٨ ، ٢٠٠٥م .

٢٤/ كشاف القناع عن متن الإقناع : منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى ، دار الكتب العلمية .

٢٥/ لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى .

٢٦/ مجموع الفتاوى : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، دار الفكر ، بيروت .

٢٧/ محاضرات في الثّقافة الإسلاميّة : أحمد محمّد جمال ، دار الكتاب العربي, بيروت, ط٦, ١٤٠٣/١٩٨٣.

٢٨/ مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام : سعيد مرطان ، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م .

٢٩/ معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا أبو الحسين الرازي ، تحقيق : عبد السَّلام محمد هَارُون ، اتحاد الكتاب العرب ، الطبعة الأولى : ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م .

٣٠/ المعجم الوسيط : أحمد الزيات وآخرون تحت إشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، نشر: دار الدعوة .

٣١/ المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني : عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ .

٣٢/ مغني المحتاج لى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م .

٣٣/ المقاصد العامة للشريعة الإسلامية : عبد الرحمن عبد الخالق ، الكويت ١٧ من ذي الحجة سنة ١٤٠٤هـ .

٣٥/ من أحكام الفقه الإسلامي وما جاء في المعاملات الربوية وأحكام المداينة : عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٣٦/ الموافقات : براهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

معلقة عنترة: قراءة في هواجس الذات ومتوالياتها

أ.م.د. مريم عبدالنبي عبدالمجيد، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، جامعة البصرة- العراق

الملخص: تجلى القول بهواجس الذات في معلقة عنترة عبر أبعاد تبنّت الإفصاح عن دواخل الأنا الجاهلي, لافتة إلى متتاليات تكشَّفت عبر لغة الشعر الخاصة عن تداعيات هواجس الشاعر وتداعياتها, واتصال الشعر بهواجس الذات لدى شعراء قبل الإسلام تجلى في عناصر تبنتها بيئته الخاصة وماتجترره من أنماط عبر الزمان والمكان المحفوف بفضاءات مفتوحة على قلق وتوجس, توضحت أبعادها في نصوص الشعر الواصل إلينا, وبخاصة شعر المعلقات .

أما معلقة عنترة فقد توشحت برؤى خاصة للظلم والقحط والخواء وعدم الثبات الذي حفزه إلى التمسك بذاته لإبرازها عبر البطولة وقول الشعر, في محاولة للخلاص من ماهية الشعور بالنقص الذي اتسمت به أناه عبر سمات متصلة بلونه الأسود أولاً وبعبوديته ثانيا, وقد بين هذا البحث هذه الرؤى عبر المنهج الموضوعي التحليلي.

مقدمة

لعل القول بالفقد الذي ينفتح على زوال الأشياء الجميلة وانفلاتها عبر الوقوف على الطلل ووصف أبعاده وما يكتنفه من حركة ولون, ترسيما لعناصر تدعم حركية هاجس الذات في معلقة عنترة, والإفضاء عما تكتنزه من أوجاع برسم صور متعالقة بموضوعة الرحيل الدائم, والفراق الذي لاينفك متواصلا, عبر استلهام ثيمات تتميز بها ماهية هواجس الشاعر, ومايردفها, حينما يتبنى بالقول بالطلل تصوير فضاءات الألم وتشظيه في داخله العاجز عن الإمساك بالأشياء وهي تتحرك, لتأخذ معها زمان الألفة والأمان عند الرحيل.

أما القول بهاجس الحب لدى عنترة فقد ضمّ مسارات تتفتح على مشاهد وجدناها إفصاحا عن حاجة عليا للمرأة, تتعامل مع داخله العاشق, ولعلنا نلحظ القول بالحب وتجلياته في واقعه في المعلقة محيلا إلى ضرورة التواصل مع المرأة في مدى يكشف بما في الداخل الحزين من شجون, تشكلت عنها هواجس وجدانه ومدياته. وقد جاء وصف الحبيبة في مشاهد تحيل على الحاجة إليها بتوصيف أبعاد لها تشبع بها وجدان الشاعر حيث تبدت رؤاه لذاتها مع هاجس الرغبة في التواصل معها وتسميتها وتثبُّت ملامحها في روحه.

أما القول بالأنا وتوصيفها فهو المحور الذي تدور حوله رحى المعلقة بفضاءاتها, مترسما البوح بما يكتنزه داخله مع الآخر والكون, فالمعلقة تسعى لإبراز ماينتاب الداخل وتقديره لذاته عبر لغة الشعر التي يمتلكها في غرض بالفخر, الذي استثمر الإفصاح به عن قيم ومفاهيم وحاجات تحيل على التحرر من عقدته التي تضخمت من نظرة الآخر للونه ولعبوديته, فجاء القول بوصف الحرب مع الفخر بالأنا في معلقته نمطا يحيل على توكيد مايمتلكه الأنا من فعل عظيم بغض النظر من مزايا شكلية لاتغني ولا تسمن من جوع .

مدخل:

يتمظهر القول بهواجس الذات في معلقة عنترة عبر أبعاد تبنّت الإفصـــــاح عن دواخل الأنا, لافتة إلى متتاليات تكشَّفت عبر صياغة خاصة وضعت تمثلاتها في فضاءات المعلقة, المتجهة نحو الكشـف عن تداعيات هواجس الشـعر وانفلاتها, واتصـال الشـعر بهواجس الذات في الروح الجاهلية ينطلق من عناصــــر تبنتها بيئته الخاصـــــة وماتجتره من أنماط عبر الزمان والمكان المحفوف بفضـــاءات توضـــحت أبعادها في الشـــعر ومايضـــمه من دوال, ولذا تم اختيار هذا الموضوع للدراسة لكشف هذه الدوال التي تُعرف بالأنا العربي ما قبل الإسلام.

أما معلقة عنترة فقد توشـــــحت برؤى خاصـــــة جاءت للتعبير عن الخواء وعدم الثبات الذي يضـمه ويحفزه إلى التمسـك بإعلاء الأنا في مقابل الآخر, للخلاص من ماهية الشـعور بالنقص والنبذ المجتمعي الذي عاناه بسـبب لونه أولا وبعبوديته ثانيا, ((فنجد إسـقاط اللون وعقدته قائمة

متداخلة في تفاصـــيل الحياة وعبر التناول اليومي, لخلق المجانســـة بينه وبين الموجودات, وقد أطلق اللون الأسـود حتى على الحيوانات))(١), ولعل القول بالفقد الذي ينفتح على زوال الأشـياء الجميلة وموتها عبر الوقوف على الطلل ووصـف أبعاده وما يكتنفه من حركة ولون, اسـتحضـارا لعناصـر تدعم حركية هواجسـه وما تكتنزه من أوجاع, متعالقة بموضـوعة الرحيل الدائم, والفراق الذي لاينفك متواصـلا, مع استخلاص ثيمات تتميز بها ماهية هواجسه, ومايرادفها, حينما يتبنى القول بالطلل تصـوير مسـاحات الألم وكمونه في وجدانه العاجز عن الإمسـاك بالأشـياء وهي تتحرك, لتأخذ معها زمان الألفة والأمان عند الرحيل.

وكان القول بالحب ومظاهره عند عنترة يضم مسارات تتفتح على مشاهد تفصح عن حاجة عليا, تفقدها ذاته القلقة في مدى تجربة الحب الذي جاء في المعلقة محيلا على ضرورة التواصل مع المرأة ويبوح بما في داخله الحزين من أُمنيات, وقد جاء توصيفه للحبيبة متزامنا مع التصريح بالحاجة إليها وباجترار رؤاه لملامحها والرغبة في التواصـــل معها بتســـميتها وتثبيت صـــفاتها المحببة كما تراها ذاته.

أما القول بالأنا فهو المحور الذي تدور حوله رحى المعلقة بفضـــاءاتها, مترســـما البوح بما يكتنزه هاجسه مع الآخر والكون, فالمعلقة تسعى لإبراز ماينتاب ذات الشاعر عبر صلته بذوات تفتحت بعلاقته معهم تجارب ومواقف لها ذكريات أراد الشـاعر إبرازها وتوثيقها نصـيا, وكان ذلك واضـــحا في ســـياق الفخر كما ســـيأتي, لتفكيك عقدة ذاته ونفيها, وقد ارتبط ((مجده الشـــعري والحربي بمعاناته النضـــالية للتحرر من ربقة العبودية, التي اقترنت بحبه لعبلة ابنة عمه, فكان الحب للحرية وثيق الصلة في ذات الشاعر ووجوده بالحب لعبلة, فإذا كانت الحرية تحقق وجوده إنسـانا, فان الحب هو البرهان العملي لهذا الوجود))(٢), ويظهر تلاحم توصـيفه للحرب وتجلياتها مع الفخر بالأنا أُسـلوبا يحدد عبره مايمتلكه الأنا من مزايا بدت فريدة في عصـره, حينما يؤطر ملامحها في صياغته الشعرية بامتياز.

فتبدت هواجس الذات ومتوالياتها في معلقة عنترة عبر الآتي:

الطلل

توطئــة:

يترجم الأنا في الوقفة على الطلل الهواجس التي تتجلى عند الرحيل, وابتعاد المرأة: الحبيبة, ولعل ارتباط الأنا مع ذاتها يتمثل في اتســاع مشــاعر الفقد التي تتبنى الوقفة على الطلل إبراز تداعياتها المترسـمة هواجس الأنا ومســاراتها, فالتوهم في معرفة الدار يكشـف عن الجدب الذي أصـابها بفقد سـاكنيها بخط يتوازى مع اضـمحلال زمان الوصـل, وهو اسـتنتاج يحيل إلى كوامن الذات عبر الأسـئلة المقترحة في مسـار الوقفة على الطلل الذي يتعالق مع فضـاء الرغبة للبقاء في المكان القديم نفســه لاســترجاع زمان منته, ((لأنها تجســد برهة التحول من الماضـــي إلى المستقبل, إذ هي تختزن الماضي كنقيض مباشر للحاضر وكمطابق حميمي للمستقبل المأمول, ولهذا كان الزمن الماضـــي, بصـــيغته الصـــورية والنحوية معا, دائم المثول في المطلع الطللي للقصيدة, ودائم الاتصاف بالانطفاء, أما الحاضر نفسه فلا يمثل إلا اتضاعا مرعبا وممجوجا لا تتكشف جوهريته إلا عبر صدمه بالحاضر المشرق))(٣), فيتبنى النص البوح عن هاجس منسل من حاجة الأنا للتواصـــــل مع أبعاد كانت موجودة في المكان ذاته, وهذا الدال يفتح القول بتداعيات الرحيل الذي ترك في الداخل جرحا عميقا, فالمكان بين الأنا والأخرى تفتحت فيه مســـافات تمارس ســـطوة قاســـية لوجع الرحيل وعدم الثبات, وتمركز الألم المنفلت منذ وقوعه وتتابعاته المتواترة في واقع لايمتلك الأنا قدرة لرده أو الاحتجاج عليه, ســـوى القول بتحيته إذ إنه المحتضن للزمان السعيد وهو الذي يملك باقفراره الدليل المادي على الغياب المفتوح, ((وما ذلك إلا حالة من حالات الصراع المستديم للإنسان مع زمانه الحاضر الذي يعيشه))(٤), وهذه التجربة تحتضـــن عناصـــر تحيل على هواجس مكبوتة تخترق حاضـــر الذات والفقد المتلازم مع البيئة القاسية التي تتوصف بقدرتها على استلاب ماهو جميل وحميمي.

تحليل نصي:

تمتلك الوقفة على الطلل متمركزات وصـــــفية لأركان تكتنز النفس لتعبر عن وجع يفتض مكامن محددة عبر القول بالرحيل, فالوقفة على الطلل ممارسة مهمتها الكشف عن فضاء يختزن

أبعاد لايســـتطيع الأنا ردها حينما تترك في الذات ندوبا تكاد لا تندمل, فيفتتح عنترة معلقته بالسـؤال الذي يتركه مفتوحا عن مقالة الشـعر في الوقت الذي يتوجه بالسـؤال إلى ذاته عن دار الحبيبة متعالقا برؤاه مع الوهم ليحيلنا للإفصـــاح عما في الداخل الثري بمشـــاعر الوجع حين الولوج إلى المكان الذي كان يحتضن حبيبته في زمن آخر:

هل غادرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ أم هل عرفتَ الدار بعد توهُّمِ (*١)(٥)

يتوجه الشــاعر إلى الدار بتســاؤله وهو الذي يحتضـــن مكمن ذكرياته المهيمنة مع عبلة: حبيبته, فهو بخلوه منها يأخذ دور القلب الذي خلا من الفرح المترتب على الصـــلة معها حينما رحلت:

يادارَ عبلةَ بالجواء تكلَّمي وعمي صباحا دارَ عبلةَ واسلمي(*٢)(٦)

فيترك البُعد جرحا عميقا في وجدانه يتعالق شـــدته مع جوهر حاجاتها الملحة, وهو حينما يترك ناقته ليســترجع في الدار متمنى تلك الحاجة المفقودة يكشــف عن مدى مســارات خلَّفها الرحيل وما يتبعه من تداعيات, فقد أصبحت الحبيبة بمكان وهو في مكان آخر:

فوقفتُ فيها ناقتي وكأنها فدنٌ لأقضي حاجة المتلوِّمِ

وتحلّ عبلةُ بالجواء وأهلُنا بالحزن فالصَّمَان فالمتَثَلَّمِ (*٣)(٧)

وهذا الانقطاع الحيّ بينهما تجربة لألم يجهر عبر محادثة الدار وتحيتها وتحية الطلل ذاته, فهو يتوق لذكريات التجربة في المكان المهجور:

حُيّيتَ من طلل تقادمَ عهدُهُ أقوى وأقفرَ بعد أمِّ الهيثمِ (*٤)(٨)

هاجس الحـب

توطئـة:

يتجلى هاجس الحب في المعلقة عبر: البوح, والبعد, ووصف الحبيبة, حينما تبدّت مسمياتها لتحيل على انفتاح هاجسه المتمركز في إطار وجدناه متعالقا مع مستويات تضئ مناطق خاصة في الذات, وتحدد أبعاده عبر فضــاءات تمثلاتها في القول بذات الهاجس, ومتوالياته, في الزمان والمكان, ويتمثل البوح بالحب الاشتغال على كشف مسارات شعور الشاعر تجاه المرأة, مختصرا

متواليات تمركّز القول بها عن شدة الرغبة للتواصل, عبر عناصر أخذت مهمة التدليل على حاجته لها وانفتاح تداعياتها, وقد استحضر القول بالبوح سمات تبرز بالقول بها تلك الرغبة الغالية للتواصل الحيّ, و((لقد استطاع الشاعر أن يعطي عبلة هنا بعدا فنيا حين يتوحد هذا البعد مع مشاعر الإسقاط النفسي, لتصبح تعبيرا عن موقف القبيلة منه, أو القلق بأشكاله المتعددة, ويحصل منها صورة تتأطر مع تمزقه الذاتي تجاه الاستلاب الجمعي والقبلي))[٩], أما القول بالبُعد فقد تملك الإفصاح بما يفتحه وجع الرحيل في الداخل, عبر التصريح بعمق الشوق للمرأة, ومايفتحه فراقها من جروح يتبنى النص التصريح بها عبر عناصر تترسم القول بالزمن الذي يمتلك الفجوة التي يتركها البُعد عنها ومتتالياته.

وتعالُق القول بالبُعد مع وصف المرأة الحبيبة البعيدة, ورد في نسق يضمّ التدليل على تمركز ملامحها المحببة وما يترشح عنها من سمات في داخله الحزين, باسترجاعها في الفعل الشعري الذي تملك البوح بهاجس الحب وتداعياته عبر:

أ_ البوح:

اشتمل البوح بهاجس الحب في معلقة عنترة على دوال تحاكي تمثلاته في داخل الشاعر, عبر مشاهد ترسم تجلياته في المكان والزمان, وتعالقه مع الواقع المرير الذي يضمّ الأنا, لإنتاج بنية خاصة للتجربة مسترجعا هواجسه فيها وتداعياتها, ومنها قوله:

عُلِّقْتُها عرضا وأقتلُ قومَها   زعما لعمر أبيك ليس بمزعَمِ
ولقد نزلتِ فلا تظني غيرَهُ   مني بمنزلة المحبِّ المكرَمِ [١٠]

ب_ البعد:

حينما ينفتح القول بالبوح يصور الشاعر مظاهر الوجع المتوسم بالبعد, عبر عناصر دالة بتوسعه وما يتركه في ذاته من ندوب.

وتعالق القول بالبُعد عبر المعلقة يحيل على بنى تستدعي زمنا خاصا يحتضن مواقفا تضم ماينتاب الأنا في زمنه الذي يحتضن البعد بلا عودة, ومنه قوله:

_ حَلَّتْ بأرض الزائرين فأصبحتْ   عسرا عليَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ

_ كيف المزار وقد تربَّعَ أهلها   بعنيزتين وأهلنا بالغَيْلَمِ (*٥)(١١)

وكان القول بالبعد عبر هذه المديات, يشير لما يفتحه الزمان الآني في روحه لانتمائه لزمان ومكان خال من الحبيبة.

ج_ وصف الحبيبـة:

يتزامن القول بهاجس البعد مع الإحالة على وصف الحبيبة حيث يستجمع ملامحها المحببة المتمركزة في ذاته, وقد كان القول بوصـــفها والاســـترســـال به في المعلقة يتعالق مع مكنونات الذات, لكشف هاجس الحاجة العميقة لذات المرأة المعشوقة, وقد تبنت الصياغة الشعرية في هذا المنحنى الغوص في نفس للكشـــف عن مكنوناتها وعما ينتابها وما تمتلكه من صـــور لاتمحى, للتعبير عن شـــدة التوق لها, وكان ذلك الوصـــف يتعالق مع نمو الحسّ العالي بفقدانها وفقدان التواصـل معها, على وفق إدراك الشـاعر لعمق معاناته, لإنتاج النص الذي يتكشـف فيه ألمه, مع حســـه بالغربة بابتعاد المرأة, فهو بتذكر ملامحها يســـتعيد أحداثا تعالقت مع ذكر الرائحة المتضـوعة من جسدها((والرائحة على عكس الصـورة والدلالات الروتينية للأصـوات (الموسـيقى مثلا) لايمكن أن توصـف أو تحدد في المدى اللانهائي للغة: الرائحة دقيقة جدا لذا فهي مقدسـة ومنزهة عن الوصـف)) (١٢), النص هنا يتركز فيه المدى الحسـي عبر مرجعية تنتقي ثيمة مميزة للحبيبة لايمكن أن تتكرر بغيرها, ويقول:

إذ تستبيك بذي غروب واضح   عذب مقَبَّلُهُ لذيذ المطعَمِ

وكأن فارة تاجر بقسيمـةٍ   سبقت عوارضـها إليك من الفمِ (*٦)(١٣)

تبدى البوح بملامح الحبيبة عبر جزيئات حســـية خاصـــة علقت بداخله, يســـترجعها في معرض تعبيره عن مكامن هاجس الخوف حينما يتوقف زمن الأحداث عند المشـــهد الوصـــفي, حيث يتعالق الزمن بقيمة مســـتثناة تحيل إلى الإشـــارة إلى ماتكتنزه الأُخرى الراحلة من ميزات مازالت عالقة في ذات الشاعر, وهذا الاسترجاع يكشف علاقته الخاصة بها بربط الزمن الجميل بملامحها الحاضرة على الرغم من كونها أصبحت بعيدة حيث يجتر ذاك الزمن ويحاول التشبث به وإيقافه في لحظة الوصف الشعري.

الأنـا

توطئـة:

يندرج القول بالأنا عبر انبعاث أوجه تحيل على خصــوصــيات تنتهج الكشــف عن مظاهر تتوصـــف بها الذات, عبر منظور يعيد البوح بآليات تضـــئ هاجس الداخل وتفض أحلامه, وشــجونه, ولعل التجربة الحياتية الخاصــة لعنترة هي المثال الذي تتوخى الذات الإفصــاح عن متتالياته في تنســيق خاص يختطه عبر النتاج الشــعري, وكانت التضــمينات التي أحالت إلى الإفصــاح عن هواجس الأنا المتعالية لدى عنترة تتشـكل عبر ثيمات تغترف من مشــاعر كانت قراءة المعلقة لها ضـربا من التسامي لقضـية الذات الكبرى, وهذا يستدعي العمل على إنتاج بنية موضــوعية تقدم ميزات أراد لها الأنا البروز في فضــاءات المعلقة الشـعرية, بإدماج خصــائص تكتمل لديها ملامح الأنا وهواجســه وهو يعلن عن قيم مفاضــة من المناخ الذي ينتمي إليه بدءا, فكان ((عنترة في معلقته ككل يختط لنفســـه خطا جديدا يحاول فيه أن يخترق جدر ذلك الواقع, ويفلت من شـراكه الآسـرة إلى حد يسـمح له بالتعبير عن إحسـاسـاته الذاتية ومعاناته الداخلية, ويتحدث عن آلامه وأحلامه وأمانيه دون أن تكون هناك قيود مانعة له, والتزامات بقيم وتقاليد يرى عقمها وعدم جدواها, إلا أنه يرى التحلل كليا منها أو التمرد عليها أمرا صـعبا بل ومستحيلا بالنســـبة له, وهو الإنســـان الذي خبر ذلك الواقع, وعانى منه الكثير لإثبات شـــخصـــيته فيه والاعتراف بوجوده كإنســـان حر)) (١٤), فإدراج هذه الثيمات المأخوذة من تداعيات خاصـــة لهواجس الأنا جاءت توصــيفا متتاليا لملامح وجدت في الأنا المتعالي مادة لها, وتشــكلت عن متوالية أعاد القول بها لإبراز مايتشـــكل لدى الذات من هموم عالية تعالقت مع الحرص على التأكيد بدور الأنا المفاض من المناخ السـقيم الذي يضـم الذات, وينتهج إخضــاعه لمتحددات تخص ملامح البيئة وما تعارفت عليه من قيم, فكانت الظروف الزمانية المكانية مادة خصـــبة يتوصـــف لديها الدور الذي أراد له عنترة الإفصـــاح عما ينتاب الأنا ((وتتحدد ذوات الحالة في وجودها السيميائي من خلال خصائصها (نعوت, محولات) بالفعل, لايمكن الاعتراف بها كذوات إلا في حالة تعالقها مع موضــوعات القيمة وتشــارك في مختلف العوالم القيمية وموضــوعات

القيمة بدورها ليســت قيما إلا إذا كانت مســتهدفة من الذوات, بتعبير آخر, لايوجد تحديد ممكن للذات إلا بوضـعها في علاقة مع الموضـوع وبالعكس)) (١٥), في رؤيا تسـتبطن البوح عن ذات مشتتة رافضة للواقع, ومنشدة لخلق واقع آخر لوجود تتسامى به وتخرج من محدوديتها إلى آفاق أُخرى هي جديرة بها, ليقيم الأنا في نزاع تتأطر مدياته وتنفتح نوافذه على مسـارات مهيمنة يعمل لها باجتهاد في الجانب البطولي خاصة.

وينفتح القول بالأنا في المعلقة على:

الفخـر:

يأتي القول بالفخر ثيمة يندرج في أبعادها بروز خاص للذات في أثناء توصـيف يهيمن على مفاصل وجدنا انفتاح فضاءاتها عبر استحضار محاور أشادت بالأنا, وتمظهرات ملامحها, ((إن استقراء النصوص الشعرية الفخرية استقراء مرتبطا بواقع البدوي, ثم بارتباط حياة الشاعر بالبيئة الطبيعية وما يجئ معها من اضـطراب وهموم وقلق, يكشـف عن ضـرورة ربط أسباب ذلك الذي شاع في شعر الجاهليين من أخلاق وسلوك ومخاوف بمسببات يرتكز أغلبها على ماجبلت عليه طباع العربي من إباء للضـيم, وحبّ للحرية, ووضـوح في السـلوك, واشـتداد على المصـائب, ومكابرة في موضـع التمايز والتحدي, وتفان في موضـع الاستغاثة والنجدة)) (١٦), هذه المصـادر ذاتها هي التي تولت البوح للتعريف بالأنا في مجال الفخر المتضـخّم لعنترة عبر مشـاهد تحيل إلى ملامح البطولة التي عرف بها, منها القول بالقوة التي جاء القول بها عبر الإشـادة بدور الذات باسـتخلاص رموز وجدت في الواقع الحي مسـميات خضـع لها الأنا عبر الفخر بذات الثيمة, التي تجانس القول بها مع ميادين الحرب والقدرة الفائقة على الخوض في غمراتها بشجاعة تميز بها عنترة مجال القتال:

إن تُغدِفي دوني القناع فإننـي طبّ بأخذ الفارس المستلئمِ (٧*)(١٧)

والإشــادة بالقوة في فخر عنترة في المعلقة يتعالق مع توصـيف المعارك التي جاء القول بها, مع فضـاء يصـرح بدور البطل المغوار المتفرد بقوته دون الآخر ليحيل إلى تراكم صـفات وجدت في ذاته محيطا شاملا لها وهو ما أراد له البروز في فخره.

أما القول بالسماح فقد جاء اختزالا لملمح يقف النص في التصـريح به عبر إشـادة تبدت فخرا بمنطقة أصـيلة بالأنا, فهذه الصـفة مهيمنة للفخر لدى العربي تعالقت مع صـفات البطل لتجهر بتعالي الذات وتعالقها مع متحددات قيمية للعرب وماتضـمه ثقافتهم النسقية, وقد وجد عنترة في الفعل الشعري للفخر بذاته مكانا خصبا لها, قال:

أثني علي بما علمتِ فإنني سمحٌ مخالقتي إذا لم أُظلَمِ [١٨]

وجاء القول بالظلم في مجال الفخر إحالة إلى سـمة تعود إلى قوة الذات, باسـتئصــال منابع تنمو عنها مرتكزات تكشـف عن تعالق الأنا مع مدى يفتح عنها يحيل لقيم في الأنا تتبنى فاعلية خاصة أراد لها عنترة البروز في معرض الفخر الذاتي وهو يمارس الفعل الشعري عبر معلقته:

وإذا ظُلِمْتُ فإن ظُلمي باسل مرّ مذاقته كطعم العلقمِ [١٩]

أما القول بشـرب الخمر فيتلمس التدليل على مسـالك مشـتملة على معان تتأتى عن قيم تعيد إقامة نمط خاص لإبراز مسـاحات, يأتي الاعتراف الشـعري لها إجراء يتبنى تأكيد منافذ تتعالق مع الواقع الحيّ في الزمان والمكان المحدد ببيئة الجاهلي, التي ترسم إشارات تفصح عن تأثيرات تتماثل لها أعراف خاصـة في الزمان البعيد, ((فالخمرة في الشـعر الجاهلي لم تكن, فيما نحسـب ميدانا للمتعة فقط, بل حلقت في عالم القيم, وجسدت الشخصية الجاهلية في نزوعها إلى التفوق على الصـعيد الاجتماعي, وتمثلت ماكان يعتريها من شعور بالانتقاص والصـغار, لاسيما عندما كانت الهيئة الاجتماعية تحاول تجريدها من تميزها, هذا إضــافة إلى أن الخمرية الجاهلية كانت في بعض الأحيان وثيقة الصــــلة بالقلق العميق الذي بثه الشــــعور بحتمية الفناء في النفس الإنســـانية))[٢٠], فاشــــتغال الأنا على هذا المنحنى وتأكيد القول به في معرض الفخر بالذات يهدف إلى تحد خاص, أو إســــقاط تتحقق عنه رغبة عليا برفض الواقع الذي ينوء الأنا تحت سيطرته لظروف خاصة تميز بها عنترة:

ولقد شربتُ من المدامةِ بعدما   ركدَ الهواجر بالمشوف المُعْلَمِ

بزجاجة صفراء ذات أسرَّةٍ   قرنت بأزهر في الشمال مفدَّمِ (*٨)(٢١)

وقد نهج عبر القول بالشرف إلى تضمين معان تشكلت عن حدود لصور توزعت على تركيب خاص لهاجس الأنا وعلاقته مع البيئة والآخر, وبشـــكل تترادف في معانيه آليات تعيد القول بإجابات مضمرة تحتل تداعيات تصب في موضوعة الفخر التي وجدنا مشاهد خاصة في النص تآلفت للقول بها, عبر تميز يشدّ إلى دور الأنا مكتنزة ملامح تميز بها:

فإذا شربت فإنني مستهلك   مالي وعرضي وافر لم يُكْلَمِ (٢٢)

وتعالق القول بالشـرف مع علامات دالة على تضـخم دور الأنا مع القول بالجود, الذي تملك الوصـف به اسـتبطان مؤثرات تمظهرت بها محاور تنشد إلى التعريف بالموضـوعة الشـعرية في الفخر التي تجمعت فيها ثيمات تؤكد ذلك المنحى, وتفتح تجلياته في الفعل الشعري:

وإذا صحوت فما أقصّر عن ندى   وكما علمتِ شمائلي وتكرّمي(٢٣)

وهذه الآلية التي تنضـــدت بها المعلقة عبر القول بالفخر ترسّــمت الكشــف بوضـــوح عن اســتحضـــار دور الأنا الذي يراهن على إبراز ملامح خاصـــة به عبر الفعل الذاتي الذي تملك صفات تعالقت بالبطل الذي تعارفت على سيمائه مؤشرات البيئة في المكان والزمان.

وفي المسـار نفسـه يتجلى وصـف المعركة المترشـح في أبعادها الإشـادة بدور الأنا في ميدان يبنى على غاية يتحرر فيها المضمون الشخصـي؛ ليعيد رسم إطار خاص للذات, وما تمتلكه من امتيازات, وفي رؤيا الأنا عبر الوصـف واسـترسـال الوصـف لما يدور في ميدان الحرب ارتباط تجلى في ورود حركة خاصـة, تؤصل قوة الأنا عبر اتفاق ضمني في مضمار يهيئ صورة تنتج ذات البطل كما عرفته الثقافة النســقية عند العرب, عبر امتلاكه لمتحددات فتح ترســـيمها في القول الشـعري بإسـهاب كشـفت عنها مناح خاصـة في القول بتوصـيف المعركة, تتموضـع عنها متواليات تقوم على التدليل بهاجس الداخل في المنظور النفسي للأنا:

هلاّ سألتِ الخيل يابنة مالك   إن كنتِ جاهلة بما لم تعلمي

إذ لا أزال على رحالة سابح   نهد تعاوره الكماة مُكلَّـمِ

طورا يجرّد للطعان وتارة يأوي إلى جهد القسي عرمرمِ

يخبركِ من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعفّ عند المغنمِ (*٩)(٢٤)

وتجهر المعلقة ضمنا بمكنونات يتسلل في فضاءاتها اقتباس الأنا لمشاهد أعاد صياغتها نصيا في القول بالآخر, الذي تملك صفات انتظمت في ذات البطل الافتراضي, وهذه السمة التي أحال لها عنترة عبر نصه الشعري إثبات خاص لأطر تمثلت لإبراز مكامن الداخل, وما فيه من آثار يريد الولوج بها إلى عالم واقع حيث الخروج إلى مضمار يعيد تقييم الأنا عبر امتلاكه لمساحات فريدة يتميز بها في الواقع الحيّ عبر الميدان الفعلي للبطل:

ومدجَّجٍ كرِه الكُمَاةُ نِزالَهُ لا مُمْعِن هربا ولا مستسلمِ

جادتْ له كفّي بعاجل طعنةٍ بمُثَقّف صَدْق الكُعوبِ مُقوَّمِ

فشَكَكْتُ بالرمحِ الأصمّ ثيابَهُ ليسَ الكريمُ على القنا بمُحَرَّمِ

فتركْتُهُ جَزَرَ السباعِ ينُشْنَهُ يقضمْنَ حُسن بنانه والمِعصَمِ

ومِشَكِّ سابغَةٍ هتكْتُ فروجَها بالسيف عن حامي الحقيقة مُعْلِمِ

رَبِذٍ يداهُ بالقِداحِ إذا شتا هتَّاك غايات التِّجار مُلَوَّمِ

لما رآني نزلْتُ أُريدُهُ أبدى نَواجِذَهُ لغير تبسُّمِ

عهدي به مدَّ النهار كأنما خُضِبَ البَنانُ ورأسُه بالعِظْلِمِ

فطعنتُهُ بالرمح ثم علوتُهُ بمهنّدٍ صافي الحديدةِ مِخْذَمِ

بطلٌ كأن ثيابهُ في سَرْحَةٍ يُحذى نعالَ السِّبتِ ليس بتوأمِ (*١٠)(٢٥)

وهذا التعالق الذي يحيل إليه نصيا يرسم في مداه أُنموذجا لما يريد أن يكونه عبر اللجوء إلى فضاء يفتضه القول بدور الأنا العالي في ميدان الحرب, فتوصيف أحداث المعركة وإحالتها إلى هذا التشكل يسعى للوصول إلى مكامن تهتم بدور خاص للأنا وهو يبوح بشكل منظم عن مستويات الحدث وفاعليته به, حينما تحيل المعلقة إلى إشارات ضمنية تتحدد فيها روابط تجتر من المكان صيغ لبنى تشتغل على إرضاء الذات خلال حكاية الحدث المترسم إبراز ماتحتله الأنا في المكان

من دور عال, يستند إلى الواقع, وذلك بذكر إشارات تحيل إلى واقع النزاع لرصد ملامح خاصة تؤشرها المعلقة في النتاج الشعري لعنترة:

ولقد حفِظْتُ وُصاةَ عمّي بالضحى إذْ تقلِصُ الشّفتان عن وَضَحَ الفمِ

في حومةِ الحَرْبِ التي لاتشتكي غمراتها الأبطال غير تغَمْغـُمِ

إذ يتّقون بيَ الأسنّةَ لـم أخِمْ عنها ولكني تضايق مُقْدَمـي

لما رأيتُ القومَ أقبلَ جمعُهُـم يتذامرون كرّرتُ غير مُذَمَّـمِ

يدعون عنترَ والرماح كأنها أشطانُ بئرٍ في لَبَانِ الأدْهَـمِ

ما زلتُ أرميهم بثُغْرَةِ نحـره ولَبانِهِ حتى تسربَلَ بالـدمِ

فأزوَرَ من وقع القنا بلبانِـهِ وشكا إلي بعبرةٍ وتحمْحُـمِ

لو كان يدري ماالمحاورةُ اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلّمـي

ولقد شفى نفسي وأذهَبَ سقمها قيل الفوارس ويك عنترَ أقدمِ (*١١)(٢٦)

وهذا الاسترسال في تصوير المعركة تترجع في أبعاده آلية أُسلوبية يتعالق معها الفعل الشعري مع الفعل الذاتي للأنا, في المعركة التي تضمّ مواقف تحددت مدياتها في النص المتمثل الإفصاح عن أحداثها وعناصرها وشخوصها, بأُسلوب خاص لعنترة, ((وقد كان لذلك آثاره في أن يغلب التعبير الرمزي على التعبير المباشر, وأن يعلو الفن الشعري الجاهلي على الواقع الحقيقي ليصبح الشعر من خلال هذه الصور بناء لغويا مجازيا حافلا بالرموز والمعاني, التي تقودنا إلى الكشف عن التوترات المختلفة التي كانت تحكم العالم الشعري وما يتصل به من المواقف والقضايا))(٢٧), ولعل انتقاء نماذجه الخاصة التي أبرزها في النص الشعري مستندا إلى أداء وحساسية خاصة به تبدت متعالقة مع الموضوع الأساس للمعلقة وهو القول بدور الذات وهواجسها.

خاتمة:

رشّحت معلقة عنترة قراءة خاصة للذات عبر القول بـ: الطلل, والحب, والأنا.

فعبر الطلل يتبنى النص التصـــريح عن هاجس يفتضّ حاجة الأنا للتواصـــل مع مســـارات كانت موجودة في مكان يحتضـــن تداعيات خلَّفها الرحيل, الذي فتح في الذات حســـا خاصـــا لمكامن وجع كبير, فالمكان بين الأنا والحبيبة تفتحت فيه مسافات تمارس قسوة حادة, مترشحة من الحيل الذي يترسّم واقع لا يمتلك الأنا قدرة لرده.

بينما يتكشــف القول بهاجس الحب في المعلقة عبر تداعيات: البوح, والبعد ووصــف الحبيبة, حينما تجلت تمظهراتها لتحيل إلى البوح عن هاجســه المتمركز في فضــاء يتعالق مع مســتويات تضئ أبعاد خاصة في الذات العاشقة.

وقد ضـمّ القول بالأنا مسـاراً للتصـريح بتداعيات تتكشـف عنها أحلام الأنا, وشـجونه, وكانت التجربة الحياتية الخاصـــــة لعنترة هي المثال الذي تتوخى المعلقة الإفصــــاح عن أبعاده, عبر أُسلوب خاص في الصياغة الشعرية, فكان الفخر ثيمة أخذت بالتعريف عن الأنا مستندة لحدود تحتضــن دواخل الذات, وتوقها إلى مســارات تعالقت مع دور مســتل من البيئة الذي ينتمي إليها الأنا, يحرص على إخضــاعه لمديات تخص ملامح بيئته وأنســاقها الثقافية وما تعارفت عليه من قيم, وقد تملكت الأحداث الزمانية المكانية الدور الذي يتوصف لديه الإفصاح عن مزايا الأنا في صــور تصــرح عن ذات رافضــة لواقعها, ومنشدّة لوجود تتسامى به وتخرج من حدودها إلى آفاق أُخرى هي جديرة بها عبر القول بـ: القوة, السماح, الظلم, شرب الخمر, الشرف.

وقد تجلى عبر وصــف المعركة وما يدور فيها من أحداث جســام الإشــادة ببروز الذات عبر التصـريح بأحداث تتبنى الكشـف عن مضـامين تترسم إطارً خاصـا لأناه, وما تمتلكه من ميزات تؤصل سمات البطل, عبر مضمار الميدان الفعلي الذي يضمّ علامات لملامحه المتميزة.

الهوامش:

١. الغربة والحنين في الشــعر العربي قبل الإســلام, صــاحب خليل إبراهيم, رســالة ماجســتير مقدمة إلى كلية الآداب, الجامعة المستنصرية, أيلول, ١٩٨٨: ٦٨ .

٢. البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام, مؤيد محمد صالح اليوزبكي, رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب, جامعة الموصل, ١٩٨٤: ٧٣ .

٣. مقالات في الشعر الجاهلي, يوسف اليوسف, ط٣, ١٩٨٣, دار الحقائق بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر: ١٢١ .

٤. الارتباط بين الزمان والمكان في لوحتي الطلل والرحيل الجاهليتين, د.غني صطبان سلمان, مجلة واسـط للعلوم الإنسـانية, تصـدرها جامعة واسـط, المجلد (١), العدد (٢), جمادى الأولى, حزيران ٢٠٠٥ م: ١٦٤ .

(*١) المتردم: الموضع الذي يسترقع لما يصيبه من الوهن , والتردم مثل الترنم, وهو ترجيع الصوت بتحزين .

٥. ديوان عنترة, دار بيروت للطباعة والنشر, دار صادر للطباعة والنشر, بيروت ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٦ م, مطابع دار صادر ودار بيروت: ١٥ .

(*٢) الجواء في البيت موضع بعينه .

٦. الديوان: ١٥ .

(*٣) يقول: عبلة نازلة بهذا الموضع, وأهلنا نازلون بهذه المواضع .

٧. الديوان: ١٥, ١٦ .

(*٤) الإقواء والإقفار: الخلاء .

٨. الديوان: ١٦ .

٩. فلسـفة المكان في المقدمة الطللية في الشـعر الجاهلي, د. سـعيد محمد الفيومي, مجلة الجامعة الإسـلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) – المجلد الخامس عشر, العدد الثاني, يونية, ٢٠٠٧, WWW.IUGAZA.ED.PS\ARA\RESEARCH : ٢٦١.

١٠. الديوان: ١٦ . وينظر: ١٩, ٢٨ .

(*٥) الزائرون: الأعداء, جعلهم يزأرون زئير الأسد .

١١. الديوان: ١٦ .

١٢. ماهي السـيميولوجيا, برنار توسـان, ترجمة: محمد نظيف, أفريقيا الشـرق (المغرب), أفريقيا الشرق (بيروت– لبنان), ٢٠٠٠, ط٢: ٢٢ .

(*٦) الاستباء والسبي واحد, غرب كل شئ: حده, والجمع غروب, الوضوح: البياض, المقبل: موضع التقبيل . فارة تاجر العطار, سميت فارة المسك لأن الروائح تفور منها, القسامة: الحسن والصباحة, العوارض: من الأسنان .

١٣. الديوان: ١٧, ١٨ , وينظر: ٢٨ .

١٤. شرح المعلقات السبع, قدم له وشرحه: د . مفيد قميحة, منشورات دار ومكتبة الهلال, بيروت, ٢٠٠٣ م: ٢٧٠ .

١٥. مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية, جوزيف كورتيس, ترجمة: د . جمال حضري, الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت– لبنان), منشورات الاختلاف (الجزائر–العاصمة), ط ١, ٢٠٠٧: ٢٧ .

١٦. جدلية العلاقة بين الفكرة (الميتافيزيقية) وخصوبة القصيدة الجاهلية, د. كاظم حمد المحراث, مجلة واسط للعلوم الإنسانية, المجلد (١) العدد (٢), جمادى الأولى, حزيران – ٢٠٠٥ م, تصدرها جامعة واسط : ١٣٧ .

(*٧) الإغداف: الإرخاء , طب: حاذق عالم , استلأم: لبس اللامة .

١٧. الديوان: ٢٣ .

١٨. المكان نفسه .

١٩. المكان نفسه .

٢٠. ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي, أحمد الخليل, دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر, دمشق, ط١ – ١٩٨٩: ١٩٧, ١٩٨ .

(*٨) المدام والمدامة: الخمر, الهواجر: جمع الهاجرة وهي أشد الأوقات حرا, المشوف: المجلو, الأسرة: جمع السر والسرر, وهما من خطوط اليد والجبهة وغيرهما, بأزهر: أي بإبريق أزهر, مفدم: مسدود الرأس بالفدام .

٢١. الديوان: ٢٣, ٢٤ .

٢٢. السابق, ٢٤ .

٢٣. المكان نفسه .

(*٩) نهد: من صفة السابح وهو الضخم , التعاور: التداول , العرمرم: الكثير .

٢٤. الديوان: ٢٥.

(*١٠) المدجج: التام السلاح , الصدق: الصلب , الأصم: الصلب , الجزر: جمع جزرة وهي الشاة التي أعدت للذبح, النوش: التناول, المشك: الدرع التي قد شك بعضها إلى بعض, وقيل مساميرها يشير إلى أنه الزرد, وقيل الرجل التام السلاح, الحقيقة: مايحق عليك حفظه أي يجب, المعلم بكسر اللام: الذي أعلم نفسه أي شهرها بعلامة يعرف بها في الحرب حتى ينتدب الأبطال لبرازه, والمعلم بفتح اللام: الذي يشار إليه ويدل عليه بأنه فارس الكتيبة وواحد السرية, الربذ: السريع, شتا: دخل في الشتاء, الغاية: راية ينصبها الخمار ليعرف مكانه بها, أراد بالتجار الخمارين, العظلم: نبت يختضب به, المخذم: السريع القطع, السرحة: الشجرة العظيمة .

٢٥. الديوان: ٢٦, ٢٧ .

(*١١) القلوص: التشنج والقصر , وضح الفم: الأسنان , التغمغم, صياح ولجب لايفهم منه شئ , الخيم: الجبن, التذامر: الحض على القتال, الشطن: الجبل الذي يستقى به, اللبان: الصدر , الثغرة: الثقب في أعلى النحر .

٢٦. الديوان: ٢٩, ٣٠ .

٢٧. الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية, الدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد, ١٩٨٠, دار النهضة العربية للطباعة والنشر , بيروت: ١٨٨ .

المصادر

- الارتباط بين الزمان والمكان في لوحتي الطلل والرحيل الجاهليتين, اد. غني صطبان سلمان, مجلة واسط للعلوم الإنسانية, تصدرها جامعة واسط, المجلد (١), العدد (٢), جمادى الأولى, حزيران ٢٠٠٥ م .

- البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام, مؤيد محمد صالح اليوزبكي, رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب, جامعة الموصل, ١٩٨٤ .
- جدلية العلاقة بين الفكرة (الميتافيزيقية) وخصـــوبة القصـــيدة الجاهلية, د. كاظم حمد المحراث, مجلة واسـط للعلوم الإنسـانية, المجلد (١) العدد (٢), جمادى الأولى, حزيران – ٢٠٠٥ م, تصدرها جامعة واسط .
- ديوان عنترة, دار بيروت للطباعة والنشر, دار صادر للطباعة والنشر, بيروت ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٦ م, مطابع دار صادر ودار بيروت .
- شرح المعلقات السبع, قدم له وشرحه: د . مفيد قميحة, منشورات دار ومكتبة الهلال, بيروت, ٢٠٠٣ م .
- الشـعر الجاهلي قضـاياه الفنية والموضـوعية, د. إبراهيم عبد الرحمن محمد, ١٩٨٠ , دار النهضة العربية للطباعة والنشر .
- ظاهرة القلق في الشــعر الجاهلي, أحمد الخليل, دار طلاس للدراســات والترجمة والنشــر, دمشق, ط١ – ١٩٨٩ .
- الغربة والحنين في الشـعر العربي قبل الإسـلام, صـاحب خليل إبراهيم, رسـالة ماجسـتير مقدمة إلى كلية الآداب, الجامعة المستنصرية .
- فلســفة المكان في المقدمة الطللية في الشــعر الجاهلي, د. ســعيد محمد الفيومي, مجلة الجامعة الإسـلامية (سلسلة الدراسات الإسـلامية) – المجلد الخامس عشر, العدد الثاني, يونية, ٢٠٠٧.
- ماهي السـيميولوجيا, برنار توسـان, ترجمة: محمد نظيف, أفريقيا الشـرق (المغرب), أفريقيا الشرق (بيروت–لبنان), ٢٠٠٠, ط٢ .
- مدخل إلى السـيميائية السـردية والخطابية, جوزيف كورتيس, ترجمة: د . جمال حضـري, الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت– لبنان), منشورات الاختلاف (الجزائر–العاصمة), ط ١, ٢٠٠٧ .

- مقالات في الشعر الجاهلي, يوسف اليوسف, ط٣, ١٩٨٣, دار الحقائق بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر .

شعرية التشكيل السردي في القصص العباسي

م.د هالة فتحي كاظم

المقدمة

يسلط بحثنا الضوء على الفن القصصي أو الحكائي عند أدباء العصر العباسي , والذي ظهر بعدة أشكال , منها (القصص الوعظية والفلسفية والرمزية والفكرية أو المعرفية) وهي قصص اهتمت بالإنسان وتهذيبه النفسي والخلقي ومشاغله الفكرية وأسئلته الأزلية والوجودية , ونجد أغلب هذه القصص في رسالة الغفران ورسالة الملائكة للمعري وحكايات أخوان الصفا وغيرها من المؤلفات . وقصص الزهاد والمتصوفة وأهل الكرامات كما في النثر الصوفي وكتاب البصائر والذخائر والإمتاع والمؤانسة للتوحيدي . والقصص الفكاهية أو النوادر التي شاعت في كتب الجاحظ لاسيما كتاب البخلاء . أما القصص العاطفية وقصص المغامرات فنجدها في كتاب ألف ليلة وليلة . وهناك شكل آخر من القصص وهي القصص الخيالية مثل قصص الحيوان وأشهرها قصص كليلة ودمنة .

ولمعرفة مدى النضج السردي لهذه القصص , وما أسهمت فيه من انجاز في مجال تحقيق شعرية النثر العباسي, كان لابد من دراسة نماذج منها وفق آليات التشكيل السردي في القصص . وقد اعتمدنا بذلك على ثلاثة مستويات هي (السردية اللغوية والسردية السياقية والسردية الزمكانية) , وقد جرت دراسة السردية اللغوية وفق محورين , الأول (الصيغ السردية والسارد) والثاني (مستويات اللغة المسرودة). أما السردية السياقية , فقد أوضحناها من خلال تسليط الضوء على جانبين , الأول (السرد وتشكيل الشخصية) والثاني (السرد وتشكيل الحدث). في حين ركزنا في دراسة السردية الزمكانية على محورين , الأول (السردية الزمانية) والثاني (السردية المكانية).

وتنبع أهمية هذا البحث من تسليطه الضوء على موضوع مهم في التراث الأدبي , ودراسته دراسة نقدية حداثوية , وكان هدف الدراسة الأهم هو الإحاطة بكل جوانب الموضوع , والتطرق للعديد من المحاور التي لم يسبق الإشارة إليها في الدراسات السابقة , أو قد أشير لها بصورة عرضية تفتقر إلى التركيز والتقصي وإبراز الجوانب الجمالية , وهو ما تكفله الدراسات النقدية الحدي.

المدخل

يعد الوقوف على تعريف مصطلح (السرد) أمراً في غاية الأهمية بالنسبة لقارئ النص النثري ليتمكن من الدخول لعالم النصوص الأدبية النثرية وهو مُحصّن بمجموعة من أبجديات قراءة هذا النص بما يتيح له معرفة مراد الكاتب والهدف الذي يرمي إليه من خلال طرح هذا النص الأدبي.

والسرد هو دراسة القص واستنباط الأسس التي يقوم عليها وما يتعلق بذلك من نظم تحكم إنتاجه وتلقيه ، ويعد علم السرد احد تفريعات البنيوية الشكلانية كما تبلورت في دراسات شتراوس ، ثم تنامى هذا الحقل في أعمال دارسين بنيويين آخرين منهم تودورروف وجيرارجينيت ورولان بارت وغريماس ، ويمكن القول إن هذا الحقل قد اكتسب مسميات ودلالات اصطلاحية حديثة بوصفه فرعاً ثانوياً من حقل أشمل هو الشعرية أو الأدبية ، ويمكن أن نعد هذا الحقل الوريث الشرعي لكل الكشوفات النقدية الخاصة بنظم الصياغة في القصة والرواية أساساً ، كما انه يتسع ليستوعب جميع مظاهر القص أو السرد التي تتجلى في أجناس أدبية أخرى كالشعر أو الدراما أو بعض أشكال التعابير غير الأدبية المتوفرة في الصحافة أو المقالة الأدبية أو تلك التي قد تتجلى في بعض الفنون [١] . إن ما يعنينا في دراستنا هو التعبير الأدبي ذو الطابع السردي ، لأن الأدب مظهر من مظاهر تجلي الفكر ، والسرد فن من فنونه ، ومن ثمّة يمكن القول بأن السرد بوسائطه وأنواعه المتعددة هو إحدى طرق نقل الأفكار والقيم ووسيلة من وسائل دورانها فيما بين أفراد

(١) : ينظر : من يخاف السردية / فاضل ثامر / مقال في جريدة الثورة ص٦ .

المجموعة الثقافية واللغوية الواحدة وفيما بينهم وبين غيرهم ، وأداة من أدوات صنع الوعي العام(٢).
لقد تعددت الدراسات التي تناقض موضوع السردية واتخذت اتجاهات كثيرة ومناهج متباينة، وقد انشغل المنظّرون المحدثون بدراسة البنية السردية والمستويات الثلاثة التي تشكلها وهي (الراوي والمروي والمروي له)، وميزت دراساتهم عند الحديث عن السرد بين ثلاثة عناصر هي الحكاية والخطاب والنص ، ولا يسعنا في هذه العجالة مناقشة هذه الأبعاد وعرضها لكثرة ما كتب حولها من ناحية ، ولمعاناتها من التكرار والخلط من ناحية أخرى ، لذا سنشير إلى مكونات السرد عندما يكون ذلك ضرورياً لإضاءة النصوص موضوع الدراسة ، علماً أن أي عمل سردي هو شبكة من العلاقات العضوية قوامها الإنسان والزمان واللغة والمكان وان الفصل بين عنصر وآخر إنما يكون لغرض يستدعيه البحث . أما فيما يتعلق بالأنواع السردية وأشكالها فهي كثيرة ومتنوعة تشمل كل ما روي عن السابقين من أقوال أو قصص أو حكايات وأخبار ، كما نجد مادة سردية في الأساطير والخرافات وأيام العرب وقصص الأمثال والأشعار وفي القرآن الكريم وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ونجدها في أدب الرحلات والأسفار وفي المغازي والسير والقصص الشعبي وفي المقامات وفي النوادر وفي المؤلفات الأدبية العربية الموسوعية الكبرى وكذلك المؤلفات اللغوية والتاريخية والدينية الشرعية لثرائها بالشواهد والأخبار والتضمينات المختلفة الآراء والمواقف والشهادات وما إليها ، وقد تبدو هذه الأشكال والأنواع السردية متداخلة ومختلطة، إلا إن القاسم المشترك بينها هو السرد والرواية والنقل ، نقل اللاحقين عن السابقين أو الغائبين عن الشهود(١).

والذي يعنينا من كل هذه الأشكال النصوص التي تنطبق عليها قوانين الشعرية، وما كانت وليدة التفكير الإبداعي والقصدية الأدبية في التأليف. وعلى الرغم من تعدد اتجاهات علم السرد في التفاعل مع النص الأدبي الحكائي فإننا نميل للقول المؤيد لكون تلك الاتجاهات مكملة لبعضها لا مختلفة ، فكل نظرية أدبية واتجاه يكمل بالأساس الاتجاه الآخر لذا يمكن التعامل مع نصوص

(٢) : السرد العربي القديم / إبراهيم صحراوي / ص٢٤ .

النثر العباسي موضوع الدراسة، من خلال اتجاهين فكريين محددين تتضح من خلالهما أركان المنهج البنيوي (الحكائية – السردية – الدلالية) وهما :

ـ اتجاه (جيرار جنيت) : ويتلخص في التفاعل مع النص بالمعطيات التالية (البنية السردية ، الراوي ، المروي له ، الصيغة السردية ، الصوت السردي) .

ـــــــ اتجاه (رولان بارت) : ويتلخص في ما يريد النص أن يشير إليه من الأنظمة الفكرية والاجتماعية التي يكمن وراءها استخدام المستوى السردي بهذا الشكل المحدد .

فمن خلال المزج بين هذين الاتجاهين يمكننا إن نتفاعل مع النصوص النثرية المختارة للتطبيق والدراسة ، ومن أشكال النصوص السردية في العصر العباسي : (الخبر ، القصة ، المقامة) ولعل هناك الكثير من الأشكال الأخرى ، ولكنها لم تتميز بالنهج السردي كالأشكال السابقة. أما الشعرية فتهتم بفنيّة العمل الأدبي وجماليته, وهدفها البحث عن الإبداع والخَلق والتغيير الذي يحقق التميز والفرادة في التأليف واللغة الشعريّة هي لغة خاصة متفردة من أديب لآخر, ومن عصر لعصر. وهي تعمل على تحطيم اللغة العادية وإعادة بنائها ثانيةً , في أنساق تركيبية وعاطفية جديدة . أي إنها تقدّم صورة جديدة للحياة والإنسان. وهي لغة تكثيف وغرابة, لغة تؤلف ما لا يأتلف, تصدم, تعبر إلى حيث الإدهاش والسحر, وتستخدم كل ما تتيحه اللغة من فضاءات وإمكانات كالمجاز والاستعارة والأسطورة والرمز وكل ما توحي به من تجريد ومن إمكانات جمالية وفكرية . ويترابط في اللغة الشعرية المستوى الصوتي مع المستوى الدلالي , كما إنها تُمثل بنية وظيفيّة لا يمكن فهم عنصر منها خارج نظامها المتكامل[٣].

ومصطلح الشعرية يعد أفضل المصطلحات وأيسرها في الإفصاح عمّا تحمله من مفهوم . ((ان الشعرية ليست الا علماً للغة الخاصة ذات الاغراض الجمالية المقصودة بذاتها))[٤]وبما إن اللغة هي المنظومة الأساس للنص الأدبي ، نجد أن مفاهيم الشعرية تدور حولها ، إذ " يمكن

---

٣ اتجاهات الشعرية الحديثة / د. يوسف اسكندر / ص ١٢٧.

٤ اللغة في قلب الصراع / محمد رضا مبارك / آفاق عربية / ع١٢، ١٩٩٠ ، ص ٩٥ .

تطويع لغة النثر لتكون لغة شعر عن طريق الانزياح كما يرى جان كوهن أو عن طريق الانحراف كما يرى ياكوبسن والشكلانيون الروس, أو الفجوة . مسافة التوتر . عند د. كمال أبو ديب[٥] وعن طريق المحاكاة كما ذكر ذلك أرسطو والفارابي، أو بالتخييل كما يرى ابن سينا والسجلماسي وحازم القرطاجني , في حين يرى الجرجاني ، أن الشعرية تكمن في المجاز وقد أفاض في شرح هذا المفهوم وإثباته. لقد تطورت الدراسات حول الشعرية وتعددت مناهجها الامر الذي أفرز لنا عدداً من الشعريات منها (الشعرية الأسلوبية , والشعرية المحاكاتية, والشعرية التأثريّة, والشعرية التعبيرية, والشعرية الموضوعية , والشعرية البلاغية , والشعرية اللسانية)[٦] ولكل شعرية من هذه الشعريات مجالها الخاص ونقادها ومنظروها الذين يتبنّون منهجها وإن كان هناك تداخل بين الأنماط جميعها بشكل من الأشكال, إلا إن الشعرية الأسلوبية هي الأقرب إلى منهجنا في دراسة النثر العباسي لأنها تنطلق من مبدأ أساسي وهو إن الوصف اللساني غير كافٍ لتحديد خصوصية كل نص إبداعي , لأنه يبحث عن القواعد الجمالية العامة التي تنتظم النصوص الفنية , وتحديد الخصائص الفنية الفردية في كل نص أدبي, وضرورة إيجاد معايير خاصة تميّز بين الوقائع العادية التي يشتمل عليها النص , والوقائع الأسلوبية المنافرة , أي تلك التي تؤثر في المتلقي . وفي ضوء هذا التصور يرى ريفاتير– وهو رائد الدراسة في هذا المجال – بأن الأسلوب لا يتشكل من الصور والمجازات والتقنيات البلاغية فحسب , بل إن البنية الأسلوبية في نص معين تكمن في سلسلة من العناصر المتوقعة التي تدخل في علاقة تعارض مع العناصر غير المتوقعة, فكل أسلوب يشتمل على سياق ونقيضه.

هذا وإن الإجراءات الأسلوبية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بادراك القارئ لها, ذلك إن قيمة كل إجراء أسلوبي تتحدد من خلال المفاجأة التي تُحدثها في المتلقي فكلما كانت غير متوقعة كان أثرها في نفس المتلقي عميقاً.[٧] إن الشعرية مدٌ هائل , والدراسات التي تناولتها من الكثرة والاتساع اذ يصعب

٥ ينظر كتاب قضايا الشعرية / رومان ياكبسون . وكتاب بنية اللغة الشعرية / جان كوهن

٦ هيرمنيوطقيا الشعر العربي / د. يوسف اسكندر / ص ٥١ .

٧ ينظر : الشعرية الموضوعية والنقد الأدبي / محمد القاسمي / مجلة فكر ونقد (ص ، ٢٨)

الإحاطة بها وتناول كل ما ذُكر عنها في مبحثٍ صغير لا يتعدى كونه مِهاداً تنظيرياً أولياً لهذا الموضوع الشائك والكبير.

ولكن من جملة المقولات التي أفاضوا بشرحها والحديث عنها خرجنا بمقولة مهمة هي بمنظورنا المتواضع تمثل التعبير الحقيقي عن الشعرية لأنها تجمع مفاهيم عدّه وآراء ومناهج ، وهي إن الشعرية تمثل فن الإبداع والتجاوز والإدهاش ، فهي تمثل دراسة للتشكيل الجمالي والإبداعي للنصوص ، والقدرة على الابتكار وخلق الصياغات الجديدة واستحضار الأشكال والمضامين النادرة التي تدل على قدرة الأديب وعمق تجربته الأدبية وفهمه للتجارب السابقة وتجاوزه لها ، الأمر الذي يُدهش القارئ ويصدمه بما يخالف توقعه ويحقق له المتعة والفائدة . من هنا فالشعرية تهتم بأسلوب الأديب أولاً ثم بقدرته على خلق نص يتجاوز وينزاح عن النصوص الأخرى بما فيه من ابتكار ثم بالقارئ الفاعل الذي يتلقى النص ويكون حافزاً للأديب على الإبداع .

شعرية التشكيل السردي في القصص العباسي

لو تلمسنا جذور الفن القصصي أو الحكائي عند أدباء العصر العباسي ، لوجدنا النبع الثر والشواهد الكثيرة في قصص القرآن الكريم ، صحيح إن العرب في الجاهلية قد عرفوا لوناً من ألوان الحكاية في بعض قصص الأساطير الخرافية وقصص أيام العرب التي كانت تمجد بعض البطولات الفردية ، وتحاول أن تجد لها مكاناً في فن الملحمة غير إنهم لم يعرفوا الشكل الفني المتكامل للقصة إلا بعد ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم . فقد نمى الفن القصصي عند العرب بشكل ملحوظ وسريع وإن كان في مجال الشعر قبل مجال النثر ، لكن الباعث لهذا النمو هو احتواء الكتاب الكريم وحديث الرسول الأمين على أشكال من القصص تدور حول حقائق وأخبار عن أمم سالفة وشخصيات بارزة وأنبياء سبقوا خاتم النبيين ، فكانت تلك القصص تبين مواقف خاصة وعواقب معينة ، فيها الكثير من العبر والمواعظ ، وهي وإن كانت شديدة الإرتباط بالواقع ، فيها خيال خصب وعجائبية ألهبت المخيلة العربية وألهمتها للسير في طريق تطوير هذا الفن الابداعي. ثم يجيء دور التمازج الثقافي مع الأمم الأخرى والترجمة التي نقلت

معظم النتاج الأدبي لتلك الدول إلى اللغة العربية، ليجعل تطور النثر القصـــصـــي بالذات أكثر نضـجاً وإتقاناً ، ومن هنا ظهرت القصـة النثرية بعدّة أشكال منها ما يكون خبر طريف يتحدث به الأديب وينقله وهو ما يمت بصـــلة إلى التاريخ، أو حكاية قصـــيرة تدور حول حادث بســيط تشتبك فيها العقدة اشتباكاً ينتج عنه متعة أدبية حقيقية وتسمى الحكاية بحكاية أو نادرة إذا قامت على النكتة والرشاقة وتسمى سمراً إذا تحدّث بها ليلاً أو رواية تضطرب حوادثها حول حادث رئيس واحد وتكثر أشخاصها وتتصادم مصالح أبطالها .[٨] وقد بقيت هذه الأشكال مستخدمة من لدن الأدباء لوقتٍ طويل، منذ ظهور أولى بوادر القصة في العصر الإسلامي، وخلال العصر الأموي، وحتى أوائل العصـر العباسـي، أما القصــة بوصـفها فناً مسـتقلاً، له أركانه وشـروطه وخصـائصـه وسماته الخاصـة ، لم يظهر على الساحة الأدبية إلا في وقت متأخر، ففي العصـر العباسـي أصـبحت القصـة ذات شـخصـية مستقلة تخرج عن نطاق الخبر والحادثة، وأخذ الأدباء العباسـيون يتبارون فيما بينهم لتحقيق الإبداع والتميّز في مجال الكتابة القصــصــية، وكل منهم يبحث عن هوية خاصـة به، ويحاول ترجمة تجربته الخاصـة التي يعيشـها إلى أعمال قصـصـية، أو على الأقل يجعل ظلالها تنعكس على جوانب تلك الإبداعات، فكان لكل منهم طريقته الخاصـــة في الســـرد القصـــصـــي، والتي قد تتأثر في كثير من الأحيان بواقعه الحياتي والذاتي ووجهة نظره حول المجتمع، كل تلك الأشـــياء تســـهم في خلق المعالم الشـــكلية والمضـــمونية للنصوص السردية التي يكتبها الأديب خلال مسيرته الإبداعية، والتي يحاول تطويرها من خلال الإطلاع على التجارب الســـابقة ، والتســـلح بمختلف الثقافات والمعارف المتنوعة، فمن أبرز مظاهر شـعرية القص في النثر العباسـي هو ذلك الإبداع الخالق والمجادل لواقعه الفعلي، وتراثه الخاص، والمتميز في أطر الخلق اللغوي وأشكاله، لأن الشعرية توجد مع وجود القصدية الأدبية والرغبة في الخلق والإبداع والتميز ونضـــوج التجارب وتحقيق الإنزياحات. ظهرت العديد من الأشكال القصصية في العصر العباسي منها (**القصص الوعظية والفلسفية والرمزية والفكرية أو المعرفية**) التي اهتمت بالإنسـان وتهذيبه النفسـي والخلقي ومشـاغله الفكرية وأسـئلته الأزلية

٨ ينظر : تاريخ الأدب العربي \ حنا الفاخوري \ ص ١٥٧ .

والوجودية، ومنها القصص التي تضمنتها رسالة الغفران ورسالة الملائكة للمعري ورسالة حي بن يقظان لابن سـينا وحكايات إخوان الصـفا، وقصـص الزهاد والمتصـوفة وأهل الكرامات كما في النثر الصـوفي وكتاب البصـائر والذخائر والإمتاع والمؤانسـة للتوحيدي وكتاب المسـتجاد من فعلات الأجواد لأبي القاسم علي بن عبد المحسن التنوخي، وغيرها من الكتب وهناك (**القصص العاطفية**) التي تدور حول العشـاق والمحبين وأهل اللهو وهي كثيرة ومتناثرة في كتب الأدب وفي كتاب ألف ليلة وليلة بالذات. أما(**القصـص الفكاهية أو النوادر**) كما يدعوها البعض في تلك التي تهتم بحكايات الحمقى والمغفلين والمجانين والبخلاء وأصـحاب العاهات وغيرهم من الذين يقعون في مواقف محرجة تدعو للسـخرية والضـحك كتب الجاحظ خير من اهتم بهذه القصص ولاسيما كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان وكتاب البخلاء الذي خصصه لهذا الشكل القصصي ومثله كتاب البخلاء للخطيب البغدادي، وهناك حكايات بهلول وحكايات جحا التي تعد من أروع الحكايات الشعبية. وهذه الأشكال جميعها أو الأعم الأغلب منها هي قصص واقعية مستقاة من الواقع وأبطالها أشخاص حقيقيون، ولكن هناك شكل آخر من القصص هي القصص الخيالية، مثل (**قصص الحيوان**) وأشهرها قصص كليلة ودمنة وقصة تداعي الحيوان على الإنسان في محكمة الجن، وهناك (**قصص المغامرات والرحلات الخالية**)، التي يخوضها أبطال لهم صفات خيالية وفيها نجد تداخلاً لعالم الإنسان مع عالم الجان والحيوان والكثير من المدن والعوالم غير الحقيقية، ولعل أفضـل تلك القصـص ما نجده في حكايات ألف ليلة وليلة مثل قصة السندباد البحري أو قصة الشاطر حسن وغيرها من القصص الأخرى .

ولمعرفة مدى النضج السردي لهذه القصص وما أسهمت فيه من انجاز في مجال تحقيق شعرية النثر العباسي ، لا بد من دراسة نماذج منها وتسليط الضوء على أهم جوانب الإبداع فيها

نمـاذج تطبيقية

تعتمد دراستنا لآليات التشكيل السردي في القصص على ثلاثة مستويات هي :

١ – السردية اللغوية . ٢– السردية السياقية ٣ – السردية الزمكانية

أولاً – السردية اللغوية :

وتتمثل هذه السردية اللغوية في علاقة الصيغ السردية بالسارد ، وفي مستويات السرد اللغوي بعد أن تتشكل هذه الصيغ . ونستطيع دراسة هذه السردية اللغوية في هذه المجموعة من خلال محورين ، الأول : الصيغ السردية والسارد ، والثاني : مستويات اللغة المسرودة .

ـ الصيغ السردية والسارد :

إن الصيغة تمثل الأداة الفاعلة في النص القصصي ، كما إنها تعد الأداة الطيعة للقاص وتحدد هوية النص وأبعاده الزمكانية ، أما السارد فهو الشخص الذي يقوم بالسرد ، والذي يكون شاخصاً فيه ، وهناك على الأقل سارد واحد لكل سرد ماثل في مستوى الحكي نفسه ، مع المسرود له الذي يتلقى كلامه ، وفي سرد ما قد يكون هناك عدة ساردين يتحدثون لعدد من المسرود لهم أو لمسرود واحد بذاته[٩] ، وتتمثل العلاقة بين الصيغ السردية والسارد في القصص النثرية بجميع أنواعها في جانبين : (السارد الحاضر / المشارك) ، (السارد الغائب / الراصد) .

ـ السارد الحاضر :

ويعني به السارد المشارك في سياق القصة وأحداثها من خلال استخدامه ضمير المتكلم ، أي إن الأحداث والمشاهد والصور القصصية تصلنا من خلال السارد نفسه ، لأن السارد حينئذ يكون حاضراً ومشاركاً في أحداث القصة وكأنه شخصية من شخصيات القص . انظر هذه القصة : " **حدّث الأصمعي قال : وقعت حرب بالبادية اتصلت بالبصرة وتفاقم الأمر فيها حتى مشى الناس في الصلح بين الجيشين واجتمعوا في المسجد الجامع – قال : فبُعثتُ وأنا حينئذ غلام إلى القعقاع بن ضرار الفزاري فاستأذنت عليه – فأذن لي فدخلتُ فوجدته في شَملة يخلط بزراً لعنز له حلوب فخبّرته بمجتمع القوم فأمهل حتى أكل العنز ثم غسل الصفحة وصاح : يا جارية غدينا – فأتته بزيت وتمر – قال : فدعاني للأكل فغسل منه يديه ثم استسقى ماء فشربه ومسح فاضله على وجهه ثم قال : الحمد لله ماء الفرات ، بتمر**

٩ ينظر كتاب المصطلح السردي م جيرالد برنس ، وذلك للاطلاع على معلومات مستفيضة حول السارد وأشكاله في النصوص السردية / ص ١٥٨ – ١٦٦ .

البصـــرة ، بزيت الشـــام متى يؤدي شـــكرُ هذه النعم – ثم اخذ رداءهُ فارتدى به على تلك الشَملة – قال الأصمعي : فتجافيت عنه استقباحاً لزيه – فلما دخل صلّــى ركعتين ثم مشى إلى القوم فلم تبقَ مألة الا حُلّت إعظاماً له ثم جلس فتحمّـل جميع ما كان بين الأحياء من الديات في ماله ونهض – وهو سيد القوم بفعله . "[١٠]

لو تأملنا هذه القصــة القصـيرة لوجدنا بان السـارد فيها لا يرصـد الحدث من الخارج لكنه يمثل شخصية من شخصيات القصة ، وذلك باستخدام الكاتب ضمير المتكلم (بُعثتُ ، استأذنتُ ، دخلتُ ، وجدتهُ ، خبرتهُ ، فتجافيتُ) فكل هذه الأفعال قام بها السـارد نفسـه أثناء مشـاركته في الحدث . وتتفاوت الصـيغ السردية الدالة على الماضـي والحاضـر والمستقبل وفقاً لمعايشـة السارد للحدث ، فكلما كان السارد معايشاً للحدث زادت الصيغ الدالة على الحاضر والمستقبل ، ولكن في هذه القصة نجد الصيغ الدالة على الماضي هي المهيمنة ، لأن السارد (الأصمعي) يروي لنا حكاية وقعت له قديماً .

ـ الســارد الغائب :

ونعني به الســـارد الغائب أو الراصـــد أو المشـــاهد للأحداث التي يرويها عن غيره من دون أن يتدخل فيها ، وذلك من خلال استخدام ضـمير الغائب ، على العكس من السارد الحاضـر الذي يعبّر عن رغبــة الســـــارد في أن يكون فــاعلاً ومفعولاً في الحــدث في آنٍ واحــد . وخير مثال على هذا الســـارد نجده في (قصـــص ألف ليلة وليلة) ، ففي هذه القصـــص نجد شـخصـية شـهرزاد وهي السـارد لكل قصـص الليالي ، لا تشـارك في الأحداث بل ترصـدها من الخارج ، أي إنها ليسـت شـخصـية من شـخصـيات أي قصــة من تلك القصــص ، وإنما هي شـخصـية خارجية تسـرد الأحداث وترصـدها دون التدخل فيها . انظر هذا النص " **بلغني أيها الملك الســـعيد انه كان هناك تاجر من التجّار كثير المال والمعاملات في البلاد قد ركب يوماً**

١٠ المُستجاد من فعلات الأجواد / أبو القاسم علي بن عبد المحسن التنوخي / ص ١٧٠ .

وخرج يضـرب في بعض البلاد ، فاشـتدّ عليه الحر فجلس تحت شـجرة وحط يده في خرجه ، وأكل كســـرة كانت معه وتمرة ، فلما فرغ من أكل التمرة رمى النواة فإذا بعفريت طويل القامة وبيده سيف دنا من ذلك التاجر وقال له : قم حتى أقتلك مثل ما جاءت النواة في صدر ولدي فقضي عليه لساعته . ثم جذبه وبطحه على الأرض " [١١] .

ولعل شـيوع هذا النمط في العملية السـردية يرجع إلى إن السـارد الغائب لا يميل إلى الفعالية المباشرة مع الحدث ، وليس عنصراً فاعلاً في الأحداث ، بل يكتفي بالرصد والتسجيل للأحداث الحياتية المعبر عنها في نسـيج القصـة ، كما إن العلاقة بين السـارد الغائب والصـيغ السردية تتوقف على طبيعة معايشة السارد للحدث القصصي ، فكلما كان معايشاً للحدث في زمن الحضور أدى ذلك إلى استخدام الصيغ الفعلية الدالة على الحاضر والمستقبل والتي تتمثل في صـــيغ (أفعل – يفعل – نفعل – تفعل) ، بينما حين يروي حكايات وقعت في الزمن الماضي ، تكون الصيغ الفعلية الدالة على الفعل الماضي هي المهيمنة ، إلا إن هيمنة الصيغ الفعلية الدالة على الحاضـر والمسـتقبل في نصـوص الليالي تعزى إلى اعتماد جزء من العملية السردية فيها على (السرد الحواري) .

انظر هذا النص : " **قالت له العجوز فكيف تكون بلادكم ؟ قال لها : إن في بلادنا الدور الواســعة الرحبة والفواكه اليانعة اللذيذة والمياه الغزيرة العذبة والأطعمة الطيبة واللحوم السمينة والغنم الكثيرة وكل شيء طيب والخيرات الحسان اللاتي لا يكون مثلهن إلا في الجنة التي وصـفها الله تعالى لعباده الصـالحين . فقالت العجوز : قد سـمعت هذا كله فقل لي هل يكون لكم من سلطان يحكم عليكم ويجور في حكمه وأنتم تحت يده ، وإن أذنب احد منكم أخذ أمواله وأتلفه وإذا أراد أخرجكم من بيوتكم واستأصل شأفتكم . فقال لها الرجل : قد يكون ذلك فقالت العجوز : إذن والله يكون الطعام اللطيف والعيش الظريف والنعم اللذيذة مع الجور**

---

١١ ألف ليلة وليلة / ج ١ – ص ١٢ .

والظلم ســــماً ناقعاً وتعود أطعمتنا مع الأمن ترياقاً نافعاً . " [١٢] لو تأملنا هذا النص الحواري لوجدنا الصيغ الفعلية الدالة على الحاضر أكثر من الصيغ الفعلية الدالة على الماضي.

ـ أنماط اللغة السردية :

إن العلاقة بين العملية السردية ومستويات اللغة وأنماطها علاقة حميمة من خلال اعتماد الكاتب في الســـرد على الجانب اللغوي، واعتماد الجانب اللغوي على الموروثات الثقافية والحياتية التي شكلت وعي الكاتب ، وتتمثل أنماط اللغة السردية في القصص في (لغة الحياة اليومية ، واللغة الشاعرية) .

أما عن (لغة الحياة اليومية) ، فإننا نعني بها اللغة الأدبية البليغة التي لا تســـتخدم تعبيرات معجمية غريبة عن روح العصر ، كما إنها لا تستخدم تعبيراتٍ وألفاظاً سوقية لا ترقى إلى لغة الفن . فهي تمتاز بوضــوحها وبســاطتها وقربها من فهم عامة الناس وأذواقهم أي إنها مزيج من اللغة اليومية والأدبية ، لننظر لهذه القصة التي ذكرها التوحيدي في كتاب البصائر والذخائر :

" اعتل بعض النوكى (مفردها أنوك وهو الأحمق وقيل العاجز الجاهل) وكان من الرؤساء المجدودين (أي المحظوظين) فجيء بطبيب ، فقال الطبيب : إذا كان غداً فاحتفظ بالبول حتى أجيء وأنظر إليه فاحكم عليه ، فلما عاد الطبيب قال المريض : يا عبد الله كادت مثانتي والله تنشق مما حبست فلما تأخرت بلتُ الساعة ، قال الطبيب : ما هذا ! إنما أمرتك أن تحبسهُ في إناء ، فلما كان الغد جاء الطبيبُ فإذا هو قد أخذ بوله في آنيةٍ خضراء فقال له : يا هذا أخطأت ألم يكن في الدنيا قارورة زجاج ؟ كنت تأخذه في قدحٍ ومضى ، فلما عاد الطبيبُ وإذا العليلُ قد أخذ البول في قدحٍ من خشبٍ وجاء إليه وقال : أنت حَرِج الله إلا ما نظرت في هذا الماء وأصدقني عن أمري هل يُخافُ عليّ من هذه العلة ؟ قال الطبيبُ : أما

١٢ ألف ليلة وليلة / ج ١ / ج ٣ – ص ١٨٥ .

إذ حلقتني فلا بد أن أقول لك : أنا خائف من أن تموت من هذا العقل لا من هذه العلة . " [١٣]، نجد إن لغة القصة سهلة وسلسة ومن مألوف الحياة اليومية ، ولعل القصص الفكاهية من أكثر القصص التي تُؤثر هذه اللغة البسيطة ، ولكن هذا لا يعني عدم اعتماد باقي الأشكال القصصية عليها[١٤]. أما اللغة الشاعرية التي نجدها في بعض القصص فنعني بها تلك اللغة التي تعتمد على تماثل الوحدات الصوتية ، مثل تماثل المقاطع الصوتية ، وتماثل الجرس الصوتي ، وتماثل النبر ، والتنغيم والمفصل ، والجهر والهمس ، والشدة والرخاوة ، والأصوات التكرارية ، والصفيرية ، أي إنها لغة ذات إيقاع وموسيقية تمنح القصص أجواءً شاعرية ، ومثل هذه اللغة نجدها بكثرة في حكايات ألف ليلة وليلة ، بل تكاد تلك الحكايات تنفرد بهذه اللغة عن غيرها من الحكايات في العصر العباسي ، انظر هذا النص : "

وكان تحت الفارس حصان يتحير في حسنه الإنسان ، ويكل عن وصفه اللسان ، وله قوائم مثل أعمدة الرخام ، معد ليوم الحرب والزحام . فلما نظر (كان ما كان) إلى ذلك الحصان، أخذه الهيام وقال في نفسه : إن مثل هذا الحصان لا يوجد في هذا الزمان "[١٥]، إن الكاتب استعمل في هذا النص تقنية الجمل المكثفة فضلاً عن التماثل المقطعي الناتج عن تماثل النهايات المقطعية.

***السردية السياقية :**

المقصود بالسردية السياقية العلاقة بين السرد وتشكيل سياقات النص القصصي الممثل في الشخصية والحدث والمواقف والرؤى [١٦]وتهتم السردية السياقية بجانبين :

الأول : السرد وتشكيل الشخصية ، والثاني : السرد وتشكيل الحدث .

---

١٣ البصائر والذخائر / لأبي حيان التوحيدي / ج ٤ / ص ١١٢ – ١١٣

١٤ انظر كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع وكتاب البخلاء للجاحظ وكتاب الأذكياء لابن الجوزي وكتاب ألف ليلة وليلة .

١٥ ألف ليلة وليلة / ج٢ – ص ٧٧ .

١٦ ينظر المصطلح السردي / ص ١٤٨ .

السرد وتشكيل الشخصية :

للسـرد دور كبير في تشـكيل الشـخصـية في النص القصـصـي ، فمن خلاله يتم رسـم ملامح الشخصية وتشكيلها فنياً ودلالياً سواء على مستوى وظيفة الشخصية ودورها الدلالي ، أو على مستوى طبيعة السرد وعلاقته بالشخصية من حيث سكونية الوصف وحركيته ، أم على مستوى الرؤية السردية للشخصية . ويمكن توضيح هذا الجانب بشكل دقيق من خلال دراستنا لإحدى حكايات ألف ليلة وليلة وهي حكاية التاجر والعفريت[١٧].

الدور الوظيفي للشخصية :

يتضّح الدور الوظيفي للشخصية من خلال الربط بين الشخصية الفاعلة والشخصيات المضادة والمساعدة لها ومحور الصراع ومحور الرغبة .

١ـ الشخصية الإيجابية (الفاعـلة) :

تتمثل شخصية (الفاعل / البطل) في الشخصية التي تريد أن تُحدث فعلاً إيجابياً وهي على العكس من الشخصية المضادة ، أي هي الشخصية التي تمثل الجانب الايجابي في القصة ، غير إن هذه الشخصيات أحياناً قد يقع عليها قهر وتسلط الشخصيات المضادة بسبب فعل غير مقصـود أو لظروف قهرية . وفي الحكاية موضـوع الدراسـة الفاعل هو (التاجر) ، وهو يقوم في القصـة بالفصـل المعتاد (التجارة) وهو فعل إيجابي لفاعل إيجابي . لكنه يقع تحت تسلط شخصية مضادة (العفريت) ، بسبب فعل غير مقصود (أكل تمرة ورمى بالنواة فإذا بها تسقط في صدر أحد أولاد العفريت فيقضـى عليه لساعته) ، فيهدد العفريت بقتله انتقاماً لولده. فيطلب منه التاجر أن يمهله حتى يذهب لقضـاء ديونه وتصـفية أموره المتعلقة وتوديع أهله، وعندما يسـمح له العفريت بذلك يفي بوعده ويعود وهذا فعل ايجابي آخر للفاعل هذا فيما

١٧ ينظر : ألف ليلة وليلة / ج ١ – ص ١٢ – ١٨ .

يتعلق بالقصة (الرئيسية / المحورية) ، أما القصص الفرعية ، فالشيوخ الثلاثة هم الشخصيات (الفاعلة / الأبطال) ، وهم أشخاص ايجابيون من أصحاب المبادئ والأخلاق القويمة ، الساعون في عمل الخير للناس ولاسيما الأشخاص القريبين منهم ، لكن الأمور تجري ضدهم ويقابلون بالغدر والخيانة .

٢ – الشخصية السلبية (المضادة) :

تتمثل الشخصيات المضادة بالشخصيات اللامألوفة التي تمارس الأدوار السلطوية والقهرية على الآخرين وقد يصرّح الكاتب بهذه الشخصية وقد يرمز لها بقوى معينة . وفي حكاية التاجر والعفريت صرّح الكاتب بها ، فهي ذلك العفريت الذي يريد قتل التاجر انتقاماً لولده . أما في القصص الفرعية ، ففي قصة الشيخ صاحب الغزالة كانت الشخصية المضادة هي ابنة عمه وزوجته ، التي سيطر عليها الحقد والحسد والكره لضرّتها وولدها فقامت بسحرهما إلى بقرة وعجل وتسببت بمقتل الأم على يد الزوج ، وكانت تحرّض على مقتل الابن . وفي حكاية الشيخ صاحب الكلبين ، نجد إن هناك شخصيتين مضادتين هما أخويه اللذين قابلا الإحسان بالإساءة والغدر ومحاولة القتل . أما في حكاية الشيخ والبغلة ، فالشخصية المضادة هي الزوجة الخائنة التي لم تكتفِ بالخيانة بل قامت بإلقاء السحر على زوجها وتحويله إلى كلب عندما اكتشف خيانتها .

٣ – المساعدون :

وتتمثل بالشخصيات المساعدة للفاعل ، أي تقوم بأفعال ايجابية مساندة لشخصية الفاعل ، تتمثل هذه الشخصيات في حكاية التاجر والعفريت بالشيوخ الثلاثة (صاحب الغزالة وصاحب الكلبتين وصاحب البغلة) ، إذ قام كل منهم بشراء ثلث دم التاجر من العفريت مقابل سرد حكايته ، وبذلك نجّوه من المصير المحتوم . في الحكايات الفرعية نجد إن المساعدون في حكاية الشيخ صاحب الغزالة هو الراعي وابنته اللذين كشفا حقيقة (زوجته / بنت العم) ، وما

مارسته من سحر على زوجته الثانية وولدها ، ثم قيامها بإبطال السحر عن الولد وردّه إلى أبيه ، وتحويل الزوجة الحاقدة إلى غزالة جزاءاً على ما اقترفته . أما في حكاية الشيخ صاحب الكلبين ، فالشخصية المساعدة هي زوجة (الأخ الثالث / الشيخ) ، إذ تبيّن إنها جنية استطاعت بفضل قواها أن تنجّي زوجها من الهلاك غرقاً بالبحر بعد غدر إخوته به ورغبتهم في قتله ، والعودة به إلى دياره لإنقاذ ثروته وتجارته ، ثم الاقتصاص من الأخوين الخائنين بتحويلهما إلى كلبين . وفي قصة الشيخ والبغلة ، كان القصّاب وابنته التي تعرف أمور السحر ، هما الشخصيتين المساعدتين ، إذ استطاعت فك السحر عن الشيخ ، وإرجاعه إلى هيئته البشرية ، بعد أن مُسِخ كلباً ، ثم قامت بتحويل الزوجة الخائنة إلى بغلة .

٤ـ محور الرغبة :

يتمثل هذا المحور في الرغبة التي تود الشخصيات الايجابية فعلها ، سواء كان حلماً أم واقعاً .(فالفاعل / التاجر) كان يرغب في النجاة من القتل ، والعودة إلى زوجته وأولاده وموطنه . في حين إن رغبة المساعدون كانت منصبّةً على تأثر العفريت بقصصهم والعفو عن التاجر . في القصص الفرعية هناك الكثير من الرغبات ، ففي الحكاية الأولى كان الشيخ يرغب بالحصول على ولد ، بعد أن حُرم من الأولاد لثلاثين سنة ، لأن زوجته الأولى لم تكن تستطيع الإنجاب ، ولذا تزوج من ثانية ورُزق منها بولد ، أما رغبة الشخصية المساعدة فكانت تدور حول مساعدة الشاب لاستعادة هيأته الآدمية وعودته إلى أبوه مع الرغبة في الارتباط به ، ومعاقبة الزوجة الشريرة . أما في الحكاية الثانية ، فرغبة الفاعل كانت في تقديم المساعدة المادية والمعنوية لأخويه وتجميع شمل الأخوة والنجاح في التجارة ، ثم ظهرت رغبة أخرى ، هي الارتباط بالفتاة التي إلتقاها وأحبها وصار يقضي كل الوقت معها ، مما أثار غيرة أخويه ، وقد كانت رغبة (زوجته الجنية / الشخصية المساعدة) ، رد الجميل للزوج بإنقاذ حياته والحفاظ على ثروته وتخليصه من الأخوة الخونة . في الحكاية الثالثة كان الشيخ يرغب بزوال السحر عنه والعودة إلى هيأته الآدمية والانتقام من زوجته الخائنة بمسخها لبغلة ، وكانت رغبة (الشخصية

المساعدة / ابنة القصاب) ، تكمن في تخليص الشيخ من السحر وتقديم المساعدة له للانتقام من زوجته الخائنة . وقد تم تحقيق هذه الرغبات بالفعل .

٥ – محور الصراع :

أو غاية الفعل ، ويتمثل في الأفعال السلبية والايجابية التي تتحقق عن طريق الشخصيات الفاعلة والمضادة والمساعدة . في الحكاية كان الصراع يدور حول القصاص ، فالعفريت يريد أن يقتص من التاجر لأنه قتل ولده ، والتاجر يريد إثبات براءته وأن القتل وقع دون قصد ، وهنا تكمن ذروة الصراع ، ثم يتدخل (الشيوخ الثلاثة / المساعدون) ، لإنقاذ الموقف ومنع القصاص من الوقوع (حل عقدة الصراع) ، وذلك بسرد قصصهم العجيبة وإسقاط ثلث العقاب مع كل قصة حتى يسقط القصاص ويتخلى العفريت عن فكرة قتل التاجر . أما الصراعات في القصص الفرعية فهي كالآتي ، في قصة الشيخ صاحب الغزالة يدور الصراع حول رغبة الزوجة الشريرة في الخلاص من ابن زوجها وأمه وذلك باستخدام السحر وتحويلهما إلى بقرة وعجل ، ويصل الصراع إلى ذروته عند طلب الشيخ من الراعي إحضار بقرة لذبحها في عيد الأضحى ، فيأتيه بالبقرة التي هي في الأصل زوجته المسحورة ويحاول ذبحها وعندما يعجز عن ذلك يقوم الراعي بذبحها ، ويشتد الصراع احتداماً ، عندما يقرر الشيخ ذبح عجل بدلاً من تلك البقرة ، التي ليس فيها سوى الجلد والعظم ، فيقع اختياره على العجل الذي هو في الأصل ولده المسحور ، فتتسارع أنفاس القارئ لمعرفة ما سيحدث ويتنامى الصراع حتى اللحظة التي يقرر فيها الشيخ ترك العجل رأفةً به ، وذبح بقرةً أخرى بدلاً عنه ، أما الحل فيأتي على يد ابنة الراعي العالمة بالسحر ، إذ تخلص الشاب من سحر زوجة الأب ، وتلقي عليها بسحر يحوّلها إلى غزالة ، تحقيقاً للمقولة التي تقول (انقلب السحر على الساحر) . وفي قصة الشيخ صاحب الكلبين يبدأ الصراع من اللحظة التي يمتلك فيها الحسد قلب الأخوين فيقرران قتل أخيهما غدراً ، والاستيلاء على ثروته ، ويصل الصراع للذروة عندما يلقيانه في البحر أثناء نومه ، لكن يأتي الحل على يد زوجته الجنية التي تنقذه وتعيده لموطنه وتنتقم له من الأخوين الغدارين . أما في

قصة الشيخ صاحب البغلة ، فيبدأ الصراع من اللحظة التي يفاجئ فيها الشيخ زوجته الخائنة مع عشـــيقها ، فيظهر إنها ســـاحرة إذ تقوم بإلقاء تعويذة عليه ، تحوله فيها إلى كلب ، وهذه هي الذروة التي يصل إليها الصراع ثم ينحدر باتجاه الحل عندما يأخذ القصاب ذلك الكلب إلى بيته ، فتراه ابنته وهي عالمة بالســحر أيضـــاً ، فتبطل ســـحر الزوجة ، وتعطيه تعويذة يلقيها عليها ليسحرها بدوره إلى بغلة ، أي مرةً أخرى ينقلب فيها السحر على الساحر . إن هذه الصراعات رغم بساطتها وتشابهها إلى حدٍ ما ، لكنّها لا تخلو من إبداعٍ وعبقريةٍ في التأليف .

طبيعة السرد وعلاقته بالشخصية :

اعتمد الكتّاب إلى حدٍ كبير في ســردهم الواصــف للشــخصــيات على الوصــف الحركي ، وقد ساعدهم في ذلك الاعتماد على الإيقاع اللغوي السريع ، واستخدام الأفعال الدالة على الحركة ، وانعكاس ذلك على السياق الواصف للشخصية فيجيء الوصف حركياً . في حكاية التاجر نجد الكاتب لا يعني بالسرد الوصفي للشخصية في لحظة السكون ، لكنه كان حريصاً على وصف الشـــخصـــية في لحظة الحركة ، انظر هذا النص : " **كان هناك تاجر من التجّار كثير المال والمعاملات في البلاد قد ركب يوماً وخرج يضرب في بعض البلاد ، فاشتدّ عليه الحر فجلس تحت شـــجرة وحطّ يده في خرجه وأكل كســـرةً كانت معه وتمرة ، فلما فرغ من أكل التمرة رمى النواة** " [١٨]، في هذا النص القصــير الذي يصــف فيه الكاتب (الشــخصــية الفاعلة / البطل / التاجر) ، نجد حشــداً من الأفعال (ركب ، خرج ، يضــرب ، اشــتد ، جلس ، حطّ ، أكل ، فرغ ، رمى) ، وهي كلها أفعال تدل على الحركة ، رســـم من خلالها الكاتب حركات البطل وأفعاله ، وقد استخدم كذلك تقنية الجمل القصيرة لأنها ذات إيقاع سريع ، تناسب حركة الأفعال. والأمر ذاته ينطبق على القصـــص الفرعية ، فطبيعة وصـــف الكاتب للشـــخصـــيات هو ذات الوصف الحركي ، وبذات اللغة السريعة الإيقاع .

الرؤية السردية ووجهة النظر التعبيرية للشخصية :

١٨ ألف ليلة وليلة / ج ١ / ص ١٢ .

من خلال التتابع الدلالي لآليات السرد بدايةً من الصيغة اللغوية وعلاقتها بالسارد، مروراً بالمستويات اللغوية، ونهايةً بالتتابع السياقي للشخصية تتضح لنا الرؤية السردية للشخصية، وذلك من خلال وجهة النظر التعبيرية. وتتمثل وجهة نظر الشخصيات في هذه الحكاية في بعض المواقف الاجتماعية والحياتية ، وعلاقة الناس مع بعضهم البعض. إذ نجد الكثير من الأمور التي قد يواجهها الفرد منا في حياته ، وهي قد تكون أموراً ايجابية كالوفاء بالوعد والرفق بالحيوان وتعظيم الأخوّة والحب العفيف، ورد الجميل، ومقابلة الإحسان بالإحسان، والعفو عن الإساءة. وقد تكون أموراً سلبية كالخيانة، والقتل، والحسد، والغيرة، والكره، والسحر المحرم، والمكر والخداع. فالحكاية مليئة بالشخصيات المختلفة ذات النوازع المتباينة والصفات المتفاوتة، وتبعاً لذلك اختلفت المواقف والرؤى.

السرد وتشكيل الحدث :

مثلما يشكّل سرد الشخصية ملمحاً بارزاً في نسيج القصة، فكذلك يشكّل الحدث ملمحاً لا يقل أهميةً عن الشخصية، لأن الحدث لا بد أن تقوم به شخصية ما، وفي القصص العباسية نجد معظم الأحداث من نمط الحدث التقليدي أي الواضح والبسيط [١٩]، بينما تعتمد القصص الأخرى على الحدث المفتت، وهو الحدث الذي يُجزأ إلى جزيئات دقيقة ويُعنى فيه الكاتب بالقيمة الإيحائية والدلالية، ولا يُعنى بمشكلة تقليدية، ويبحث لها الكاتب عن الحل. بل تتتابع الأحداث الجزئية تتابعاً تصاعدياً أو تنازلياً أو دائرياً لتشكل في النهاية الحدث الكلي للقصة، وهذا ما نجده في حكايات كليلة ودمنة وحكايات ألف ليلة وليلة دون استثناء .

السردية الزمكانية:

المقصود بالسردية الزمانية، طبيعة التعبير عن الزمن والمكان في القصة، وتوظيفها توظيفاً فنياً ودلاليا، لا يتم بمعزل عن الآخر لذلك رأينا دراستهما في عنصر واحد. أطلقنا عليه السردية الزمكانية، وتنقسم على قسمين:

---

١٩ ينظر على سبيل المثال القصص التي في كتاب البخلاء للجاحظ ، والقصص في كتاب المُستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي ، والقصص في كتاب البصائر والذخائر للتوحيدي .

الأول : السردية الزمانية .   الثاني : السردية المكانية .

- السردية الزمانية :

تتمثل السردية الزمانية في القصص النثرية في طبيعة التشكيل الزمني، وسوف نقتصر في دراستنا لطبيعة التشكيل الزمني في القصص ،على الترتيب الزمني الداخلي للأحداث المسرودة في القصة ، ومن حيث الترتيب الزمني الداخلي لأحداث القصص فإنها تنقسم إلى قسمين : الأول : الزمن التصاعدي أو التاريخي أو السببي ، والثاني : الزمن المتداخل.

أما عن (**الزمن التصاعدي**): فنعني به تطور الأحداث في القصة تطوراً تصاعدياً من الماضي للحاضر للمستقبل، انظر هذه القصة " **ومن استكثر من جمع العلوم وقراءة الكتب، من غير إعمال الرويّة فيما يقرؤه، كان خليقاً ألا يصيبه إلا ما أصاب الرجل الذي زعمت العلماء انه اجتاز ببعض المفاوز، فظهر له موضع آثار كنز، فجعل يحفر ويطلب، فوقع على شيء من عينٍ وورق، فقال في نفسه: إن أخذت في نقل هذا المال قليلاً قليلاً طال عليّ، وقطعني الاشتغال بنقله وإحرازه عن اللذة بما أصيب منه، ولكن أستأجر أقواماً يحملونه إلى منزلي، وأكون أنا آخرهم، ولا أبقي ورائي شيئاً يشغل فكري بنقله، وأكون قد استظهرت في إراحة بدني عن الكد بيسير أجرةٍ أعطيهم إياها. ثم جاء بالحمالين، فجعل يُحمّل كل واحد منهم ما يطيق فينطلق به إلى منزله فيفوز به، حتى لم يبق من الكنز شيئاً . فانطلق خلفهم إلى منزله، فلم يجد فيه من المال شيئاً ، لا قليلاً ولا كثيراً . وإذا كلّ واحد من الحمالين قد فاز بما حمله لنفسه . ولم يكن له من ذلك إلا العناء والتعب، لأنه لم يفكر في آخر أمره**" [٢٠]، في هذه القصة الوعظية نجد الأحداث تسير بتتابعٍ زمنيٍ مرتب وتصاعدي، وجد الرجل الكنز (فعل ماضي وهو فعل وقوع الحدث)، ثم يقوم بإحضار الحمالين لحمله (فعل يتم في الزمن الحاضر الذي جاء بعد زمن الاكتشاف) ، يكتشف في وقت لاحق ضياع الكنز وسرقة الحمالين له ، وهي النهاية المستقبلية للحدث .

---

٢٠ كليلة ودمنة / ص٤٠ .

أما (**الزمن المتداخل**) : فهو الزمن الذي لا يسير سيراً منتظماً في سياق القصة . لأنه لا يلتزم الترتيب المنطقي للأحداث ، فمن الممكن أن يقدم المستقبل على الماضي أو الحاضر ، أي إن الأحداث تتداخل مع بعضها البعض على المستوى الزمني ، انظر على سبيل المثال هذا المقطع من حكاية التاجر علي المصري : " **وكيف جئتم فقالت : يا سيدي كنت نائمة مع أولادي ليلة البارحة فلم أشعر إلا وشخص رفعني عن الأرض أنا وأولادي إلى أن صرنا طائرين في الهواء ولكن لم يحصل لنا ضرر ، ولم نزل طائرين حتى نزلنا على الأرض في مكان على شكل حلة العرب ، فرأينا هناك بغالاً محملةً وتختروانا ً على بغلتين كبيرتين وحوله من غلمان ورجال فقلت لهم ما انتم وما هذه الأحمال ونحن في أي مكان ؟ فقالوا نحن خدم التاجر علي المصري ابن التاجر حسن الجوهري وقد أرسلنا نأخذكم ونوصلكم إليه في مدينة بغداد . فقلت لهم : وهل المسافة التي بيننا وبين بغداد بعيدة أو قريبة ؟ فقالوا لي : قريبة فيما بيننا وبينهما غير سواد الليل . ثم أركبونا في التختروان فما أصبح الصباح إلا ونحن عندكم ولم يحصل لنا ضرر أبداً** . " [٢١]، عند الإطلاع على الحكاية كاملةً ، سنجد إن الأحداث كانت تسير بترتيبها الزمني المعتاد ثم يأتي سؤال علي المصري لزوجته عن كيفية مجيئهم ، ليعود بنا إلى أحداث وقعت في زمن سابق للزمن الذي هم فيه حيث تم الحديث والسؤال ، ونجد إن ذلك السرد الدقيق للأحداث الذي قامت به الزوجة ، جعل زمن الحكاية يتوقف لبرهة عن تتابعه ، ويبقى عالقاً في الماضي لرواية كل ما حدث ، ثم نكتشف بعدها بأن الرواية سوف ترتبط بحدث يقع في المستقبل القريب ، ألا وهو العثور عنيناه ، والشواهد عليه كثيرة لاسيما في حكايات ألف ليلة وليلة .

- السردية المكانية :

تجسد السردية المكانية ملمحاً جوهرياً في سياق القصص النثرية ، وذلك من خلال توظيف الكاتب للمكان القصصي ، حيث لا يقف المكان عند مجرد لازمة بنائية في القصة ، بل يتجاوز

٢١ ألف ليلة وليلة / ج٣ – ١٧٨ .

ذلك ليحمل دلالة إيحائية وكيفية . وينقســم المكان في القصــص إلى ثلاثة أقســام : الأول / المكان المطلوب ، والثاني / المكان الأليف ، والثالث / المكان المضاد .

و(**المكان المطلوب**) : نعني به المكان العادي الذي يتطلبه الحدث القصصي ويكون مناسباً لوقوعه ، والمكان ينبغي له أن يناسب الشخصية والحدث معاً ، وإلا شكّل الأمر مفارقة كبيرة قد يتعمدها الأديب أحياناً لضــرورة جمالية وفنية . فلو نظرنا إلى حكايات كليلة ودمنة لوجدنا أن الأماكن التي وقعت فيها أحداث تلك الحكايات معظمها في الغابة ، لأنها تناســب الأحداث من جهة ومن جهة أخرى تناسـب الشـخصـيات الحيوانية التي تدور حولها أحداث الحكايات . وعند النظر إلى قصص البخلاء للجاحظ أو البخلاء للخطيب البغدادي ، نجد أن أغلب الأماكن المستخدمة هي المنازل أو دكاكين الأطعمة أو مجالس الطعام والشراب ، لأنها تناسب الأحداث التي تدور حول البخل ، وعندما تصــادفنا حكايات الشـخصـيات ، كأهل العلم والزهد والتدين والتقوى ، كأن يكون قارئ أو مُحدّث أو متصوف أو مؤذن أو قاضي وغيرهم ، نجد إن الأماكن المناسـبة هي المسـجد أو المجلس الخاص بالوعظ ، أو قصـور الخلفاء أو البيوت البسـيطة ، ونحوها مما يناسب الأحداث والشخصيات معاً ، هذا فيما يخص الأحداث والشخصيات الواقعية ومدى مناســبة المكان لها ، أما ما يتعلق بالشــخصــيات والأحداث الخيالية والأســطورية أو العجائبية ، فنجد الأماكن فيها تصـطبغ بالصـبغة الخيالية ذاتها لتكون مناسـبة ، على سـبيل المثال نجد في حكايات ألف ليلة وليلة إن الحكاية عندما تتعلق بشخصيات من الجان والعفاريت تكون الأماكن غريبة الشكل وعلى قدر كبير من الفخامة والغنى ، إذ القصـور والقاعات المليئة بالكنوز والجواهر الثمينة التي ليس لها مثيل والجدران الرخامية المرصّــعة بالياقوت والدرر والذهب وغير ذلك .

أما عن (**المكان الأليف**) : فهو المكان الذي نحبّه ونرتاح إليه ، كالمكان الذي نقضــي فيه مرحلة الطفولة أو الذي له ذكريات محببة في نفوسنا ، أي انه مكان ذو خصوصية للأشخاص . في حين إن (**المكان المضــاد**) : هو نقيض المكان الأليف ، ونعني به المكان الذي نكرهه

ونتجنبه لأنه قد يمثل الخوف والموت والضياع والقهر والدمار ، أو يكون مصدر لذكريات مؤلمة ، وهذه الأماكن نجدها في الكثير من القصص على اختلاف أنواعها .

الخاتمة ونتائج البحث

ونختتم البحث بطرح عصارة أفكارنا ، وغاية ما توصلنا إليه بين يدي القارئ الكريم ، ولكن قبل ذلك نضع بين يديه أسئلة مهمة وهي ما مدى ما شكلته هذه الدراسة من إضافة حقيقيّة لمجالات النقد والانجازات البحثية ؟ فهل طرحت تساؤلات عميقة ، وهل قدمت إجابات مقنعة ؟ ولأي مدى كانت موفقة في الإحاطة بالموضوع وأطرافه المترامية ؟ وهل تستحق انتمائها للدراسات الشعرية ؟ أتمنى أن تكون النتائج التي سنعرضها لاحقاً محتويةً على إجابات الأسئلة المطروحة فقد تضيع الكثير من الأفكار وتهمّش العديد من الإيضاحات في خضم مجريات البحث ، من هنا كان لا بد لنا من أن نعتصر ذهننا ونجمع شتات كل الأفكار ونصبّها في هذه النتائج الآتية :

١ : إن هذه الدراسة السردية للقصص النثرية في العصر العباسي توضّح بشكلٍ جلي مدى البراعة والإتقان في كتابة القصة وتأليفها ، أي إن هناك قصدية أدبية ورغبة في الإبداع والتميّز والتجديد ، وهذه من أهم سمات الشعرية الأدبية التي تميّز بها النثر العباسي ولاسيما تلك النصوص السردية التي توافرت بها كل سمات السرد الحديث وعناصر القصة المتكاملة والناضجة فنياً وأهمها :

ـ الشخصيات وخاصة الشخصيات الرئيسية التي يدور حولها الحدث .

ـ الراوي المشارك بالحدث أو المنفصل عنه .

ـ وسائل التشويق المختلفة .

ـ الحوار الداخلي والخارجي .

ـ الصور الفنية ولغة المجاز والخيال .

ـ التأثيرات البيئية والثقافية .

ـ الأساليب الأدبية المختلفة كالسخرية والفكاهة .

ـ الاعتماد على الوصف .

ـ ترتيب الأحداث وتسلسلها وفق بداية وعقدة وذروة ونهاية أو حل .

ـ الاهتمام باللغة الجميلة الموحية والتنويع في المضامين والأفكار .

٢: إن طبيعة التشكيل السردي للنصوص النثرية العباسية انطوى على حركية وتفاعل بين أجزاء النصوص فهي ليست بالنصوص الجامدة . ومن هنا كان ذلك التشكيل بكل آلياته من عوامل تحقق الشعرية فيها ، فهي نصوص ذات إبداع وتميّز وحققت انزياحات على مستوى التشكيل السردي للنصوص التي سبقتها وبعض النصوص المعاصرة لها ، والإنزياح الذي ينطوي على إبداعٍ ونقلةٍ نوعيةٍ في مجال الفن النثري ، يحقق شعريةً في النص ، هذا فضلاً عما انطوت عليه تلك النصوص من جماليات فنية وقدرة على إحداث تأثير وخلق الدهشة عند المتلقي ومخالفة لتوقعاته ، وهي من مظاهر الشعرية وتجلياتها ، لأنها تحدث بفعل جمالية النص وتضمّنه لعوامل الإثارة ومقومات الإبداع ، فالنص المتصف بالشعرية هو النص الثري المليء بالمضامين والصياغات والدلالات والأشكال الفنية المبتكرة ، والنصوص السردية التي سلطنا الضوء عليها كانت من النصوص النثرية التي استحقت صفة الشعرية.

٣: وجدنا في هذه النصوص تشكيلاً سردياً متيناً ، فيما يتعلق بطبيعة اللغة السردية وبناء الشخصيات وتشكيل الأحداث والصراعات وتهيأة الأماكن والأزمنة المناسبة ، وهذا البناء السردي رغم بساطته وعفويته وبعده عن التعقيد في كثير من الأحيان ، لكنّه يعد نواةً حقيقية للسرد العربي تطورت فيما بعد وأنتجت الكثير من النصوص .

المصادر

١: اتجاهات الشعرية الحديثة (الأصول والمقولات) / د. يوسف اسكندر / دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان / ط٢ / ٢٠٠٨ .

[٢]: ألف ليلة وليلة / دار الحكايات رشاد برس ، بيروت . لبنان / ط١ . ٢٠٠٣ ٠

[٣]: البصائر والذخائر ١ لأبي حيان التوحيدي / تحقيق : د٠ إبراهيم الكيلاني / مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء . دمشق (د ، ت)٠

[٤]: تاريخ الأدب العربي / حنا الفاخوري / دار الفكر المعاصر ، بيروت . لبنان / دار الفكر ، دمشق . سورية / ط١ . ١٩٩٣ .

[٥]: الشعرية الموضوعية والنقد الأدبي / محمد القاسمي / مجلة فكر ونقد. ، عدد ٦٢ (من منشورات شبكة المعلومات الانترنت).

[٦]: السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات / إبراهيم صحراوي / الدار العربية للعلوم ناشرون – الجزائر / ط ١ – ٢٠٠٨ .

[٧]: كليلة ودمنة / لابن المقفع / قدّم له وراجعه : عصام كمال السيوفي / دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان / ط١ . ٢٠١٠ .

[٨]: اللغة في قلب الصراع / محمد رضا مبارك / آفاق عربية / ع١٢، ١٩٩٠

[٩]: المُستجاد من فعلات الأجواد / لأبي القاسم علي بن عبد المحسن بن عبد المنعم التنوخي / تحقيق : الشيخ يوسف البستاني / دار العرب للبستاني – القاهرة / ط١ – ١٩٨٥ ٠

[١٠]: المصطلح السردي / (معجم مصطلحات) / تأليف : جيرالد برنس / ترجمة : عابد خزندار / المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة / ٢٠٠٣ ٠

[١١]: من يخاف السرِدية / فاضل ثامر / مقال في جريدة الثورة ، عدد ٧٩٧٩، الأربعاء ٨ / تموز

[١٢]: هيرمنيوطيقا الشعر العربي نحو نظرية هيرمنيوطيقية في الشعرية / د٠ يوسف اسكندر / دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان / ط١ . ٢٠٠٨ .

إشكالية ترجمة المصطلح الصوتي في الدراسات العربية (الوحدة الصوتية والفونيم أنموذجاً) توطئة

د. مراد حميد العبد الله، كلية الاداب، قسم الترجمة، جامعة البصرة، البصرة، العراق

قبل التطرق إلى مفهوم الوحدات الصوتية "Phonemes" في اللغة العربية يتوجب علينا أن نتوقف قليلاً لتحليل وتفسير ممَّ تتكون هذه الوحدات وممَّ تتركب؟ ليتسنى لنا أن نميز بشكل واضح لا يقبل الشك مفهوم الوحدة الصوتية في النظام الصوتي للغة العربية.

مكونات الوحدة الصوتية:

تتميز اللغات البشرية عن بقية اللغات بعدة ميزات جعلت منها وسيلة من وسائل التواصل والتفاهم بين أفرادها، فدأب بنو البشر إلى تمييز هذه الوسيلة عبر تحديد رموز صوتية وضحت الطريق للإنسان في كيفية التعامل بين بعضهم بعضاً، فاللغات الإنسانية هي أنظمة من الرموز الصوتية[١]، امتازت بتعدد رموزها طبقاً لمتكلميها وواضعيها من لغة إلى أخرى، فبذلك كان لكلِّ لغة رموزها الخاصة بها، فلكل رمز صوت حُدِّد وفق ما تُوُّضِعَ عليه من لدن مجموعة من البشر، فالرمز الكتابي "Written Symbol" والذي يسمى أيضا بـ"الوحدة الخطية" "Grapheme" هو الشكل المرسوم لوحدات الكتابة اللغوية، في حين يجب أن يكون لكل وحدة خطية صوت تتميز به عن نظيرتها، سواء شكل واحد لصوت واحد أم شكلين لصوت واحد أو صوتين لشكل واحد،فـ"أن منهج تحديد الوحدات الخطية هو نفس المنهج المتبع في تحديد الوحدات الصوتية للغة كما أن الوحدة الخطية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالوحدة الصوتية للغة إذ أنها هي التعبير الرمزي لها ومن ثم فان للوحدة الخطية دلالة فونيمية أي استبدال وحدة خطية بأخرى يغير المعنى بل أن لبعض الوحدات الخطية دلالة صرفية ونحوية..."[٢]، وهذه التركيبة من الشكل ومضمونه تدعى في الدراسة اللسانية ما تعرف بـ"الوحدة الصوتية" "Phoneme"، فيتراكب كل من الوحدة الخطية وأثرها الصوتي لتشكيل ما يسمى بـ"أبجدية اللغة" أو "حروف اللغة" "Alphabetic"، فالوحدة الصوتية

١- انظر:مذكور، عاطف، علم اللغة بين التراث والمعاصرة،"القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع،١٩٨٧م"، ص٩٥.

٢ - محجوب، فاطمة. دراسات في علم اللغة، القاهرة: دار النهضة العربية. ١٩٧٦م. ص١٠٧.

"Phoneme" ارتبطت بالوحدة الكتابية "Written Unite" وجُعِل لها رمزاً يدل عليها حين كتابتها[٣]، فيمكننا أن نميز بين الصوت والرمز على الشكل الآتي:

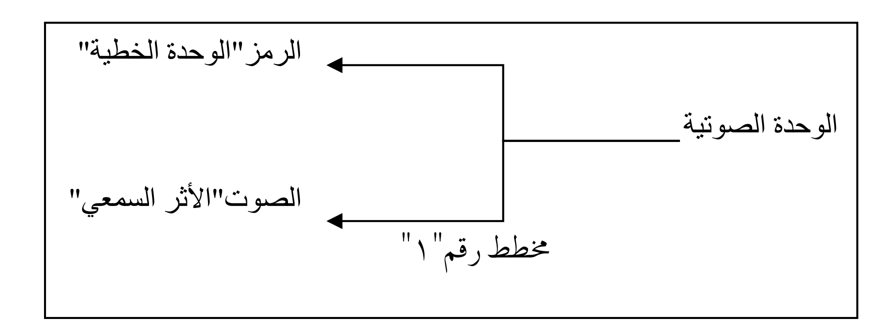
أولاً: الرمز"Symbol":

وهو العلامة الكتابية الخطية التي نخطها بالقلم والتي تُدرس وفقاً للأنظمة الكتابية أو الإملائية "Orthography" للغات أو ما يسمى الألف بائية اللغوية "Alphabetic" فالرموز هي ليست ما تنطقه بلسانك في أثناء الكلام بل ما تكتبه بقلمك فقط، فهو بذلك وسيلة منظورة للتعبير عن اثر صوتي معين.

ثانياً: الصوت"Phone":

هو اثر سمعي أو حدث نطقي يُحسُّ به عندما يُنتج عن طريق الأعضاء الصوتية المخصصة لكل لغة، فهو ما تنطقه بلسانك ثم تكتبه بقلمك برمزه المحدد له، فيُنظَر إليه في إطار النظام الصوتي للغة"The phonetics System of a Given Language" لا في النظام الأبجدي اللغوي[٤].

وعليه يمكننا أن نقوم بمقارنة بين كل من العنصرين السابقين حتى يتسنى لنا التمييز بسهولة ويسر بينهما، فمن خلال معرفتنا بالوحدة الصوتية يمكننا أن نميز بين معنى الصوت ومعنى الرمز، فمعنى الصوت هو ذلك الذي نسمعه أي نحسه بإحدى الحواس الخمس، وهو الذي ينبعث عن أجزاء الجهاز النطقي، أما الرمز فهي خطوط كتابية تتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معين أو مجموعة منها لا يؤدي تبادلها في الكلمة إلى الاختلاف في المعنى، فالفرق بينهما هو اختلاف بين العمل والنظر، فالصوت عملية نطقية تدخل في تجارب الحواس خصوصاً السمع



٣- انظر: المصدر السابق نفسه، ص٣٢.

٤- انظر: بشر، كمال، دراسات في علم اللغة"القسم الأول"، "القاهرة:دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧١م"، ص٤٥، وينظر:حسان، تمام، اللغة بين المعيارية و الوصفية،"القاهرة:عالم الكتب،ط٤، ٢٠٠١م"، ص١١٩.

والبصر وما يؤديه الجهاز النطقي من حركة فتسمعه الأُذن وتراه العين في بعض حركاته حين أدائه، أما الرمز فهو عنوان مجموعة من الأصوات يجمعها نسب معين؛ فهي فكرة عقلية لا عضلية أوجدها الإنسان الباحث في هذا المجال[٥].

فكل لغة لها مجموعة من هذه الرموز لتتألف وفقها الكلمات ثم تتألف منها الجمل والتعبيرات، لذلك تُعدُّ هذه الرموز الصوتية محدودة في كل لغة فيتعامل بها أبناء الجماعة اللغوية الواحدة، ويذهب بعض الباحثين إلى أن"أكثر اللغات تتعامل كل منها بحوالي ثلاثين رمزاً صوتياً وتتعامل كل اللغات الإنسانية مجتمعة بما لا يزيد عن خمسين رمزاً صوتياً لكل لغة منها...وثلاثون رمزاً تقريبا في كل لغة من اللغات تُكوِّن آلاف الكلمات ثم ملايين الجمل..."[٦] فهذه الرموز تُعطي للغة شكلها الجمالي الخطي ووقعها الصوتي الإيحائي في الأُذن لتُمَكِّنَ مُستَعْمِلِيهَا من التعبير بما يريدون، فهذه الرموز هي من وضع الإنسان ليعبر بها عن أغراضه وليوافقها مع ما ينطقه بلسانه لتحل محل أفكاره، فالإنسان يحول كل ما يجول في خاطره إلى رموز"فقيمة الرموز أو الحروف إذن ليست قيمة ذاتية طبيعية بل هي مستمدة من الاتفاق العرفي"[٧]، لذلك نجد أن اللغة بطبيعتها تتخذ في المقام الأول صورة صوتية منطوقة ومسموعة في حين أن الكتابة هي محاولة للتعبير عن اللغة في واقعها الصوتي، ففي ضوء هذا الوصف لكل من الجانبين يمكننا التفريق بين نوعين من اللغات وهما:

الأولى: اللغة الصوتية:

وهي اللغة التي تقوم بنقل المعاني عبر الأصوات الكلامية التي تُكوِّن الكلمات والجمل التي تنتجها، فتتخذ من الهواء وسطاً ناقلاً لها عبر الموجات الصوتية إلى الآذان فيسمعها السامع ليفهم منها ما يشاء، فالإنسان أول ما يتعلم منذ طفولته هو ترديد الأصوات وكيفية نطقها قبل أن يتعلم كيفية كتابتها.

الثانية: اللغة المكتوبة:

وهي اللغة التي تنقل المعاني عن طريق الحروف والتي تُكوِّنُ الكلماتَ والجملَ بشكل مكتوب فتنتقل على شكل موجات ضوئية إلى العيون فيراها القارئ ويفهما إذا شاء[٨].

٥- انظر: النمارنة، إبراهيم ، أصوات اللغة العربية"الفوناتيك والفنولوجيا"،"السعودية: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م"، ص٢٥٠.

٦- المسدي، عبد السلام، اللسانيات من خلال النصوص،"تونس:الدار التونسية للنشر، ط٢، ١٩٨٦م"، ص٤٦.

٧- الصيغ، عبد العزيز، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، "بيروت:دار الفكر المعاصر،و دمشق:دار الفكر، ط١، ٢٠٠٠م"، ،ص٢٢٠.

٨- انظر: الخولي، محمد علي. دراسات لغوية، الرياض: دار العلم، ١٩٨٢م.ص٢٦.

لذلك فان اللغة المنطوقة لا تنفك أن تفترق عن اللغة المكتوبة لأنهما يمثلان وجهان لعملة واحدة فكل نظام لغوي منطوق يحتاج إلى نظام لغوي مكتوب ذي رموز تفي بتصوير المنطوق قدر المستطاع حتى تحفظ خواصها الأدائية، فتتكون الرموز الكتابية محتوية لقيم صوتية محددة لتصور حقيقة المنطوق بخواصه ومميزاته، وهذه الرموز الكتابية قد تحمل أثرا صوتياً واحداً وقد يتنوع أثرها الصوتي وفقاً للسياق التي ترد به وبذلك يمكننا أن نقسم هذه الرموز الكتابية على قسمين هما:

١- **الوحدات الصوتية "Phoneme"**.

٢- **التنوعات الصوتية "Allophone"**.

وسيقتصر موضوع بحثنا على نوع واحد منها، وهو الوحدات الصوتية فقط.

اشكالية ترجمة المصطلح

الوحدات الصوتية أو "Phoneme".

يتميز النظام الصوتي في اللغة العربية بتكونه من تسعةٍ وعشرين حرفاً تحمل كل منها صوتاً مختلفاً بحيث يميزه عن الآخر، إضافة إلى ستة أصوات لينة قصيرة وطويلة، تمثل كل منها قيمة صوتية منفصلة عن الأخرى، وهذه الحروف تتشكل وفقاً لما أقررناه من رمز وصوت، وسميت هذه التركيبة باسم "الوحدة الصوتية" "Phonetic Unites" أو "Phoneme"، وهذه الوحدات تدخل من ضمن النظام اللغوي للغة العربية والتي تربطها مجموعة من العلاقات مع الوحدات الصوتية الأخرى، ويعد مصطلح الوحدة الصوتية مصطلح مترجم قليل ما يستعمله علماء العرب المحدثون في دراساتهم وبحوثهم بسبب عدم الاتفاق على مصطلح واحد يعبر عنه لأنه "من الصعب ترجمته بكلمة مفردة عربية واحدة..."[٩] فقد اعتمدوا بشكل كبير على المصطلح الانجليزي "فونيم" "Phoneme"، فحاول علماء اللغة العرب المحدثون إيجاد لفظ مكافئ أو ترجمة تفسيرية لهذا المصطلح الغربي، لأنه من أكثر المصطلحات استعمالاً في الدرس الصوتي العربي فدعت الحاجة إلى تعريبه، فحين بحثنا بين أوراق التراث اللغوي والصوتي القديم؛ والتي تركها لنا الخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم لم نجد إشارة واضحة وضوح الشمس إلى وجود مثل هكذا مصطلح فـ"العلماء العرب إذن لم يدركوا حقيقة الفونيم ولم يقتربوا من مفهومها ونستطيع أن نجزم أن الفونيم

٩- بشر، كمال، علم الأصوات، "القاهرة:دار غريب،للطباعة والنشر،٢٠٠٠م"، ص٤٢٨.

نظرية حديثة جداً في مجال الدراسات الصوتية وأن الذي جعلهم يتطرقون إليها ما لاحظوه من أن الأصوات في أية لغة من اللغات ليس لها حد معين"[10]بينما ذهب د.كمال بشر إلى عدم موافقته لهذا الرأي فقال:"أن فكرة الفونيم أو الوحدة الصوتية قديمة أدركها العرب وغيرهم من الأمم وإن بصورة غائمة لا تؤهل نفسها لأن تكون نظرية أو نظريات واضحة صالحة للتطبيق والتحليل الصوتي كما هو واضح من أعمال اللغويين في القديم..."[11]، لكن ما بين أيدينا من دراسات وبحوث تحمل مفاهيم فيها شيئاً من الضبابية وعدم الوضوح لذلك لا يمكننا أن نوافق مع ما ذهب إليه المشككون بان علماء الصوت العرب القدامى لم يفطنوا لهذا الأمر على الرغم من إدراكهم لمسائل أكثر تعقيداً منها لذلك يمكن أن يكون لعنصر الإهمال وعدم الاهتمام بهذا الموضوع جعلهم لا يركزون على بيانه وتوضيحه بشكل مفصل لأنه ليس بالأهمية القصوى التي اكتسبتها الجوانب الأخرى، أو أنهم استعاضوا عنها بمسميات أخرى، لذلك لجأ الباحثون العرب المحدثون إلى محاولة ترجمة هذا المصطلح وتعريبه حتى يتمكنوا من وصفه وصفاً دقيقاً كي يحتوي هذا المفهوم، فواجهتهم مشكلة أخرى وهي مشكلة التعدد في الترجمات واضطرابها، فقد عربه مجمع اللغة العربية في القاهرة وباحثون آخرون إلى صيغ عدة منها "الصوت اللغوي"وعربه مترجمو كتاب سوسير بـ"الصوتم"وآخرون بـ"الصويتة" و "المصوت" و "صوتيم" و "مستصوت" و "لافظ" و "الوحدة الصوتية"، فلم يستقر أحد منها مقابلاً لـ"الفونيم" "Phoneme" بسبب غموض المصطلح وشيوع اللفظ الانجليزي في الاستعمال عند الباحثين العرب لذلك آثر كثير من الباحثين إلى إبقاء المصطلح على حاله من اللفظ الأجنبي "فونيم" "Phoneme"، لكننا في هذا المقام آثرنا على أن نعتمد في تعريبه على مصطلح "الوحدة الصوتية" "Phonetic Unite" ظناً منا أنها أقرب المصطلحات إلى اللفظ الأجنبي من ناحية المضمون[12]، أما من ناحية المفهوم فلم نجد هناك كبير اضطراب في تحديده، فذهب اغلب الباحثين العرب إلى أن الوحدة الصوتية هي"اصغر وحدة صوتية تصلح للتحليل ألألسني وتبعث صورة الفونيم اختلافات صرفية ونحوية ومفهوميه ودلالية...فالفونيم وسيلة لتحليل الكلمة إلى اصغر وحداتها الصوتية وهو يعمل كسمة وعلامة تحمل إشارات سلبية وإيجابية، طبيعتها صوتية فونولوجية تتصل في قضايا التقارب وتميز كل

١٠ - بهنساوي، حسام ، علم الأصوات، "القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية،ط١، ٢٠٠٤م"، ص١٣٨.

١١- بشر، كمال، علم الأصوات، "القاهرة:دار غريب،للطباعة والنشر،٢٠٠٠م"، ص٩٣.

١٢- انظر: الصيغ، عبد العزيز، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، بيروت:دار الفكر المعاصر، و دمشق:دار الفكر، ط١.، ٢٠٠٠م ص٢٢٦-٢٢٧، وانظر:الخولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، ص٥٩، وانظر: عمر، أحمد مختار. دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، ١٩٩٧م، ص١٦٥.

عنصر صوتي عن غيره وتجعله يتخلف بالإشارة عن نده وبالتالي ينفرد عنه...يحمل الفونيم خاصية صوتية صالحة في أن تجعله فريداً عن غيره؛ أي متميزاً بسمة وطابع يفصلانه عن غيره وقد تتشابه فونيمات في بعض وجوهما ويتوافقان في بعض خطوطهما لكن كل منهما يحمل في نهاية المطاف ميزة خاصة يتحرى عنها عالم الفونولوجية ويعثر عليها معتمداً على الخاصيات الفونولوجية الملائمة؛ وتلك الخاصيات هي رموز صوتية يتلاعب بها التنظيم في أداء المعاني والدلالات...أن الفونيم بالإضافة إلى ما تقدم هو في معناه المجرد مفهوم وظيفي لا تحدده إلا الوظيفة التي يقوم بها ولذا قد يصلح كإشارة في ضبط المعاني ...أو قد لا يصلح..."[١٣] في حين حدد اغلب الباحثين العرب مفهوم الوحدة الصوتية اعتماداً على ما جاء في الكتب و الدراسات الغربية[١٤] وذلك بعدِّها أصغر وحدة دلالية صوتية غير قابلة للتجزئة إلى وحدات أصغر لها القدرة على التمييز والتفريق بين معاني الكلمات من النواحي الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، لها وظيفة أساسية في بناء الكلمات، لكنها وحدة غير معبرة عن معنى وهي منعزلة عن السياق لكن قد يختلف الأمر لو أصبحت جزءاً منه[١٥]، فما معنى أن تكون الوحدة الصوتية غير قابلة للتجزئة؟ معنى ذلك أننا عندما نقول "ذَاهِبٌ" فانه يمكننا أن نقوم بتحليلها وتقسيمها إلى مقاطع اصغر فتكون على الشكل المقطعي الآتي:

"ذا + هـِ + بٌ " ثم لو قلنا فقط "ذا" لأمكننا تقسيمها إلى وحدات اصغر أيضا وهي "ذ+ا" لكن لا يمكننا تقسيم"ذ" إلى وحدات صوتية اصغر، فهي اصغر وحدة صوتية يمكنها أن تُغير معنى "الذهاب" إلى شيء آخر[١٦]، فتمثل هذه الوحدات الصوتية أحرف الهجاء وما تحتويها من آثار سمعية وهي أصوات رئيسة انفردت بها في رسم حرف عن آخر بحيث لا تسمح لأحد أعضائها أن تقع في كلمة من السياق الصوتي نفسه الذي يقع فيه الآخر، فالوحدة الصوتية المفردة تؤثر في دلالة الكلمة الواحدة من حيث تبديل أحدها ووضع أخرى محلها، فكلمة "قال" تدل على فعل القول عند الإنسان بينما "نال" تدل على حصول شيء ما، وهي تختلف عن "قال" دلالياً وصوتياً باختلاف الحرف الأول ذو الأثر الصوتي المميز لصوت/ق/ وصوت /ن/، فهذا الاختلاف منح

١٣- طحان، ريمون، الألسنية العربية"سلسلة المكتبة الجامعية"بيروت:دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٧٢م"، ص٦٢-٦٣.

١٤- اعتمد العلماء العرب في تحديد ما تدل عليه الوحدة الصوتية وفقاً لما جاء في تعريف عالم اللغة الروسي تروبتسكوي في كتاباته ودراساته حول "الفونيم".

١٥- انظر:بشر،كمال، علم الأصوات، ص٩١، وانظر:الخولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، "الرياض:مكتبة الخريجي،ط١ ،١٩٨٧م"، ص٥٨.وانظر:عبد الجليل، عبد القادر، التنوعات اللغوية،"عمان:دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩م"، ص٣٢-٣٤، وانظر:خليل، إبراهيم، مدخل إلى علم اللغة، ص١٤٤، وانظر: حليلي، عبد العزيز، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، "الدار البيضاء: منشورات دراسات سال، ط١، ١٩٩١م"، ص٧٣-٧٤.

١٦- انظر: الخولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، ص٥٨.

لكل من الكلمتين وجود مستقل عن الآخر بالتالي منحها صفة تمييزية في الاستعمال الوظيفي، فالاختلاف في التركيب الصوتي حدث بفضل تغيير وحدة صوتية واحدة، فهذا التبديل في الوحدات الصوتية منحَ اللغة العربية القدرة على توالد الألفاظ وتنميتها معجمياً بما يثريها كما في قولنا: سار ، صار ، نار ، ثار ، حار ، جار...الخ فهذه البُنى تختلف من حيث الدلالة المعجمية والشكل الصوتي أيضا، فلكل منها معانٍ اختلفت عن نظيراتها بسبب تبادل عدد من الوحدات الصوتية محل الأخرى، فالوحدة الصوتية لها نوعين من الوجود في اللغة:

الأول: وجود مستقل منفرد وغير مركب إذا نطق منعزلاً عن السياق، بحيث تبرز كل خصائص الصوت الأصلية من حيث المخرج والصفة، فلا يُنظر إلى التغييرات التي تطرأ في صفاته ومخارجه عندما يتركب مع صوت غيره أو يجاوره، ولا ينظر أيضا إلى دوره الوظيفي في اللغة فهو وجود بلا قيود، وهذا الوجود يمثل الجانب المعياري للوحدة الصوتية.
الآخر :الوجود المقيد في التركيب وهنا يفقد الصوت شيئاً من خصائصه ليكتسب خصائص أخرى نتيجة تغير في مخارجه أو في صفاته الأصلية عند تركيبه أو مجاورته مع وحدات صوتية أخرى، وهذا يمثل لنا الجانب العملي والوظيفي للوحدات الصوتية[١٧].

فالوحدة الصوتية تهدف إلى حصر الأصوات التي يتكلمها العربي في لغته –وهي أصوات كثيرة لا نهاية لعددها– في عدد محدد ومعين من الوحدات التمييزية الصوتية يطلق عليها هذا اللقب، القصد منها أن تتحد مع وحدة أو وحدات صوتية أخرى للاتصال بين أفراد المجتمع الذي يتكلم العربية فلو صادفنا شخصاً عربياً يتكلم العربية وينطق كلمة عربية بشكلها الصحيح ثم ينطقها مرة أخرى بتغيير احد أصواتها بصوت انجليزي فان الشخص العربي حين يسمعه سوف لن يلتفت إليه لأنه لا يوجد في لغته مثل هذا الصوت بالتالي ستكون الكلمة ليست من نظامه اللغوي، فهذا لن يحدث لو غيرها بوحدة صوتية عربية أخرى كما رأينا في المثال السابق "قال – نال"،فالصوت اللغوي–إذن–يرتقي إلى درجة وحدة صوتية عندما يتوافر فيه شرطان أساسيان هما [١٨]:

١٧- انظر: ستيتية، سمير شريف، اللسانيات:المجال والوظيفة والمنهج،"عمان:عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م"، ص٧٩-٨٠، وانظر: حسن طبل، محمد حسن، المختصر في أصوات اللغة العربية، "القاهرة: مكتبة الآداب،ط٤، ٢٠٠٦م"، ص٢١-٢٢.

١٨- انظر: حليلي، عبد العزيز، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، "الدار البيضاء: منشورات دراسات سال، ط١، ١٩٩١م"، ص٧٣.

١- أن يشارك الصوت اللغوي في تمييز النصوص التي يرد فيها عن باقي النصوص الأخرى.
٢- أن يحدث الصوت اللغوي اختلافاً صوتياً يمكن تحديده وعزله داخل الكلمة.

فالوحدة الصوتية- إذن- تقوم بدور أساسي وهام جدا في الاتصال بين أفراد المجتمع العربي الواحد، فما هي إلا عبارة عن مجموعة من الملامح التمييزية "Distinctive Features" فهي مجموعة من الخصائص النطقية والسمعية التي تحدد نوع صوت من أصوات اللغة مثل موضع النطق ومخرجه[١٩]أو من حيث الجهر والهمس والوقف والأنفية والاحتكاك...الخ، فكل وحدة صوتية منها تتميز بواحدة على الأقل من هذه الملامح التمييزية التي تُميز بها صوتاً عن آخر وتدخل في تشكيلها، وتنقسم هذه الملامح على قسمين وهما:

أحدهما: الملامح الأصلية "Original Features":

وهي التي لا يمكن الاستغناء عنها، فهي التي تمثل الملامح القادرة على التمييز بين الوحدات الصوتية التي ينتجها المتكلم فعلاً، وعند سقوط أي من هذه الملامح في الكلام العادي يصبح من الخطورة استخلاص نماذج الوحدات الصوتية بشكل كامل، فلكل لغة ملامح مميزة لأصواتها والتي تقوم بفصل كلماتها بعضها عن بعض.

الأخرى: الملامح الزائدة "Redundant Features":

وهي تلك الملامح التي يمكن الاستغناء عنها وتكون عادة في الكلام العادي أو غير المعتنى به، وقد تسقط نسبة من هذه الملامح القادرة على التمييز ويملأ السامع الفجوات مستعيناً بما سبق استظهاره من كلمات نُطقت بدقة[٢٠].

أقسام الوحدات الصوتية في العربية

وقد انقسمت الوحدات الصوتية في اللغة العربية على نوعين حددهما علماء الأصوات وهي تختلف من لغة إلى أخرى، هذا النوعان هما[٢١]:

أولاً: الوحدات الصوتية القطعية: "Segmental Phoneme"

وتشمل مجموعة من الوحدات الصوتية الصامتة أو الصائتة وتختلف من لغة إلى أخرى، إذ تمثل في اللغة العربية تسع وعشرون وحدة صوتية صامتة إضافة إلى ستة وحدات صوتية صائتة، وسميت بهذا الاسم لأنه يمكن تقطيع الكلام بها إلى صوامت وصوائت، فهي تُكوِّن جزءاً من

١٩- انظر: خليل، حلمي، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، ص٧٣.

٢٠- انظر:عمر، احمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص١٨٩-١٩٠.

٢١- الخولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، ص٦٣، وانظر: بشر، كمال، علم الأصوات، ص٢٠، وانظر: البهنساوي، حسام، علم الأصوات، ص١٣٤-١٣٥.

ابسط صيغة لغوية أو جزءاً أساسياً من الكلمة المفردة، ويدعوها بعضهم بـ"الوحدات الصوتية التركيبية" "Structural Phoneme" لأن الكلام معها يتركب منها على شكل متوالية صوتية، وسماها بعضهم بـ"الوحدات الصوتية الخطية" لأنها تتوالى بشكل خطي ومستقيم أثناء الكلام بينما يدعوها علماء آخرون أيضا بـ" الوحدات الصوتية الأولية " "Initial Phoneme " لأنها الأساس في أصوات الكلام.

ثانياً: الوحدات الصوتية فوق القطعية"Supra-Segmental":

وهي صفات صوتية ذات دلالات كلامية والتي تُنطق موازية للوحدات الصوتية القطعية وتظهر حينما تضم الكلمات احدها للأخرى،فـ"هي لا تكون جزءاً من تركيب الكلمات وإنما تظهر وتُلاحظ فقط حين تضم إلى أخرى..."[٢٢]ويتمثل هذا النوع بمجموعة من النبرات والنغمات والفواصل و المقاطع، فبعضهم يدعوها بـ"الوحدات الصوتية فوق التركيبية" "Post-Structural Phoneme" وذلك مقارنة بالوحدات التركيبية وتدعى أيضا بـ"الوحدات الصوتية الثانوية" " Secondary Structural Phoneme" وذلك مقارنة بالوحدات الصوتية الأولية، بينما يدعوها بعضهم الآخر بـ"الوحدات الصوتية البروسودية" "Prosodic Features" لأنها تعطي الكلام النغمات المطلوبة ويدعوها آخرون بـ"الوحدات التطريزية" لأنها تشبه التطريز فوق القماش.

فدراستنا للوحدات الصوتية يتركز على النوع الأول منها، لأننا نركز على دراستها ووصفها وهي منعزلةً عن السياق فيمكن أن نضع النوع الأول"الوحدات الصوتية القطعية"تحت المجهر مرة أخرى لنقوم بتقسيمها وتحليل مكوناتها بشكل مفصل ودقيق، فتضم هذه الوحدات ثلاثة أنواع وهي:

النوع الأول: الوحدات الصوتية الصامتة"Consonant":

وهي ما لها مكان نطق محدد وناطق معين في الجهاز النطقي وتتوزع بين المقاطع لتؤدي وظيفة معينة، فعند تغييرها -الوحدة الصوتية- يؤدي بها إلى تغيير في دلالة الصيغة ومعناها، وتشمل اللغة العربية الفصحى على تسعةٍ وعشرين وحدةً صوتيةً وهي التي تسمى بـ"الصوامت" "Consonants".

النوع الثاني: الوحدات الصوتية الصائتة"Vowels":

٢٢- بهنساوي، حسام، علم الأصوات، ص١٤٢.

وهي عبارة عن مجموعة من الوحدات الصوتية لأصوات العلة "أصوات اللين" "Vowels" التي ليس لها مكان نطق محدد في الجهاز النطقي، وتضم اللغة العربية الفصحى على ست وحدات صوتية وهي ما تسمى بـ"الصوائت" "Vowels".

النوع الثالث: الوحدات الصوتية الإنزلاقية "شبه صائت"Semi Vowels"

وهي الوحدات التي تقع بين النوعين السابقين وهما"الواو والياء"وهاتان الوحدتان تُنطقان كأنهما صوتان صائتان ويتوزعان وكأنهما صوتان صامتان، وبعبارة أخرى يمكن أن نقول أنهما صائتين من ناحية صوتية كما في قولنا"قال–باع"وصامتين من ناحية وظيفية"وفى" فهنا يمكننا أن نستبدل صوت/و/ بصوامت أخرى عدة منها /ع/،/ن/،/ق/، فنقول"عفا ، قفا ، نفى". فهذا التقسيم قد تناول تصنيف الوحدات الصوتية في اللغة العربية إلى مجموعات يعتمد عليها المتكلم حين نطقه، ويمكننا أن نُقسِّم "الوحدات الصوتية القطعية" تقسيماً من جهة أخرى لكن هذه المرة تقسيم من حيث الرسم الخطي والمحتوى الصوتي معاً، فيقسم على قسمين هما[٢٣]:

الأول: وحدة صوتية بسيطة"Simple Phoneme":

وهي التي تتكون من رمز خطي واحد لتدل على صوت لغوي واحد مثل صوت /ث/ وتسمى وحدة صوتية أوليةً، فـ"نظام الكتابة في العربية مبنياً على حقائق صوتية من حيث وضع رمز واحد مستقل لكل وحدة صوتية وهذا النظام يتماشى مع احدث منهج في التفكير الصوتي الذي يهدف إلى تأسيس نظم كتابية للغات خالية من الاضطراب والتعقيد..."[٢٤]، فنجد أن أكثر الوحدات الصوتية العربية تنتمي إلى هذا النوع.

الثاني: وحدة صوتية مركبة"Compound Phoneme":

وهي التي تتكون من رمزين خطيين اثنين ومحتوى صوتي واحد، أو محتويان صوتيان اثنان ورمز خطي واحد، وتسمى هذه الوحدات الصوتية بـ"الوحدات الصوتية المزجية"، لكن هذا النوع من الوحدات الصوتية غير موجود في النظام الألفبائي المتعارف عليه في اللغة العربية.

ووفقاً لهذه التقسيمات يمكننا أن نتعرف على أن اغلب الأصوات العربية تعد وحدات صوتية منفصلة، لها وجودها المستقل وذات دلالة مختلفة في بناء الكلمة، وليس الأصوات فقط بل حتى

٢٣- الخولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، ص٦٤.

٢٤- أبو مغلي، سميح، فصول ومقالات لغوية، ص٣٥، وانظر: بهنساوي، حسام، علم الأصوات، ص١٣٩-١٤٢.

الحركات القصيرة تعد وحدات صوتية مستقلة لأن لها دور كبير في تغيير دلالة الكلمات والقدرة على إثراء اللغة، أي لها قيمة بنائية أو دلالية مطردة فنجد أن هناك ثنائيات كلماتية لكل منها دلالة تختلف عن الأخرى وهذا بحد ذاته دليل على أن الحركات هي جزء لا يتجزأ من نظام الوحدات الصوتية في العربية، فقولنا"هلا نَهاك نُهاك عن لوم امرئ" فـ"نَهاك" الأولى بفتح النون غير "نُهاك" الثانية بضم النون، فعلى الرغم من أن الكلمتين قد اتفقتا بالأحرف تماماً إلا أن دلالتهما اختلفتا باختلاف حركة صوت النون من الضمة القصيرة إلى الفتحة القصيرة في المقطع الأول من الكلمتين، فنتج عنهما اختلاف في الدلالة كما لو كان التغيير هو وحدة صوتية صامتة لذلك تميزت اللغة العربية عن باقي لغات العالم بان لها مجموعة من الوحدات الصوتية الأساسية والمتمثلة بالأصوات الصامتة أو الأصوات الرئيسة و أصوات أخرى ثانوية وهي الأصوات الصائتة "قصيرها و طويلها"، وكلاهما سوياً لهما القدرة على التفريق بين دلالات الكلمات, فقد ذهب اللسانيون إلى تسمية تغير وحدة صوتية من أحدى المقاطع المكونة لكلمة ما إلى وحدة صوتية أخرى– وصاحب هذا التغيير اختلافاً في الدلالة أيضا–بـ"الثنائيات الصغرى" " Minimal Pairs " وأفضل مثال لتلك الثنائيات من الكلمات ما كانت تتركب من مقطع واحد وهي:"بحث = بحر"،"جمع = قمع"،"فصل= فضل"،"رأس = رأى"،"زهو = رهو"،"سجا = شجا"،"ظعن = طعن"،"عيب = غيب" [٢٥]، فهذه الأزواج هي على مستوى تغيير وحدة صوتية أساسية رئيسة، فيكون لكل واحدة منها معنى مختلف عن نظيرتها وهذا لن يكون إلا بتغيير احد الوحدات الصوتية فيها، فصوت /ظ/غير/ط/ وقد أطلق علماء الصوت المحدثين على هذه التغييرات بـ"التوزيع التقابلي" وعرفوه بـ"أن يحل فونيم محل آخر في كلمة فتنشأ كلمة أخرى ذات معنى مختلف مثل حلول/ر/ محل /ق/ في قاض، ويدل مثل هذا التوزيع على فونيمية كل من الصوتين المتقابلين"[٢٦]، بينما هناك مجموعة من الكلمات يتم تغيير إحدى وحداتها الصوتية الثانوية أي الحركات القصيرة أو الطويلة لذلك يمكن أن تدخل أيضا تحت هذا المسمى ومثالها "قتل= قاتل= مقتول"، "نصر= ناصر= منصور"، "كتب= كاتب = مكتوب"، "نَهاك = نُهاك"، "مُرسِل = مُرسَل"، "مستَلَم= مستلِم"، "مستقبَل = مستقبِل"، وعليه فان "اختلاف الحركة يؤدي إلى تغيير المعنى وتغيير الصوت في الكلمتين وكذلك الحركات الطويلة أو ما يسمى بحروف العلة فهي تفرق بين الكلمات..."[٢٧]وغيرها

٢٥- انظر: محجوب، فاطمة، دراسات في علم اللغة، ص٢٩-٣٣، وانظر: حركات، مصطفى، الصوتيات والفنولوجيا، "القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ط ١، ١٩٩٨م"، ص٢٨.

٢٦- الخولي ، محمد علي، معجم على الأصوات، "مطابع الفرزدق التجارية، ط١، ١٩٨٢م"، ص٤٨.

٢٧- بركات، سلمى، اللغة العربية مستوياتها وأداؤها الوظيفي وقضاياها، "الأردن:دار البداية ناشرون وموزعون، ط١، ٢٠٠٧م"، ص١٣.

من هذه الأزواج كثير في اللغة العربية، لكن هناك مَنْ يعد التغيير في الأصوات الصامتة و الأصوات الصائتة في كلمة واحدة من ضمن الثنائيات الصغرى، وهذا كثير ما يحدث في اللغة العربية إذ أن التركيز على الصوامت وإهمال الصوائت يجعل الاعتقاد بان كلمات مثل"جَرَحَ = مَرِحَ" هي من الثنائيات الصغرى، لكن في حقيقة الأمر هذا لا يعد منها، لأن الاختلاف كما يبدو ليس فقط اختلافاً بين صوتي /ج/،/ف/ بل حدث الاختلاف على مستوى الحركة أيضا فوق الوحدة الصوتية الثانية وهي "الفتحة" في كلمة"جَرَحَ" والكسرة فوق الوحدة الصوتية الثانية في كلمة "فَرِحَ"،لهذا يمكن أن نفهم من المصطلح نفسه"ثنائيات صغرى" هو حدوث اقل واصغر اختلاف يمكن أن يكون بين الكلمات على مستوى الوحدة الصوتية[٢٨] ويمكننا أن نقسم هذه الأزواج على ثلاثة أقسام وفقاً لتغيير الوحدة الصوتية في الكلمة، وهي كالآتي[٢٩]:

1- التقابل الاستهلالي:

وهو تغيير الوحدة الصوتية الواقعة في بداية الكلمة، أي أن يتقابل فونيمان في أول كلمتين مثال ذلك صوتي/ن/،/ق/ في قولنا "نال= قال" والصوتين: /ع/،/غ/ في قولنا"غيب= عيب"...الخ.

٢- التقابل الوسطي:

وهو التغيير الواقع في وسط الكلمة، ومثال ذلك صوتي/ش/،/د/ في قولنا "مشى=مدى" و"فرق=فسق"...الخ.

٣- التقابل الختامي:

وهو أن يقع فونيمان مختلفان في آخر كلمتين تختلفان في المعنى وتتماثلان في بقية الفونيمات، أي أن التغيير الفونيمي يحدث في نهاية الكلمة مثال ذلك التقابل بين صوتي /ل/،/ر/في قولنا"سار=سال" وصوتي /ر/،/ز/ في قولنا"فار =فاز"...الخ.

الخاتمة:

أن الوحدة الصوتية قد تكون حرفاً وقد تكون حركة ما دام تبادلها مع غيرها يؤدي إلى تغيير في معنى الكلمة، ويمكن لأي انحراف في نطقِ صوتٍ ما يولد عنه تغيير في الوحدة الصوتية ومن ثم تغيير في الدلالة، ولذلك ذهب بعض علماء اللغة إلى أن الوحدة الصوتية لها وظيفة كبرى

٢٨- انظر: حركات، مصطفى، الصوتيات والفنولوجيا، ص٢٨.

٢٩- انظر: الخولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، ص٦٥-، وانظر: الخولي ، محمد علي، معجم علم الأصوات، ص٤٤-٤٥.

وهي تحديد شكل الكلمات من جهة واختلاف مضمونها من جهة أخرى، فضلاً عن ذلك أن أهم النتائج التي توصلت إليها دراسة دراستنا حول اشكالية ترجمة مصطلح الوحدات الصوتية في اللغة العربية هي كالآتي:

١- أن دراسة الوحدات الصوتية يسهم وبشكل فاعل وكبير بإيجاد أرضية كتابية خطية دقيقة للغة العربية، أي أن العربية تخصص رمزاً واحداً لكل وحدة صوتية "Phoneme" وهذه تجعل المتعلم يربط بين النطق والصورة الكتابية، مع محاولة لاستحداث علامات كتابية مساعدة للدلالة على الصفات البارزة أو الصور الصوتية الفرعية أو التغييرات التركيبية.

٢- أنها تضع الباحث والدارس على بداية العناصر اللغوية التي تؤدي إلى وظائف دلالية قبل الشروع في بحث الكلمة والجملة.

٣- أن لدراسة الوحدات لصوتية فائدة كبيرة لأنها تُعين الأجنبي الذي يريد تعلم اللغة العربية النطق الصحيح، فهي تساعد المتعلم على موائمة جهازه النطقي لأصواتها، إذ تساعده في معرفة الفروق بين الوحدات الصوتية واستيعاب نطق الأصوات الجديدة على لغته عبر معرفة صفات وخصائص الصوت النطقية والوظيفية وهي منعزلة عن السياق لأن العربية وناطقيها لهم نطق محدد لكل وحدة صوتية موثقاً بتحديد المخرج تحديداً دقيقاً وشاملاً ولما هو أساسي أو ثانوي، فهو نطق ثابت منذ ما يقارب ١٥٠٠سنة ألف وخمسمائة سنة، ومن ثم محاولة تطبيق تلك الكيفية ونطقها وهي داخل السياق.

٤- تمنح هذه الدراسة الفرصة للوقوف والبحث والتفسير في بعض المسائل المعجمية الناتجة من وجود كلمات أو مداخل متقاربة الشكل أو مترادفة ذلك بسبب استبدال وحدة صوتية بأخرى"صقر- سقر"،إذ تقوم الوحدة الصوتية بدور أساسي في تحديد بنية الكلمة في المعجم وضبط معاني المفردات وتيسير ترتيبها ومعرفة بعض التغييرات التركيبية التي تعتري الأصوات، فضلاً عن انه لن يبقَ أي معنى معجمي للكلمة حين حذف احد وحداتها الصوتية كما في قولنا"بيت" والتي إذا حذفنا صوت /ت/ منها لم يعد لها معنى، وهكذا بقية الأصوات، فوظيفة هذه الوحدات أنها جزء أساسي من أجزاء البناء اللغوي والمعجمي ومن غيره لا يمكن أن يُفهم من الكلمة شيء محدد.

٥-على الباحث والمتعلم في هذا المجال أن يكون عارفاً بأهمية الوحدة الصوتية عند الشروع في عملية الوصف أو التحليل للنظام الصوتي في اللغة العربية، لأنها تعد اللبنة التي تتشكل منها كل من اللغة الصوتية والكتابية.

٦- يجب على الباحثين العرب تأصيل المصطلحات المترجمة من خلال ايجاد ترجمة عربية مكافاة للفظ الانجليزي، والتقليل قدر الامكان من الاعتماد على المصطلحات الغربية، وخصوصا اذا كانت هذه المصطلحات لها مناظر عربي.

٧- ضرورة اعتماد ترجمة الوحدة الصوتية بدلا من المصطلح الغربي الفونيم المعرب من الانجليزية Phoneme.

المصادر والمراجع:

١. أبو مغلي، سميح، **فصول ومقالات لغوية** ، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٢م.
٢. بركات، سلمى، **اللغة العربية مستوياتها وأداؤها الوظيفي وقضاياها**، "الأردن:دار البداية ناشرون وموزعون، ط١، ٢٠٠٧م".
٣. بشر، كمال، **دراسات في علم اللغة"القسم الأول"**، "القاهرة:دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧١م.
٤. بشر، كمال، **علم الأصوات**، "القاهرة:دار غريب،للطباعة والنشر،٢٠٠٠م".
٥. بهنساوي، حسام ، **علم الأصوات**، "القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية،ط١، ٢٠٠٤م".
٦. حركات، مصطفى، **الصوتيات والفنولوجيا**، "القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ط ١، ١٩٩٨م".
٧. حسن طبل، محمد حسن، **المختصر في أصوات اللغة العربية**، "القاهرة: مكتبة الآداب،ط٤، ٢٠٠٦م".
٨. حليلي، عبد العزيز، **اللسانيات العامة واللسانيات العربية**، "الدار البيضاء: منشورات دراسات سال، ط١، ١٩٩١م".
٩. خليل، إبراهيم. **مدخل إلى علم اللغة**، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط١، ٢٠١٠م.
١٠. خليل، حلمي، **مقدمة لدراسة علم اللغة**، دار المعرفة الجامعية.
١١. الخولي، محمد علي. **دراسات لغوية**، الرياض: دار العلم، ١٩٨٢م.

١٢. ستيتية، سمير شريف، **اللسانيات:المجال والوظيفة والمنهج**،"عمان:عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م".

١٣. الصيغ، عبد العزيز، **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، بيروت:دار الفكر المعاصر، و دمشق:دار الفكر، ط١.، ٢٠٠٠م.

١٤. طحان، ريمون، **الألسنية العربية**"سلسلة المكتبة الجامعية"بيروت:دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٧٢م".

١٥. عبد الجليل، عبد القادر، **التنوعات اللغوية**،"عمان:دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩م".

١٦. عمر، أحمد مختار. **دراسة الصوت اللغوي**، عالم الكتب، ١٩٩٧م.

١٧. محجوب، فاطمة. **دراسات في علم اللغة**، القاهرة: دار النهضة العربية. ١٩٧٦م.

١٨. محمد علي، **الأصوات اللغوية**، "الرياض:مكتبة الخريجي،ط١ ،١٩٨٧م".

١٩. مذكور، عاطف، **علم اللغة بين التراث والمعاصرة**،"القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع،١٩٨٧م.

٢٠. المسدي، عبد السلام، **اللسانيات من خلال النصوص**،"تونس:الدار التونسية للنشر، ط٢، ١٩٨٦م".

٢١. النمارنة، إبراهيم ، **أصوات اللغة العربية"الفوناتيك والفنولوجيا"**،"السعودية: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م"

مدينة السلام (بغداد) من المدن المحدثة في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي

أ.د. رفاه جاسم السامرائي، استاذ الاثار الاسلامية كلية الاداب / جامعة بغداد

Madīnat as-Salām (Baghdad): A modern city dates back to the 2nd AH / 9th AD

Prof. Dr. Rafah Jassim AlSamarie, Professor – Islamic archaeology, College of arts, University of Baghdad

موبايل : ٠٠٩٦٤٧٧٠٢٥٣٨٥٦

dr.albazzi@gmail.com

الملخص: يمثل تخطيط المدن العربية الاسلامية الفكر الثاقب لبناة مدن الامصار وما تلاها، وتكشف بجلاء عما وصل اليه العرب المسلمون في مجال تخطيط المدينة وان مدينة السلام هي احدى مخرجات النضوج الفكري وهي من المدن التي تنفرد بتخطيطها وعمارتها في العصر العباسي واصبحت هذه المدينة عاصمة الخلافه العباسية قرابة ستة قرون وان شهرة المدينة وما اضفا عليها مؤرخوا العصر من اوصاف جعلها تحضى بنصيب وافر من الاهتمام في المصادر التاريخية والجغرافية وكتب الرحالة فضلا عن الدراسات الحديثة في القرن العشرين وما تلاه، تم تأسيس المدينة سنة ١٤٥هجري من قبل الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور (١٣٦ الى ١٥٨ هجري) اهتم الخليفة المنصور بمدينته واطلق عليها تسميات منها المدينة المدورة والزوراء ومدينة السلام وبغداد لكن افضل التسميات التي ارادها الخليفة المنصور هي دار السلام ووجد الاسم على احد النقود التي ضربت بالمدينة وهي تحمل اسم دار السلام وهو الاسم الرسمي، بنيت المدينة بعد سلسلة من التحريات الطبغرافية واستقر رأي الخليفة على الموضع الذي بنيت عليه المدينة في جانب الكرخ واحيطت بثلاثة اسوار دفاعية لحمايتها من الاعداء وان المدينة بتخطيطها

وعمارتها صارت مثلا فريدا وخصوصا الشكل الدائري وهكذا بقيت مدينة السلام (بغداد) خالدة على مر العصور.

Abstract: The planning of the Arab Islamic cities represents an insightful ideology of the garrison cities. It clearly illustrates the sophisticated mechanism used by the Muslim-Arab planners and architects. Madīnat as-Salām is a model of such insightful mode of thinking and the intellectual maturity. Established, with unique planning, during the Abbasid era to serve subsequently as a capital for about six centuries. The city received great deal of attention by scholars, travelers and others due to its importance and influence. It is the key focus of many bibliographies and modern studies too.

Established in 145AH by the *Abbasid Caliph Abu Ja'far al-Mansur*. He used many names to refer to his city like the round city, Azzawra'a and Madīnat as-Salām which means the(city of peace) and Baghdad. The best nomenclature to refer to the city by Madīnat as-Salām. He used the same names in his coins too.

The city established following many topographical inspections; Caliph *Abu Ja'far al-Mansur selected a location situated now in Karkh side of the Tigris. He encircled the city with three fences and huge defensive fortifications. The planning and defensive fortifications of the city represent a unique model; Beside that the rounded planning of the city is a unique model.*

تمهيد

تعد مدينة السلام من المدن المزيدة في تخطيطها وعمارتها، وهي بحق افضل تجربة تخطيطية اتخذها العرب المسلمين في العصر العباسي في القرن الثاني الهجري. ان اتساع المدينة وشهرتها عندئذ جعلها قديما، فضلا عن ما قام به المستروقون وعلماء الاثار المحدثين، كلها ساهمت في التعرف على الجانب التخطيطي والعماري للمدينة القديمة، اصبح من الصعوبة القيام بالتنقيبات

الاثرية للتعرف على معالم المدن التخطيطية. فصارت المصادر التاريخية وكتب الجغرافيين وكتب الرحالة من اهم المصادر التي تم التعرف من خلالها على تخطيط وعمارة المدينة.

وان اطلاق تسمية مدينة محدثة عليها، كان من قبل الباحثون المحدثين وذلك لم تقم على ارضها مدينة سابقة لها، فاستحدثت المدينة في تخطيطها وعمارتها.

تسمية المدينة وموقعها الجغرافي

اطلقت على المدينة العديد من التسميات منها بغداد وارجعوا اصل التسمية الى اصول قديمة منها الى اصل ما يلي او آكدي ومنهم من قال آرامي ومنهم من زعم اصلها فارسي يقصد به بستان الرجل (بغ داد) او ان بغ هو الصنم وداد بمعنى اعطاني، وبذلك تكون معنية لم يكن يحبذ تسميتها ببغداد، وكذلك الفقهاء والعلماء والمفسرون كانوا يكرهون التسمية ولأيستبعد ان يكون بعض الفقهاء قد حادثوا الخليفة المنصور في كراهية التسمية[١].

واختار الخليفة المنصور مدينة السلام اسما لعاصمته المدورة وذلك لان اسم السلام ورد في القرآن الكريم في عدة موقع بمعنى الجنة، اذ جاء في قوله تعالى "لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون"[٢].

واما بخصوص موقع المدينة فأهتم المنصور به اهتماما كبيرا، اذ قام بنفسه في اختيار الموقع الذي انشأت عليه مدينة الجديدة، واغلب كتب التاريخ والسير والجغرافية تشير الى خروج الخليفة ثم ارسل جماعة من الحكماء ذوي العقل من مرهم بارتياد موضع فاختاروا له موقع مدينة التي تسمى مدينة المنصور[٣]. وكما هو معروف فأنا لمدينة تقع وسط العراق بين نهري دجلة والفرات ولهذا الموقع اثره في الاهمية التي اكتسبتها المدينة عبر العصور، وكان وراء اختيار هذا الموقع اسباب متعددة وقعت الخليفة ومنها

١() العميد، طاهر مظفر، بغداد مدينة المنصور المدورة، بغداد، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص١٥٩، عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية، بيروت، بدون تاريخ طبع خاص، ص٣١٦-٣١٧.

٢() القرآن الكريم، سورة الانعام، اية ١٢٦.

٣() اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب، كتاب العابدان، النجف، ١٣٣٧هـ- ١٩١٨م، ص٢٠، ابن الطفطفي، محمد بن علي بن طيافيا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، مصدق ١٣٥٤هـ- ١٩٢١م، الحمودي، شهاب الدين ابي عبد الله، معجم البلدان، بيروت، ١٣٧٦-١٩٥٧،

١- العامل السياسي

كان العباسيون عند قيام دعوتهم اتخذوا اقليم خراسان متطلقا لهم فضلا عن مدينة الكوفة ذات التأييد الكامل العباسيين[١]. ونتيجة لذلك اتخذها ابو العباس السفاح (١٣٦-١٣٢هـ) منزلا لعائلته اول الامر، وعند تولي الخليفة المنصور الخلافة عاد عن الانبار فسكن جوار الكوفة. ولم يكن بوسع الخليفة المنصور ان يتخذ من دمشق عاصمة وسط جماعة لانديف له بالطاقة نوع من المجازفة والخطورة، إذ من المحتمل ان تتجب المزيد للانقضاض عليه[٢].

واما ابتعاده عن خراسان منزل الدعاة الاول فهي طيبة المقام مرضية السكن غير ان بعدها عن المراكز العربية المهمة جعل من غير المستحسن اتخاذها عاصمة للدولة العباسية[٣]. إذ ان المواصلات البطيئة آنذاك كانت تعرقل تقدم الجيوش في حالة قيام أية ثورة، ووجود العاصمة في مكان بعيد في شمال القطر أو جنوبه تسبب الارتباك في الدولة ونظمها الادارية فضلا عن انها تشجع على التمرد والخروج على السلطة[٤].

٢- العامل العسكري

تمثل الحركات الخارجية عن الدولة احدى العوامل المؤثرة في التفكير في تحديد موضع العالمة. وكانت حركة الراوندية التي خرج اصحابها على الخليفة العباسي المنصور في هاشمية الكوفة. وعلى الرغم انها لم تكن من القوة والتنظيم كادت تؤدي بحياة المنصور فكيف يكون مسير المدينة وجندها واهلها اذا ما تعرضت لهجوم منظم كبير من خارج المدينة معززا بثورة اهلية داخلية. وان المنصور فكر بمثل هذا التفكير ودرس مثل هذه الاحتمالات التي ربما تحصل لاحقا[٥]. وتبرز اهمية موقع بغداد الستراتيجي من حديث صاحب بغداد الذي مثل بين يدي الخليفة حينما استشاره

١() الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الاول، بغداد، ١٩٦٩، ص٢٥.

٢() العميد، بغداد مدينة المنصور المدورة، ص١٣٦.

٣() العميد، المصدر السابق، ص١٣٧.

٤() العميد، المصدر نفسه، ص١٣٨.

٥() العميد، المصدر السابق نفسه، ص١٣٨.

عن موقع بغداد القديم فقال[١] "وانت بين انهار لايسل اليك عدوك، وانت بين دجلة والفرات لايجيئك احد من المشرق والمغرب الا احتاج العبور وانت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله"[٢].

وتبرز اهمية موقع بغداد العسكرية كأحسن مثال طيب للستراتيجية الحربية، إذ ان وجود النهرين الكبيرين دجلة في شرق الموضع والفرات في غربه يؤلفان خطا دفاعيا عن العاصمة والاراضي التابعة لها، سواء أكان قادما من الشرق أم الغرب يتعسر على حبذه وفرقه ونمو بنانه العبور من النهر اذا ما قطعت الجسور، وكذلك يصبح من السهل على جيش الخليفة العباسي احباط كل محاولة ترمي الى اقامة معبر للجند الغزاة بيسر وسهولة، فضلا عن ان الجيش الغازي يقطع عن نفسه خط الرجعة.

٣- العامل الاقتصادي

يمثل الاقتصاد كسب الحياة للدول التي قامت منذ اقدم العصور على ارض العراق. ويظهر اثره واضحا في قيام واندثار الدولة. وادرك اهمية النواحي الاقتصادية وانعاش الدولة وتنمية مواردها الاقتصادية. ان موقع مدينة بغداد وسط العراق اعطاها ميزة تجارية، فهي على مسافة متساوية بين البصرة والموصل، اي موقعها وسطا بين الشمال والجنوب، وهذا الموقع جعلها سوقا للبضائع والمنتجات القادمة من مناطق الشمال والجنوب.

وتقع على طريق البصرة، بغداد، الموصل، وديار بكر والاناضول، وتقع ايضا على طريق الشام- العراق- الخليج العربي، فتمر بها معظم القوافل التجارية البرية والنهرية مما جعلها مدينة ذات موقع تجاري[٣].

وتتوضح اهمية هذا الموقع من خلال المحاورة التي جرت بين المنصور وصاحب بغداد حين سأله المنصور عن الموقع الذي اختار لبناء المدينة المدورة فقال له (انت يا امير المؤمنين على

١() العميد، طاهر مظفر، تخطيط المدن العربية الاسلامية بغداد، ١٩٨٦، ص٤٥.

٢() الطبري، محمد بن جرير، تاريخ ارسل والملوك، مصر، بدون تاريخ، ج٦، ص٢٣٤-٢٣٥.

٣() العميد، بغداد مدينة المنصور المدورة، ص١٤٢.

الصراة تجيئك المبرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط ودجلة وتجيئك المياه من ارمينيا وما اتصل بها في تامرا حتى تصب الى الزاب وتجيئك المياه من الروم وآمد والجزيرة والموصل في دجلة(١).

وهكذا كان لهذا الموقع دوره في اقتصاد المدينة الذي جعلها في منأى عن الازمات الاقتصادية التي تصيب الدولة آنذاك فازدهرت المدينة خلال القرون التي كانت فيها عاصمة للدولة العباسية.

٤- العامل الصحي

حرص العرب المسلحون وعلى وجه الخصوص بناة المدن الاولى التي مصون عند الفتح الاسلامي لأرض العرب ان تتوافر في مدن الانصار البصرة التي بنيت سنة ١٤هـ والكوفة في سنة ١٧هـ ان تكون ذات مواصفات تلائم حياة العرب المسلمين وتضمن لهم العيش الصحي في المدن التي حصرت في العصر الرائدي تنفيذا لتوجيهات الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى قادة الفتح العربي بالضوابط التي وضعها من اجل ضمان توافر الشروط الصحية للمدن الجديدة التي سكنها الفاتحون(٢).

وبقي العامل الصحي شرطا اساسيا في المدن التي بنيت لاحقا، وفي مقدمتها مدينة بغداد. ومن روايات المؤرخين نستشف ان الخليفة ابو جعفر المنصور على توافر الشروط الصحية لمدينته ومنها روي عنه "نزل الدير الذي هو حذاء قصره المعروف بالخلد فدعى صاحب الدير فأحضر البطريق صاحب رحا البطريق وصاحب بغداد.. فسألم عن مواضعهم وكيف هي في الحر والبرد والامطار والوحول والبق والهوام فأخبره كل واحد منهم ان ببيت في قرية منها نبات كل رجل منهم في قرية واتاه خبزها وشاور المنصور الذين احضرهم"(٣). وعلى الرغم من كل الضوابط التي وضعها العرب المسلمين لمواقع ومواقع مدنهم، الا انها لم تسلم من التجني من قبل بعض المؤرخين وتبعهم فريق من المستشرقين لاحقا، ومنها ان المباني التي كانت تختطها العرب يسرع

١() الطبري، المصدر السابق، ج٦، ص٣٢٦.

٢() البلاذري، احمد بن يحيى، فتوح البلدان، بيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣، ص٢٧٤.

٣() الطبري، المصدر السابق، ج٦، ص٢٣٥-٢٣٦.

لها الحرب، ويرجع السبب في ذلك هو بداءة العرب وبعدهم عن الصنائع، وكذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن والمكان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعي[١].

وتصدى لرأي ابن خلدون واراء المستشرقين احد الباحثين في مطلع القرن العشرين، وناقش الاراء ورد عليهم بالاسانيد الاثارية التي في مجال تخطيط المدن والعمارة، وكانت من افضل الدراسات التي الذين خططوا وبنوا مدنهم في الاعصار التي فتحوها وصارت مقالا للمدن النظامية في تخطيطها وعمارتها[٢]. وبعد استقرار رأي الخليفة المنصور على موقع المدينة بدأ التهيأ لبناء المدينة من خلال الاستعانة بالمهندسين والصناع، وللمهندسين دور كبير في تنفيذ بناء العمائر والمدن وهو بمثابة حجر الزاوية في كل عمران وبناء، ومن الصعوبة على البنائين والعمال الشروع في بناء ضخم من غير الاستعانة بخبرة المهندس.

وفي اشارة الى المهندسين الذين اشرفوا على بناء مدينة المنصور كان منهم الحجاج بن ارطأة وابي حنيفة النعمان بن ثابت، وهم من ضمن الذين اختارهم المنصور من ذوي الفضل والعدالة والفقه والامانة والمعرفة بالهندسة[٣]. وبدأت الاستعدادات لبناء المدينة ومنها استحضار الايدي العاملة والمواد البنائية، والمهندسين المشرفين الاربعة عبد الله بن محرز والحجاج بن يوسف وعمران بن الوضاح وشهاب ابن كثير الذين هند سوأ بغداد وخطوطها[٤]. وقبل ان بدأ العمل وشق الارض البكر احب المنصور ظهور تخطيط المدنية التي اسهم هو ومهندسوه في وضع الفكرة والتصميم وتشير احد المصادر " ان المنصور لما عزم على بنائها احب ان ينظر اليها عينا فأمر ان يخط بالرماد ثم اقبل يدخل من كل باب ويمر في فصائلها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد ودار عليهم ينظر الخطوط حب القطن وبنصب عليه النفط فنظر اليها والنار تشتعل ففهما وعرف رسمها وامر ان يحفر اساس ذلك على الرسم ثم ابتدئ في عملها[٥]. ان ما

١() ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، ١٩٥٧، ج١، ص٦٤٦ و ٦٤٧.

٢() احمد فكري، المدخ- مضر، بدون تاريخ، ص٢٦-٤٩.

٣() الطبري، المصدر السابق، ج٦، ص٢٣٧، المقدسي، محمد بن احمد البشاري، من التقاسيم في معرفة الاقاليم، لندن، ١٩٠٩، ص١٢١، الطبري، المصدر السابق، ح٦، ص٢٣٧، الحموي، المصدر السابق، ح٦، ص٢٣٧، الحموي، المصدر السابق، ج١، ص٦٨١.

٤() اليعقوبي، كتاب البلدان، ص٢٣٨.

٥() الطبري، المصدر السابق، ص٦، ج٢٣٧.

قام به الخليفة المنصور حول تخطيط المدنية يتم عن فكر ثاقب في ميان تخطيط المدن وعمارتها ويسهم في بروز نظرية الاستنباط الفكري في هذا المجال.

ويعد اطمئنان الخليفة المنصور الى تخطيط المدينة على الارض ورأى بنفسه النيران الملتهبة التي اضرمت في حب القطن والنفط ظهرت جميع مرافق المدنية مجسمة[١]. وشرع بالبناء سنة ١٤٤هـ واستمر حتى سنة ١٤٥هـ[٢]. وطلب المنصور الاستفادة من خبرات العمال والفنانين من مختلف الاقطار الاسلامية الذي يطلق عليه نظام الاستدعاء او امر تكليف ومعناه واذا ما انتقلنا للتعرف على شكل المدينة فأن تخطيطها كان دائريا، وهذا الشكل اكسبها شهرة واسعة عندئذ، فأن التخطيط الدائري بمنح المدنية مزايا من الناحية العسكرية والاقتصادية. ويسهل الشكل الدائري عملية الدفاع عن المدنية[٣]. حيث تتلاشى فيه الزوايا التي تحجب مدى الرؤيا عند المدافعين لان المزاغل او الشرفات في ابراج الاسوار المستديرة تكون بزاوية متفرجة واسعة[٤]. ويتميز السور الدائري انه اقوى من السور المربع وان السيطرة المركزية فيه تكون اكبر بسبب تساوي المسافات من المركز الى المحيط في جميع الاتجاهات[٥]، بحيث يضعف من قدرة وزخم العدو[٦]. اما في الجانب الاقتصادي يوفر التخطيط الدائري اقتصادا في الوقت والجهد والنفقات اكثر من الشكل المربع او المستطيل[٧].

وتنقسم مدينة بغداد بمجموعة من التحصينات الدفاعية التي جعلتها مدنية حصينة، واولها الخندق الذي يحيط بالمدينة، وانتهى من حفرة في سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م[٨]. ومن التحصينات الاخرى الاسوار فأولها السور الخارجي الذي يحاذي مسفاة الخندق ويدور معها دورة كاملة مع استدارة

١) العميد، بغداد مدينة المنصور المدورة، ص١٧٨.

٢) الطبري، المصدر السابق، الصفحات ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨.

٣) العميد، المظاهر العسكرية في المدن العربية قبل الاسلام، مجلة آداب المستنصرية، العدد ١٠، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤، ص٤٦٦، فاروق محمد علي، الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة العربية الاسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٣٦.

٤) الجمعة- احمد قاسم، المظاهر الدفاعية والاجنبية والامنية في تخطيط الموصل ومبانيها في العصور الاسلامية، الندوة الخامسة لتاريخ العلام عند العرب، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص٣١٠.

٥) فاروق، المصدر السابق، ص٣٦.

٦) الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية، بغداد، ١٩٨٢، ص٢٠.

٧) فاروق، المصدر السابق، ص٣٦.

٨) الطبري، المصدر السابق، جدة، ص٢٨.

المدنية، وتشير المصادر وتذكر احدى المصادر ان الخليفة المنصور امر ان يجعل عرف السور من اسفله (٥٠ ذراع) وقدر من اعلاه عشرين ذراعا[١]. ومن التحصينات الدفاعية لمدينة بغداد السور الثاني او ما يطلق عليه السور الاعظم، ويسمى السور الداخل[٢].

ويذكر احد المؤرخين ان ارتفاع السور ستون ذراعا مع الشرفات[٣]. ويتميز السور كان متينا وضخما وعشرين برجا الا بين باب البصرة وباب الكوفة فانه يزيد واحدا[٤]، وبهذا يكون عدد الابراج (١١٣) برجا[٥]. ويضم السور اربعة مداخل ذات محور مستقيم تقابل المداخل الاربعة في السور الخارج[٦]. وبنيت الاسوار باللبن ذات الحجم الكبير، واتلعت في بنائه طريقة السبط التي تحافظ على شاقولية البناء والاقتصاد في مواد البناء وتخفف من ثقل السور على الاسس[٧].

اما السور الثالث فيفصل يبن الخطط والرحبة العظمى او وسط المدينة[٨]. وللوقوف على التقسيمات الداخلية للمدينة كان قصر الخليفة المنصور يتوسط المدينة ويدعى بقصر القبة الخضراء في منطقة تقاطع الشوارع الرئيسية التي تقسم المدينة الى اربع ارباع[٩] (شكل–١). والى جانب قصر الخليفة المنصور يقع المسجد الجامع الذي يعتبر اول مسجد شيد على ارض بغداد[١٠]. وهو اكبر المساجد التي بنيت في العراق في مدينتي البصرة والكوفة، وتخطيطه كان نموذجا لتخطيط المساجد الجامعة التي بنيت عندئذ في بغداد[١١]. وتوزعت في السور الخارجي(٤) ابواب، باب الكوفة وباب البصرة وباب خراسان وباب الشام[١٢]، واتجهت الابواب نحو

١() اليعقوبي، المصدر السابق، ص٨.

٢() الخطيب، ابو بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد او مدينة السلام، دار الفكر، ج١، ص٧٤.

٣() اليعقوبي، المصدر السابق، ص٨.

٤() الخطيب، المصدر السابق، ج١، ص٧٢.

٥() فاروق، المصدر السابق، ص٧٧.

٦() المصدر السابق نفسه، ص٧٥.

٧() فاروق، المصدر السابق، ص٦.

٨() عيسى سلمان واخرون، العمارات العربية الاسلامية في العراق، بغداد، ١٩٨٢، ج١، ص٨٣.

٩() عيسى، المصدر السابق، ج١، ص٨٤.

١٠() ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل، الحوادث الجامعية والتجارب النافعة في اعيان المئة السابعة، بغداد، ١٥١، ص٣٠٣.

١١() العميد، تخطيط المدن، ص٢٨٦.

١٢() اليعقوبي، المصدر السابق، ص٩.

الجهات الاربعة، شرقي وغربي وشمالي[١]. ويبد ان ابواب المدينة كانت باتجاهات المدن الاسلامية المشهورة وعلى الطرق المؤدية منها ولها[٢]. واستكمالا لتخطيط المدينة، صارت مجموعة القصر والمسجد الجامع مركز المدينة المدورة وتفصلها عن بقية خطط المدينة ووحداتها العمرانية رحبة واسعة والتي هي بمثابة العازل عن الدور والاسواق في الاعصار الاسلامية. وتميزت المدينة المدورة عن باقي المدن العربية، هو موقع الاسواق بالنسبة الى المسجد الجامع، فبينما كانت الاسواق الرئيسية في المدن العربية كالبصرة والكوفة تقع حول المسجد الجامع، بينما تجد اسواق المدينة المدورة ابتعدت كثيرا عن مجموعة القصر والمسجد الجامع، ووزعت على اربعة اقسام بجانب ابواب المدينة الاربعة، ووضعت في طاقات مخصصة[٣]. وانظم اصحاب كل حرفة في زقاق واحد او اكثر، كما تقوم دكاكين واسواق صغيرة في المحلات المتباعدة وكل منها كأنه مدينة صغيرة فيها المسجد والاسواق[٤].

وصارت الاسواق تخصصية حتى كان هناك سوق الغزل خاص بالنساء وفيه يبعن ويشترين، وفي جهة من جهاته قامت دكاكين لبيع اللحوم والزيت وكل حاجات المطبخ[٥]. ومن اسواق المدينة سوق باعة الرمان وسوق البزازين وسوق اصحاب الصابون وسوق الطعام وسوق الدواب وسوق العلافين وسوق المهراسين وسوق الغلائين وسوق الريحان وسوق القصابين.

ومن دراسة اسماء هذه الاسواق وغيرها نجد ان هناك تخصص في توزيع الاسواق ضمن تقسيمات المدينة وخططها التي سكنها الناس. وبعد تأسيس المدينة وفي سنة ١٥٧هـ امر الخليفة المنصور بنقل الاسواق الى واخراجها من المدينة المدورة الى الكرخ، فكانت نهاية وجود هذه المجموعات من الاسواق في هذه السنة[٦].

١() الخطيب، تاريخ بغداد، ج١، ص٧٤.

٢() العميد، تخطيط المدن، ص٢٦٣.

٣() عبد الجبار ناجي، المصدر السابق، ٣٢٨.

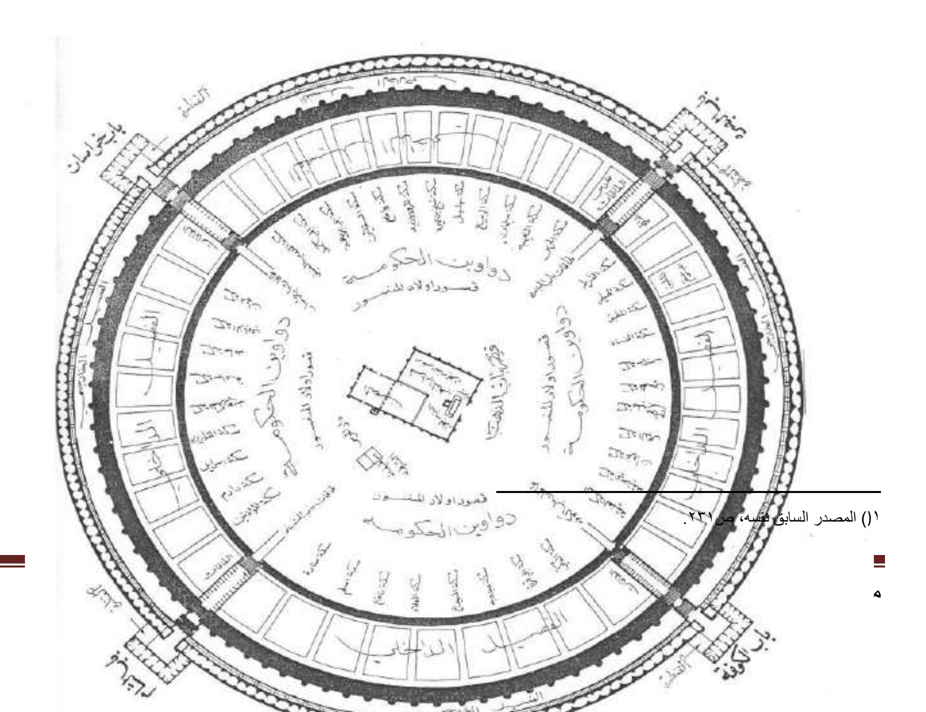
٤() ابن جبير، محمد بن احمد، الرحلة، بيروت، ١٩٦٨، ص٢١١ وما بعدها.

٥() ابن بسام، محمد بن احمد، نهاية المرتبة في طلب الحسبة، بغداد، ١٩٦٨، ص٧٢، الموسوي، العوامل التاريخية، ص٢٧٢.

٦() عبد الجبار، المصدر السابق، ص٢٢٩.

اما بالنسبة للتوزيع السكاني فهي مقسمة الى اربعة ارباع تفصل بينها اربعة طرق رئيسة التي فيها الطاقات والشارعة من الابواب الاربعة الى مركز المدينة سكك عديدة وبين الطاقات السكك والدروب تعرف بقواده ومواليه وبسكان كل سكة. وقد الحق بالمجمع السكني مقبرتان الاولى مقبرة الشيخ معروف في الجنوب الغريب للمدينة والثانية مقبرة قريش في شمال المدينة بالقرب من نهر دجلة[1].

ومن خلال دراستنا لتخطيط مدينة المنصور المدورة يمكن القول ان المدينة فريدة في تحصيصها وعمارتها الدفاعية التي وفرت للمدينة تحصينات دفاعية قوية، اراد منها الخليفة الصمود بوجه اي اعتداء خارجي. فضلا عن الشكل الدائري الذي انفردت به المدينة واطلق عليها المدينة المدورة. واذا ما انتقلنا الى داخل المدينة نجد الخليفة المنصور اخضع المدينة وسكانها الى تنظيم من حيث توزيع الوحدات الخدمية والادارية والسكنية. وهذا مما جعل المدينة تتمتع بتنظيم حضري ممتاز كفل لسكانها العيش بموقع توفرت فيه كل المستلزمات الاساسية التي يجب ان تتوافر في المدن، وهكذا بقيت مدينة السلام او بغداد من المدن المحدثة خلال القرن الثاني الهجري والتي تحمل اسم مخططها وبانيها صاحب الفكرة الثانية ثاني خلفاء الدولة العباسية الخليفة ابو جعفر المنصور.



١() المصدر السابق نفسه، ص٢٣١.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- ابن بسام، محمد ابن احمد، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، بغداد، ١٩٦٨.

٣- ابن جبير، محمد بن احمد ,المرحلة، بيروت، ١٩٦٨.

٤- ابن خلدون، عبدا لرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، ١٩٥٧

٥- ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل، الحوادث الجامعة في اعيان المئة السابعة، بغداد، ١٣٥١

٦- ابن الصفطقي، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، مصر، ١٣٥٤هـ- ١٩٢٧م.

٧- احمد فكري، المدخل، مصر، بدون تاريخ طبع.

٨- البلاذري، احمد بن يحيى، فتوح البلدان، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٩- الجمعة، احمد قاسم، المظاهر الدفاعية والامنية في تخطيط الموصل وبنايتها في العصور الاسلامية، الندوة القطرية لتاريخ العلوم عند العرب، مركز احياء التراث العلمي العربي، جامعة بغداد، ١٩٨٩.

١٠- الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله، معجم البلدان، بيروت، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧

١١- الخطيب، ابو بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد او مدينة السلام، دار الفكر، بدون تاريخ طبع

١٢- الدوري، عبد العزيز، العصر العباسي الاول، بغداد، ١٩٦٨

١٣- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، مصر، بدون تاريخ

١٤- عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية، بيروت، بدون تاريخ

١٥- العميد، طاهر مظفر، بغداد مدينة المنصور المدورة، بغداد، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٧

١٦- المظاهر العسكرية في المدن العربية الاسلامية في العراق، مجلد اداب المستنصرية، العدد ١٠، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م

١٧- مخطط المدن العربية الاسلامية، بغداد، ١٩٨٦

١٨- عيسى سلمان واخرون، العمارات العربية الاسلامية في العراق، بغداد، ١٩٨٠

١٩- فاروق محمد علي، الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة العربية الاسلامية، اطروحة دكتوراه فير منشور، كلية النواب- جامعة بغداد، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م

٢٠- المقدسي، محمد بن احمد البشاري، حسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، لبنان، ١٩٠٩

٢١- الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور الى العربية الاسلامية، بغداد، ١٩٨٢

٢٢- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب، كتاب البلدان، النجف، ١٣٣٧هـ-١٩١٨م

استراتيجيات التعلم المستند إلى الدماغ وتناغمها مع الدماغ باعتباره جهاز حيوي عند كين وكين (cain&cain ، 1994)

تلي عبد الرحمان، جامعة البليدة 2

البريد الالكتروني:telli.rahim2018@gmail.com

عبد اللاوي سهيلة، جامعة البليدة 2

البريد الالكتروني: ab.souhila@yahoo.com

الملخص: تعد نظرية التعلم المستند إلى الدماع من النظريات الحديثة في تفسير عملية تعليم وتعلم التلاميذ وهذا يعود إلى الجهود المضنية التي بذلت في ميدان الدماغ والأعصاب، فقد بات من الضروري إدماج تطبيقات واستراتيجيات هذه النظرية في بناء المناهج التعليمية وإدراجها في العملية التعليمية التعلمية، وقد بينت الأبحاث الحديثة إلى أن البرامج المبنية على نظرية التعلم المستند إلى الدماغ كانت أفضل من البرامج التقليدية المطبقة في تنمية التحصيل والدافعية.

وبناء عليه فقد جاء هذا البحث ليسلط الضوء عن ماهية التعلم المستند إلى الدماغ والعوامل المؤثرة فيه، كما يكشف عن أهم الاستراتيجيات المتناغمة مع الدماغ بالتركيز على أحد المبادئ من مجموع إحدى عشر مبدءا يعمل بها الدماغ (كين وكين 1994)، يجب على القائمين على الشأن التربوي أن يلتزموها احتراما للفطرة البشرية التي خلق الله عليها الدماغ، إذ أن هذه الفطرة ثابتة منذ الأزل لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي أحدا مهما كان عرقه أو جنسه.

والمبدأ الذي سنركز عليه في هذه المداخلة هو أن الدماغ جهاز حيوي وأن الجسم والدماغ وحدة دينامية واحدة من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

1-كيف تتم آلية التحصيل في التعلم الدماغي؟

2-ماهي العوامل المؤثرة في التعلم الدماغي؟

3-ماهي المبادئ المنظمة للتعليم المستند للدماغ؟

4-ماهي الاستراتيجيات المتناغمة مع الدماغ باعتباره جهازا حيويا؟

واعتمد في هذا البحث المكتبي المنهاج الوصفي التحليلي

الكلمات المفتاحية: نظرية التعلم المستند إلى الدماغ – الاستراتيجيات المتناغمة مع الدماغ- المبادئ المنظمة للتعلم المستند للدماغ-العوامل المؤثرة في التعلم المستند إلى الدماغ.

مقدمة:

عادة ما ينتاب تاريخ العلوم فترات سكون بعد حركة، وقد مس علم النفس هذا التغير كباقي العلوم رغم حداثته وقصر عمره، فقد ظهرت السلوكية التي اعتبرت العقل "صندوقا أسودا" لا يأبه لما يدور بداخله، وهذا الاعتبار جعل من الانسان البيولوجي انسانا آليا وكان واطسون رائد هذه المدرسة[1] وازدهرت حركة علم النفس وافتتحت المخابر لتجري فيها التجارب على الحيوانات لتعمم نتائجها على الانسان وخاصة في مجالي التربية والتعليم.

وبعد ظهور السلوكية وازدهارها على يد كل من بافلوف (الاستجابة الشرطية) وثورندايك (التعلم والخطأ) وسكينر وغيرهم، ظهرت بوادر ثورة جديدة أعادت لعلم النفس عقله فكانت الثورة المعرفية فكان من روادها جون بياجيه (Piaget1896-1980) وتلميذه وصديقه برونر (Bruner 1995jerowe) وغيرهم، فأدخلوا العقل كوسيط بين المثير والاستجابة، فكان ميلاد نوع جديد من التعلم يدعى بالتعلم المعرفي المستند إلى العمليات المعرفية من انتباه وتفكير وادراك وتخيل وتصور، ونظرا لصعوبة التطبيق وتأخر النتائج قياسا بالسلوكية فلم تلق الترحيب كما كان الحال في السلوكية فاستجاب لها البعض وبقي البعض الآخر مصرا على السلوكية، وفي خضم هذا الصراع السلوكي المعرفي، كان الاتجاه الانساني الذي يرى في الطبيعة الانسانية: الخيرية والحرية وتحقيق الذات الذي جعلها كل من ماسلو (Maslow) والدرفر في أعلى هرم سلم الحاجات، فأضاف هؤلاء البعد الانفعالي في الشخصية الانسانية، واعتبروه كمتغير وسيط ثان في معادلة

1) كانت صرخته المشهورة:" أعطوني عشرة مواليد أصنع منهم ما تشاؤون".

تعامل الانسان مع محيطه وبذلك أعلن عن ميلاد المذهب الانساني ن الذي نادى به كارل روجرز (Rogers) وغيره.

وفي الربع الاخير من القرن العشرين ظهرت تجديدات في علم النفس فظهر البياجيون الجدد والسلوكيون الجدد(robbic case, robert seigler,) فأضيفت الدافعية كمتغير في السلوكية (هل) وقبول ثنائية الاجتماعي (A.bandura et M .waller) وطورت نماذج كنموذج معالجة المعلومات ونماذج الذاكرة ثم ظهر التعليم والتعلم الاستراتيجيين وتعددت النظريات المعرفية والتي تنحدر في مجملها عن البنائية.

وفي مطلع العقد الاخير من القرن العشرين والذي أعلن فيه أنه "عقد الدماغ" والذي يمد بصلة كبيرة إلى علم الأعصاب والعلوم الطبية والفيزيولوجية، هذه العلوم قدمت تقنيات مذهلة أنارت " العلبة السوداء" بعد أن سادها الظلام عدة قرون، تتمثل هذه التقنيات الحديثة في (PET, FMRI,MEG, MRI,...) فمكنت العلماء المهتمون بالمجالات الطبية والعصبية من الاطلاع على ما يحدث في الدماغ ويرونه رأي العين، عند استقبال الدماغ للمنبهات الخارجية عن طريق المستقبلات الحسية (السمع، البصر، الشم، الذوق واللمس) والأثر الذي يتركه في الدماغ، بعبارة أخرى " فالعملية المعرفية " التي تنجز في الدماغ صارت رؤيتها ممكنة، وبهذه الانجازات ردمت الهوة التي كانت تفصل علماء النفس عن علماء الطب والاعصاب والفيزيولوجيا والبيولوجيا، وظهرت ثنائية جديدة تمثل الاتجاه العصبي المعرفي، فباشر علماء النفس التربويون من أمثال كين وكين(Caine and Caine) وجنسون (Jensen) وسوسا (Sousa) وولف وبات (Wolfe et pat) من الاستفادة في تجويد عمليتي التعليم والتعلم على أمل أن يصبح المتعلم أقدر على مواجهة متطلبات الألفية الثالثة فكانت بدايات ميلاد نظرية المستند إلى الدماغ،

1-الاشكالية:

توسعت أبحاث الدماغ خلال السنوات الاخيرة الماضية بسبب ظهور تقنيات حديثة أتاحت للباحثين سبر أعماق الدماغ، ومن هذه التقنيات التصوير بواسطة جهاز الرنين المغنطيسي (MRI)

والتصوير الطبقي بالانبعاث البوزيتروني(PET) الذي يسمح بتصوير مناطق فعالة في الدماغ البشري، مما جعل أبحاث الدماغ تستند إلى الدليل العلمي بدلا من التكهنات التي كانت سائدة قبل ذلك.

لقد ازداد عدد التربويين المهتمين بدراسة أبحاث الدماغ، حيث حاولوا الاستفادة من نتائج هذه الأبحاث في الميدان التربوي، وذلك من خلال فهم آلية عمل دماغ التلميذ أثناء التعلم، لبناء الاستراتيجيات المتناغمة مع عمل دماغه، وايجاد البيئة الصفية المناسبة له، ومن هنا فقد نشأت نظرية التعلم المستند إلى الدماغ بوصفها طريقة في التفكير بشأن التعلم والعمل، وتساهم هذه النظرية في زيادة قدرة المتعلم على التعلم بطريقة طبيعية وداعمة.(السلطي، 2009، ص108)

ويرى سوسا (Sousa,1998) أن التعلم المستند إلى الدماغ يعمل على التوظيف المتكامل للعواطف والتغذية والبيئة (الثرية) والموسيقى والحركة وتكوين المعنى، وغياب التهديد وذلك لإيصال المتعلم إلى أقصى حد من المشاركة والانجاز. (أحمد محمد الزعبي، 2015، ص49)

وإذا لم يطور المربون فهما لوظيفة عمل الدماغ، فإن العملية التعلمية التعليمية ستكون عرضة للبدع العلمية المزيفة والتعميمات غير المناسبة والبرامج غير الموثوق بها (Wolfe and Brandt, 1998)، وأظهرت العديد من الابحاث والدراسات أمثال (البداوي، 2010) ، (Duma,2010), (Ozden,2005) وصالح (2011) و أولولا (Awolola,2011) أن التعلم المستند إلى الدماغ يعمل على رفع مستوى التحصيل ودافعية الانجاز كما يشجع التلاميذ على التفكير الابداعي. (محمود محمد عمر عساف، 2016، ص4)، ولكي تنمى قدرات الدماغ ينبغي أن ندرس ما يقدم للمتعلم من معلومات ومفاهيم بحيث يقوم الدماغ بتنظيم تلك المعلومات حتى تصبح ذات معنى. (عفانة والجيش، 2009، ص ص18-19).

يتضح مما سبق أن تطبيق استراتيجيات التعلم المستند إلى الدماغ أصبح من الضروريات في العملية التعليمية التعلمية، لما له من تأثيرات إيجابية غلى المظاهر التعلمية الفكرية والنفسية لدى المتعلمين.

لذا سنلقى الضوء على أولى مبادئ التعلم المستند إلى الدماغ والذي ينظر إلى الدماغ على أنه جهاز حيوي ويعتبر الجسم والدماغ والعقل وحدة دينامية واحدة وأهم الاستراتيجيات المرتبطة بهذا المبدأ، من خلال الاجابة على التساؤلات الآتية:

1) كيف تتم آلية التحصيل التعلم الدماغي؟
2) ماهي العوامل المؤثرة في التعلم الدماغي؟
3) ماذا نعني بالتعلم المستند إلى الدماغ ؟ وماهي مبادئه؟
4) ماهي الاستراتيجيات المتناغمة مع الدماغ باعتباره جهاز حيوي؟

2-ألية تحصيل التعلم الدماغي:

تقتصر عملية التعلم على الفرد البشري لما خصه الله سبحانه وتعالى بالعقل والذي هو مجموعة من العمليات المعرفية التي يقوم بها الدماغ ومنها الانتباه والادراك والتذكر وغياب هذه العمليات عند الحيوان أصبح غير مؤهل للتعلم كالإنسان ويصدق في حق الانسان التدريب والترويض.

تعمل عملية التعلم على تغيير الناحية الفيزيائية للدماغ، فمع كل جديد من إثارة أو خبرة أو سلوك يستطيع الدماغ أن يعيد تنظيم نفسه وتغيير شبكة التوصيل الكهروكيميائي فيه، حيث تنشط عملية التواصل بين الخلية والخلية (السلطي 2009، ص99) وقد تكون المثيرات داخلية مثل العصف الذهني ، أو خارجية عن طريق الحواس، ومنه يخزن المثير ويعالج على عدة مستويات ليتم تكوين القدرات الكامنة للذاكرة طويلة المدى، هنا تكمن أهمية المثير حيث يتم تجنيد المعلومة حسب الحاجة، إذا كانت المعلومة تتعلق بتعلم سابق فيتعزز التعلم بفضل الممرات العصبية التي تربط بين الخلايا، والعكس إذا كانت المعلومة جديدة فتحتاج إلى تكوين روابط جديدة كحلقة يستجيب لها من يعرفها أكثر ممن يسمعها لأول مرة.

إن خرائط المعرفية للفرد ليست بفعل البيئة وحدها او الوراثة وحدها، وإنما هي نتيجة تفاعل بينهما هي فكرة نظرية تسمى "الإلحاحية" 'ترجمة الفرنسية ' والتي تشير إلى أنه في كل مرحلة من مراحل التطور هناك جينات معينة تتأثر بعوامل بيئية معينة، لذا ركزت الابحاث الحديثة على ما يدعى بنوافذ التعلم والتي تشير إلى فترة من الاستعداد القوي للتعلم. (السلطي، 2009، 100)

إنه التعلم الذي يتوافق مع الطريقة الطبيعية التي يتعلم بها الدماغ، إنها طريقة تجمع عدة فروع علمية مبنية على السؤال الاساسي التالي:"ما الشيء المناسب للدماغ؟" تلك الطريقة مستقاة من عدة فروع علمية من العلم مثل الكيمياء، علم الاعصاب، علم النفس وعلم الاجتماع، وعلوم الجينات وعلم الاحياء... إنها بمثابة رؤية في العلم وعن عمل المعلم وليست فرعا من العلوم مستقلا بذاته، فهي طريقة تشجع على التفكير في طبيعة الدماغ أثناء اتخاذ القرارات، وباستخدام ما نعرفه عنه فإننا نتخذ قرارات أفضل ونصل إلى أكبر عدد من المتعلمين دون أن نفقد انتباه أحدهم، إنه ببساطة التعلم المبني على الفهم الكامل للدماغ البشري(ايريك جينسن، 2008، 11).

3-العوامل المؤثرة في التعلم الدماغي:

من المعلوم أن الطفل يولد ولديه مائة بليون خلية عصبية دماغية، ويؤكد هذا الانتاج الغزير للخلايا العصبية على أن الدماغ يمكنه أن يتكيف لأي مجموعة من الظروف ويبلغ ذروة نشاطه في عمر خمس سنوات، والخلايا التي لا تستخدم تذوي وتضمحل، وكذلك الترابطات (الوصلات) بين الخلايا العصبية في حين تبقى الخلايا المعززة بفعل الخبرة التي تغذي الترابطات داخل الدماغ (السلطي والريماوي، 2009 ، ص101) وعليه فإن المتعلم الجديد لا يدخل المدرسة وهو فارغ الذهن، (صفحة بيضاء) ولكنه يدخل وهو محمل بنك دماغي مصنع ومعدل بشكل كبير بفعل الخبرات التي عاشها في سنواته الاولى، شتان بين من عاش هذه الفترة في بيئة معززة بالتأثيرات الايجابية بتغذية صحية وتعلق أولي آمن بالأم وتفاعل مع الاخوة والاخوات ولعب ورحلات وبين من عاشها في توتر وقلق وفطام عنيف وبعدم تعلق أولي آمن بالأم وحرمان ثقافي وغذائي والحروب والمجاعة والصدمات المتتالية على الرأس، فعلى سبيل المثال كدمة على الرأس قد يكون لها تأثير مدى الحياة على قدرات التعلم، فإذا أصيب الطفل في منطقة حيوية في الدماغ قد يعاني الطفل من مشكلات في وظائف الانفعالات أو الاستيعاب او الذاكرة، وعادة لا يتم ربط إصابة الرأس بالصعوبات التي تواجه المتعلم.(المرجع السابق ص 102)

ويعتبر الألم والتوتر المستمرين لفترة طويلة بمثابة عامل آخر يؤثر سلبا على وظائف الدماغ، فإن الجسم يطلق هرمونات التوتر كرد فعل للخطر، وهذا ما يولد إفراز هرمون الأدرينالين للهروب

أو الدفاع عن النفس، والذي يدعم النجاة عند مواجهة الخطر، وهذا بالطبع رد فعل ايجابي عندما ينقذ حياتنا، ولكن عندما يفرز هرمونات التوتر باستمرار كرد فعل للتوتر المزمن والقلق، يتم استخدام الالية التي تعني بإنقاذ حياتنا أكثر من اللازم، وتجعلنا في حالة دائمة من الانتباه مما يؤدي إلى تأثير سام على الخلايا العصبية وتسبب عجزا في الذاكرة التي هي أساس التعلم، في حين أن الخبرات الممتعة تنبه إطلاق النواقل العصبية المدعمة تفتح طرق للذاكرة وتدعم الخبرة التعليمية . (المرجع السابق ص102)

4-نظرية التعلم المستند إلى الدماغ: Brain Based Learning Theory

إن التعلم وظيفة الدماغ الطبيعية وأكثر تدقيقا إن له فعليا قدرة على التعلم لا تنفذ، فكل دماغ بشري سليم مزود فطريا بمجموعة من القدرات الكامنة ، (كين وكين 1994) وعلى الرغم من تواجد هذه القدرات إلا أننا نجد تعددا في الاتجاهات والنظريات المتعلقة بالتعلم، والسبب يعود إلى أنه لم يكن مفهوما مدى تعقيد الطريقة التي يتعلم بها الدماغ، خاصة عندما يعمل بشكل مثالي، وعندما يتم فهم الإمكانات والعمليات والمعالجات المتوافرة ومن ثمة يمكن تحقيق تلك القدرات الكامنة للدماغ البشري، وبمعنى آخر تحسين التعلم، وتعتقد ليزلي هارت "أنه يمكن أن يكون هناك تعلم متناغم مع الدماغ في مقابل تعلم مضاد لعمل الدماغ" وفهم الفرق بين المصطلحين هام جدا (كين وكين 1994) وعلى الرغم من ارتباط التعلم كله بالدماغ بطريقة ما، فإن التعلم المستند إلى الدماغ هو التعلم وفقا للطريقة التي فطر بها الدماغ لكي يتعلم بشكل طبيعي (جنسن 2002 أ)وباختصار هو التعلم مع حضور الذهن.(جنسن 2000 ب).

لقد حدد كل من كين وكين اثني عشر مبدأ لهذه النظرية، وفيما يلي توضيح للمبادئ كما شرحها كل من كين وكين ولكل مبدأ عدد من الاستراتيجيات الملائمة له. سيتم ذكر هذه المبادئ على أن يقتصر العمل على مبدأ الدماغ والاستراتيجيات المناسبة له.

1- الدماغ جهاز حيوي الجسم والدماغ والعقل وحدة دينامية واحدة

2- الدماغ/ العقل الاجتماعي.

3- البحث عن المعنى الفطري

4- البحث عن المعنى من خلال التنميط

5- الانفعالات حاسمة للتنميط

6- يدرك الدماغ / العقل الاجزاء والكل بشكل متزامن

7- يتضمن التعلم كلا من الانتباه والمركز والادراك الفطري

8- يتضمن التعلم دائما عمليات واعية ولا واعية

9- لدينا على الاقل طريقتان لتنظيم الذاكرة: نظام الذاكرة المكانية ومجموعة أنظمة التعلم الصم.

10- التعلم تطوري

11- يدعم التعلم المعقد بالتحدي ويكف بالتهديد

12- كل دماغ منظم بطريقة فريدة.

1.4الدماغ جهاز حيوي، الجسم والدماغ والعقل وحدة دينامية واحدة:

إن الدماغ كغيره من الانظمة الحيوية هو نظام يتكون من أجزاء ولكنه يعمل ككل، فعلى الرغم من أن كل منطقة لها وظيفتها الخاصة بها مع ذلك فهو يعمل بشكل كلي، ولهذا النظام الحيوي خصائص ذات تأثير على كيفية أداء الاطفال الرضع والاطفال الأكبر سنا، حيث يسعى الدماغ إلى المحافظة على البقاء وحماية نفسه، مثلما يتصرف الاطفال الرضع الذين يحتاجون إلى الطعام والراحة والمأوى والدعم، وينمو هذا النظام ويتكيف مع بيئته، كل ذلك ضمن التقييدات التي تفرضها الاماكن التي يتواجدون بها.(السلطي والريماوي، 2009، ص110)

كما أنه ينتج عن بعض الحوادث الصغيرة عواقب وخيمة وغير متوقعة، وهذا لما تولد مشاحنة ما سلسلة من الانفعالات والاستجابات التي يمكن أن تؤدي نتائج طويلة الامد، إن النظام مرن بشكل هائل ويمكن أن يستوعب مدخلات بيئية ضخمة وبدون عواقب قابلة للملاحظة كتلك التي نجدها لدى الاطفال الذين ينشؤون في بيئات ذات مشكلات نسبية.

إن الحديث عن الدماغ الحيوي يحيلنا بالدرجة الاولى إلى الحديث عن البيئة النفسية للتعلم، فهي تكمن في نوع العلاقة التي تربط المعلم مع المتعلم فلها أهمية قصوى لبيئة التعليم، فإذا لم تتميز

تلك العلاقة بالثقة والامان والاحترام المتبادل ستتوقف عملية التعلم، وهذا يعود إلى تأثير المناخ الانفعالي والذهني والاجتماعي، فإن مسؤولية المعلم الأولى هي توفير مناخ نفسي وبدني ايجابي لإدارة عملية التعلم.(صلاح الدين عرفة محمود، 2006، ص279)

وهناك استراتيجيات تساعد على عمل الأنظمة الحيوية والبيئية بصورة جيدة داخل نظام الدماغ البشري مثل: – شرب الماء

– التمرينات الرياضية للدماغ.

– البيئة النباتية.

–التغذية الخاصة بالدماغ.

– المرح.

2.4الاستراتيجيات المتناغمة مع الدماغ الحيوي: بناء على ما تقدم سنتطرق لأهم الاستراتيجيات المتناغمة مع هذا المبدأ نجد: **المناخ البصري**، فالعين قادرة على تسجيل 36 ألف رسالة بصرية كل ساعة، أي أن الدماغ له القدرة على تسجيل 80 بالمائة إلى 90 بالمائة من المعلومات التي يستوعبها هي معلومات بصرية، في الواقع أن شبكية العين مرتبطة ب40 بالمائة من الالياف البصرية في الدماغ.

من العناصر الاساسية التي تمكن العين من تكوين المعنى من مجال الرؤية هي التباين والميل والمنحنيات واللون تلك العوامل يدركها المتعلم بمجرد رؤيتها وقبل أن يفهمها عن وعي، فهي توفر إطارا لجذب انتباه المتعلم والابقاء عليه.

أ- **الضوء في البيئة الصفية:** تؤثر الاضاءة بشدة على رؤيتنا وبالتالي تؤثر بشكل مباشر على التعلم،

وكل ما يمكننا القيام به لإراحة العين في الفصل يسهم في التعلم المثالي.

فلقد بينت الابحاث على أن الضوء الصناعي يرفع مستوى هرمون الكورتيزول في الدم مما يعوق الجهاز المناعي وهذا يدل على التوتر. لأن الضوء الصناعي له خاصية اهتزازية مما يجعل له تأثيرا قويا على الجهاز العصبي المركزي، ورد فعل الدماغ لهذا المثير السمعي البصري يرفع من

مستويات الهرمون الكورتيزول، ويقول المختصون حتى وان لم يظهر المتعلمون انجازا أكاديميا متزايدا مرتبطا بالضوء، فإن مجرد حقيقة أن التلاميذ يشعرون بالاسترخاء والتركيز يمثل سببا كافيا لتقليل استخدام الاضاءة الصناعية. (اريك جينسن،2008، ص69)

تقول خبيرة اساليب التعلم ريتادون وزملاؤها (1985) فإن الضوء المبهر يجعل المتعلمين يشعرون بالتوتر والقلق وعدم الراحة، بينما الضوء ذو مستوى المنخفض له تأثير مريح وهادئ، خاصة لدى الاطفال الصغار.(اريك جينسن،2007، ص125).

ماذا يعني هذا بالنسبة للمعلمين أو للقائمين على التربية والتعليم؟ قد يؤدي الكثير من المتعلمين أقل من قدراتهم بسبب الاضاءة المرهقة للعين أو الجهاز العصبي، فالإضاءة الهادئة الطبيعية هي الأفضل للتعلم، لذا ينبغي توفير عدة أنواع مختلفة من الإضاءة في حجرة الدراسة، تتبعها استشارة التلاميذ في اختيار أماكن جلوسهم.

كما يمكننا تحسين التعلم بتحسين الإضاءة أثناء شهور الشتاء المظلمة، لذا علينا اكتشاف خيارتنا لتحسين بيئة التعلم أثناء فترات انخفاض ضوء الشمس، ومبادرة بسؤال الاخرين إذا كانوا لاحظوا مظاهر أو أعراض الاكتئاب الموسمي لدى الطلاب والتلاميذ أو حتى المعلمين.

ب- تمرينات رياضة الدماغ: (Brain Gym)

بينت الابحاث التي قام بها بول دينيسون (1960) حول تقنية(Brain Gym) أن للحركات أثر إيجابي على التوازن ، السمع، القراءة، الذاكرة، الادراك، الانتباه ووقت الاستجابة، وأول هذه الابحاث التي نشرت تحت عنوان أثر التربية الحسية والحركية، على توازن لوضعيات الطلبة الذين يعانون من صعوبات التعلم، على يد جوزيي سيفت ودون موريس (Josie M, Sifft et Don Morris) تناولت هذه الابحاث إحصائيات دالة حول المتعلمين الذين يجيدون صعوبات وحسنوا إمكانياتهم في الوقوف تتوازن على رجل واحد بعد تطبيق بانتظام بعض نشاطات تقنية Brain Gym. (Dennison, Dennison, 2010)

أسس بول دينيسون وزوجته جيل دينيسون تقنية Brain Gym عام 1970، اللذان يبحثان عن سبل وطرق أكثر فعالية الاطفال وحتى الراشدين الذين يعانون من صعوبات في التعلم، انطلاقا

من الابحاث التي قام بها أخصائيون في النمو الذين حاولوا استعمال الحركة لتحسين إمكانيات التعلم، ولقد نجحا في تأسيس هذه التقنية التي تطبق الآن في الكثير من بلدان العالم وكان ثمار جهدهما في الاعمال التي نشرت تحت عنوان" التربية الحسية الحركية البيداغوجية"(Kinésiologie Pédagogique) (Hannoford, 1998)

إن Brain Gym هي كلمة مركبة، فكلمة Gym تعني حركات رياضية و Brain تعني الدماغ، تترجم إلى اللغة الفرنسية La gymnastique du cerveau، وتسمى باللغة العربية الرياضة الذهنية كما توجد في مراجع أخرى باسم الجمباز العقلي.

تدخل تقنية Brain Gym في إطار التربية الحسية الحركية Education Kinésthésique التي تستعمل الحركات والنشاطات الحركية والفنية لتنمية وتطوير طاقاتنا الداخلية، وهذه التقنية تتضمن 26 حركة سهلة التطبيق، بحيث تطبق على الذين يعانون من صعوبات في التعلم لتحسين عملية التعلم في القسم، كما تطبق أيضا في العمل والمكاتب والبيت، وفي كل أعمال الحياة اليومية كالقراءة، الكتابة، الحساب، الابداع، التنظيم، التركيز، الانتباه، الذاكرة، اللغات، الموسيقى والامتحانات... (Lustro, Mouroux, 2004,14)

يقول بول دينسون Paul Dennison ان تقنية Brain Gym موجهة للجميع معلمين مربين أباء .. الذين يريدون مساعدة الاطفال الذين يعانون من الاضطرابات السلوكية وصعوبات التعلم، حيث ترتكز هذه على وجود علاقة بين الحركة والوظائف الدماغية والجسم خلال عملية التعلم، بحيث تستعمل بعض الحركات لتطوير مهارات التعلم، فهذه التقنية تعتمد على فصي المخ الأيمن والأيسر المسؤولان عن كل الاتصالات الداخلية والخارجية.

تتكون هذه التقنية من 26 نشاط حركي بعضها تؤدي نفس المهام، ولقد وافق كل من الاطباء والمختصين في طب الأعصاب مثل(Bruce Perry,2008) (John Katy 2002) (Daniel Amen, 2009) (John Medina, 2008)، في أن حركات هذه التقنية تثير النشاطات الذهنية وتساعد في التحكم في الانفعالات والقلق وتساهم أيضا في تنمية الاستعدادات الحسية الحركية، ومهارات التفكير السليم لتسهيل عملية التعلم وجعلها عملية شيقة، ويقول بول دينيسون (1960)

أنه إذا كانت التربية البدنية توقظ الدماغ ، فإن حركات Brain Gym تذهب إلى أبعد من هذا فهي تقوم باستشارة الخفة، والرؤية بجانبين والتآزر والتناسق بين اليدين–العينين لكي ينجح التلميذ في القسم كما تنمى العمليات العقلية كالتركيز والانتباه، والتفكير والتذكر والابداع .... (Dennison, Dennison, 2010, 16)

تقول كارلا هانافور (Carla Hannaford, 1998) أن مجتمعنا المعاصر يحتاج إلى وسائل بسيطة سهلة وأنيقة للقيام ببعض العمليات، نفس الشيء بالنسبة لعملية التعلم التي تتطلب منا الادراك الحسي الادماج الاستيعاب والفعل، فهذه التقنية تسهل هذه المتطلبات بتنشيط النظام النفس فيزيولوجي، وتهيؤه للتعلم بفضل حركات بسيطة وسهلة التطبيق، وهذه الحركات مهمة جدا في عملية التعلم، حيث تقوم بإيقاظ وتنشيط عدد من إمكانياتنا العقلية، الحركة تسمح باكتساب معلومات وخبرات جديدة لنظامنا النووي. (Hannoford, 1998, 131) .

وعليه يرى العلماء أن الحركة تطلق عامل BDNF وهو مادة مغذية للدماغ تعزز التفكير وتقلل التوتر، ولذلك ينصح بإجراء تمارين منتظمة على مدى الأسبوع، بمعدل ثلاث مرات اسبوعيا ولمدة عشرين دقيقة لكل مرة.(ذوقان عبيدات ، 2007، ص18)

ت- شرب الماء: إن ما تؤكد عليه الابحاث الحديثة هو أن الجفاف يعوق التعلم، وتؤكد عالمة الاعصاب كارلا هنافورد (1995) أن الطالب قد يتعرض للجفاف والذي يؤدي بدوره لأداء دراسي ضعيف.

كما يوصي متخصصو التعلم بشرب من 7 إلى 15 كوب ماء وفقا لحجم الفرد ومستوى النشاط والطقس، ويوصي أيضا خبراء التغذية بالماء النقي والتأكد من خلوه من الملوثات، فالماء أفضل للجسم من المنبهات والمشروبات والعصائر خاصة الاصطناعية، لأنه خال من العناصر السكرية التي تعوق ايقاعات الجسم الطبيعية، وقد وجد الكثير من المتعلمين أنه عندما يشجعون التلاميذ على الشرب كما يريدون فإنه يتحسن سلوكهم وأداؤهم الدراسي.(اريك جينسن، 2008، ص74))
الطلاب الذين يشعرون بالملل أو الضجر أو حتى النعاس ولا يتمكنون من التركيز قد يكونون يعانون من الجفاف، لذا وجب على المعلم التحدث إلى التلاميذ عن الجفاف وقيمة الماء، وأن

يذكرهم بشرب الماء في فترات الراحة والفسحة، كما يسمح لهم بإحضار زجاجات الماء إلى الفصل، كما يجب التنبه إذا كانت الحصص تمتد لأكثر من 45 دقيقة فمن المهم أن تتأكد من اعطاء الفرصة للتلاميذ لشرب الماء بصورة كافية، فإنه يسمح حينها بالذهاب للشرب أحيانا بدون احداث ضجة أو احراج، والمحبذ لو يتم شرح لهم أهمية الماء مقارنة بالمشروبات الأخرى مثل الصودا والعصير إذا كان اصطناعيا والقهوة ... ويتم التذكير أن الجسم يحتاج للماء كثيرا.

ج- وضع النباتات في الصف لتنقية الجو: قد يتبادر إلى الذهن سؤال "هل تؤثر النباتات غلى عملية التعلم؟ للإجابة عليه نعود إلى ما اكتشفه العلماء في وكالة الفضاء والطيران الامريكية (ناسا) أن استخدام النباتات يخلق بيئة تعلم وتفكير أفضل لرواد الفضاء. (ولفرتون 1996) ويقول أن هناك نباتات محددة تحسن نوعية حياة رواد الفضاء، وأكد ذلك مشيرا إلى الوضع في منزله، لأنها تنقي الهواء من الملوثات وتزيد من التأبين السلبي في الجو، وتملأ الهواء داخل الحجرة بالأكسجين.(اريك جينسن،2008، ص75)

إن النباتات لا تنقي الهواء فقط بل تحسن البيئة الجمالية ومعظمنا يستخدم حوالي 10 بالمائة إلى 15 بالمائة من طاقة الرئة، مع كل نفس يتنفسه، وهذا سيئ لأن الهواء المحبوس داخل الحجرة يزعج الدماغ. ومن أجل تعلم المثالي وجب توفير للطلاب هواء نقيا به أكسجين بنسبة عالية، كما يتم تشجيع الطلاب على التنفس بعمق وحتى المعلم مطالب بهذا خاصة إذا شعر بالتوتر والضغط.(اريك جينسن،2007، ص126).

غالبا لا ندرك تأثير الهواء الذي نتنفسه والملوثات التي تنتشر حولنا، ولكن تلك العوامل مهمة لخلق بيئة مثالية تتماشى مع دماغ المتعلمين، لذا يستحسن وضع من 4 إلى 8 نباتات إذا كانت مساحة الفصل عادية وأكثر إذا كانت مساحتها أكبر.

د- أثر التغذية في التعلم:

إن ما تشير إليه الابحاث الحديثة أن التغذية الجيدة تحفز وظائف الخلايا العصبية، وأهم احتياجات المخ هي الاكسجين والجلوكوز، والطريقة الوحيدة لتوفيره هي استهلاك الطعام الغني بالمغذيات الضرورية لأنه بمثابة الوقود للدماغ.

فعلى سبيل المثال يستخدم الدماغ مادة التيروسين لصنع مادتي الدوبامين والنوربينفرين للناقلات العصبية، وهاتان المادتان الكيميائيتان محملتان بالكهرباء ومهمتان جدا للتيقظ ، التفكير ، رد الفعل السريع، المساعدة على أداء الحاجات، والمحافظة على مدى الانتباه وزيادة الوعي، وتوجد مادة "التيروسين" في أنواع الطعام الغنية بالبروتين مثل منتجات الألبان، اللحوم والاسماك والبيض... يقول الباحثون أن ما تناوله تأثير كبير على التفكير:" الفتامينات والمغذيات الأخرى ضرورية جدا لنمو المخ والحفاظ على الخلايا العصبية وعملية التمثيل الغذائي للمخ" على سبيل المثال فإن سكر الدم (الجلوكوز) هو المصدر الوحيد لطاقة خلايا المخ، ولكن العديد من المتعلمين لا يتناولون وجبة الافطار، والافطار هو الفرصة الاولى لتعويض استهلاك الجلوكوز بعد نوم الليل.(اريك جينسن،2008، ص86)

كما نجد أن التيقظ والذاكرة والقدرات البصرية المكانية والانتباه والتخطيط والمهارات التنظيمية تتأثر تأثيرا مباشرا بالفيتامينات المهمة مثل فيتامينات (أ-A) (ج-C) (هـ-E) وفيتامينات المجموعة (بB)، علاوة على حمض الفوليك واللثين والماغنسيوم والصديوم والبوتاسوم والزنك والحديد والبورون والسيلينيوم، إلا أن الكثير من الطلاب يعاني من نقص في تلك المغذيات.

يمثل نقص الفيتامينات عائقا للتعلم، وهو مشكلة كبيرة وخطيرة للمعلمين، وخاصة مع من يعملون مع أطفال المدارس ذوي الدخل المنخفض، هو الذين أكثر تعرضا لنقص التغذية حيث يذكر جيه مينيجر 1984 أن أي نظام غذائي أقل من 2100 سعر حراري لا يحتوي على الكم الكافي من الفيتامينات والمعادن والعناصر الاساسية إلا إذا حدد الطبيب لأي شخص مريض غير ذلك، وبعد ثلاثة أشهر من النظام الغذائي القليل السعيرات الحرارية تضعف الذاكرة لدى الطلاب، وتزيد معدلات الخطأ والبطئ والفزع والتوتر والروح العدائية، وبالتالي النقص الطفيف في الفيتامينات يؤثر على أداء التعلم.(المرجع السابق، ص88).

نظرا لأهمية التغذية وعلاقتها بالتعلم لذا وجب على المعلم ان يناقش مع متعلميه العلاقة بين التغذية الجيدة وقوة الدماغ، كما يشجع على تناول طعام طازج غير مطهي من فاكهة وخضروات طازجة وأن يتناولوا وجبات منتظمة تشمل البروتين والألياف.

إن التغذية لا تخص المتعلم فقط فكذلك المعلم مطالب بهذا لنفسه، لأنه قد ينخفض أداء المعلم والمتعلم نتيجة نقص التغذية التي تحفز الانتباه والاداء الذهني، كما يمكن إضافة مكملات الفيتامينات إلى الطعام، وأفضل أنواع الطعام الذي يحتوي على البروتين الذي نجده في: البيض، السمك، الديك الرومي والدجاج والزبادي... كما يمكن الاقلال من الدهون المشبعة ويعمل كذلك على الحفاظ على مستويات الحديد عادية، وينصح لتناول على فترات متقاربة لأن الاوقات الطويلة بين الوجبات تسبب انعدام التركيز والانتباه، كما يسمح للتلاميذ والطلاب احضار الطعام المناسب في الفصل، ويجب التأكد بأن المتعلمين لديهم عدة فرص لتناول وجبات خفيفة مغذية طوال اليوم، كما يمكن زرع التوعية والتحدث معهم عن الدور الايجابي الذي تلعبه التغذية في الاداء الدراسي وفي التفكير والاختبارات لأنه غالبا لا يحتوي النظام الغذائي للطلاب والمتعلمين على المغذيات المهمة التي يجب أن تتوفر في الغذاء المعتاد.

الخلاصة:

بعد التطرق إلى الأدبيات التربوية لنظرية التعلم المستند إلى الدماغ، والتي تنص على أن التعلم يستجيب لخصائص الدماغ، والذي يركز على حضور الذهن مع وجود الاستثارة العالية والمتعة والمرح وغياب التهديد، وتعدد وتداخل الأنظمة في العملية التعليمية التعلمية.

ويعتبر الدماغ كغيره من الانظمة الحيوية هو نظام يتكون من أجزاء ولكنه يعمل ككل، لذا فالحديث عن الدماغ الحيوي يحيلنا بالدرجة الاولى إلى الحديث عن البيئة النفسية للتعلم، فهي تكمن في نوع العلاقة التي تربط المعلم مع المتعلم فلها أهمية قصوى لبيئة التعليم، فإذا لم تتميز تلك العلاقة بالثقة والامان والاحترام المتبادل ستتوقف عملية التعلم، فهذه العلاقة تمثل نقطة الارتكاز الأولى لتحقيق تعلم فعال، تليها المرحلة الثانية المتمثلة في البيئة الصفية المناسبة للتعلم التي تستجيب لخصائص الدماغ.

وأهم استراتيجيات التي تتماشى وهذا المبدأ هو شرب الماء لأن الجفاف يعوق التعلم، وكذا التمرينات الحركية الدماغية فهي تزيد الانتباه وتعطي الحيوية والنشاط، تليها وجود نباتات في الفصل الدراسي لأنها تعمل على تنقية الجو وثبت تأثيرها الايجابي في التعلم، وأيضا البيئة

المضاءة ويا حبذا الضوء الطبيعي له تأثير مدهش ويدوم طويلا، إضافة إلى التغذية الصحية، لأنه قد حان الوقت لأخذ تغذية المتعلمين مأخذ الجد، وهي خطوة مهمة في تحسين قائمة الطعام المدرسي، وتوفير ماكنات بيع الطعام الصحي، وعلى المعلم والادارة التعليمية أن تكون على وعي بما يتطلبه التعليم اليوم والذي يكون مبنيا على طبيعة الدماغ البشري.

قائمة المراجع:

- أحمد محمد الزغبي (2015)، أثر التعلم المستند إلى الدماغ في تنمية مهارات التفكير التأملي لدى التلاميذ الموهوبين في الصف الثامن، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد 16، جامعة البلقاء التطبيقية ، عمان.
- اريك جينسن (2008) التعلم المبني على العقل العلم الجديد للتعليم والتدريب، (مترجم) ط1، مكتبة جرير، عمان.
- اريك جينسن (2007) التدريس الفعال، (مترجم)، ط3، مكتبة جرير، عمان
- تغريد البداوي(2010) فاعلية برنامج تعلمي تعليمي مبني على التعلم المستند إلى الدماغ في التحصيل ودافعية لدى طلبة الصف الخامس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البلقاء التطبيقية ، عمان.
- ذوقان عبيدات (2007) الدماغ والتعليم والتفكير، ط1 ، دار الفكر، عمان.
- سوسا .د (2009) العقل البشري وظاهرة التعلم ، ترجمة خالد العامري، ط1 دار الفارق للنشر والتوزيع، مصر.
- صلاح الدين عرفة محمود(2006)، تفكير بلا حدود رؤى تربوية معاصرة في تعليم التفكير وتعلمه، ط1، عالم الكتب، القاهرة.
- ناديا سميح السلطي ، محمد عودة الريماوي (2009) التعلم المستند إلى الدماغ، ط2، دار المسيرة ، عمان.

- Awolola,s (2011) Effect of brain –based learning strategy on students achievement in senior secondary school mathematics in Oya state, Nigeria, Cypriot Journal of Educational Scienser.
- Dennison. P §Dennison, G, (2010) Brain gym teachr’s Edition (revised edition) ventura CA : Edu Kinesthetics, Inc.
- Dennison. P §Dennison, G, (1992) le movement de l’apprentisage brain gym, édition le souffle d’or,
- Dennison. P §Dennison, G, (1996) brain gym apprendre a bouger bouger pour appendre, ed originale américaine.
- Hannaford,JC, (1998) la gymnastique des neurones le cerveau et l’apprentissage, ed ifka.

ميدانية في تقييم كفاءة خدمات التعليم الابتدائي ودوره في التنمية الريفية في ناحية اليوسفية وفق نظام arc map GIS

م د. وليد محمود صالح القرة غولي، دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية

المستخلص: يحتل اقليم اليوسفية الثانوي موقعا متميزا في الجزء الجنوبي الغربي لمحافظة بغداد والذي يحتوي على امكانيات طبيعية وبشرية تتجسد بنهر الفرات ووفرة الاراضي الصالحة للزراعة والمواد الاولية اللازمة للصناعات الغذائية فضلا عن الامكانات المتمثلة بالأيدي العاملة والخبرات . وتعد الحركة الفاعلة من هذه النشاطات لتواجد المستقرات البشرية بجانبها وتعتبر العلاقات المكانية والوظيفية للتعليم الابتدائي في تحليل كفاءة التوزيع المكاني المدارس الابتدائية لكون أعتمادها على الامكانيات البشرية لغرض الوصول الى استنتاجات تطبيقية في اكتشاف العلاقات بين المستقرات والاقليم من حيث وظائفها ومواقعها وتباعدها وحجومها وتوزيعها حسب الامكانيات البشرية . لابد من اعطاء رؤية لتحديد حجم السكان من خلال الاسقاطات السكانية وتفعيل النظرية الوظيفية للتعليم الابتدائي من خلال تحديد أساليب المعوقات والقدرات التي تعتمد عليها التواجد السكاني في منطقة الدراسة وكذلك حساب التنمية البشرية المستقبلية من خلال العلاقات المتبادلة لأقليم اليوسفية الثانوي في تحديد معايير التعليم الابتدائي المحلية العراقية في المناطق الريفية وبذلك يكون في انتهاء البحث الى صياغة جملة من الاستنتاجات والتوصيات التي جاءت منسجمة مع اهداف البحث .

الكلمات المفتاحية :الامكانات الطبيعية والبشرية ,التوزيع المكاني ,الاستنتاجات التطبيقية ,تحليل كفاءة ,Arc Map

المقدمة : يعد التعليم الخطوة الأولى والأساسية بأتجاه تطوير الموارد البشرية في اي اقليم او مكان وهو الخطوة الرئيسية بالاتجاه الصحيح والتخلص من مظاهر التخلف الاجتماعي التي تقف حائلاً أمام تطبيق العمليات التنموية في المناطق الريفية بشكل عام فعندما تكون هناك خدمات

تعليمية وفي مختلف المراحل قبل الابتدائية والابتدائية والثانوية وضمن المعايير التعليمية المتبعة وبكفاءة عالية سوف تكون النتائج جيدة ومشجعة في القضاء على مختلف مظاهر التخلف ومن ثم يصبح من السهولة القيام بأدخال برامج تنموية في مثل هذه المناطق وتحقيق نسبة نجاح جيدة وبكفاءة عالية . [1]

مشكلة البحث تكون في اتجاهين :

الاتجاه الاول :

1- التوزيع المكاني الغير متجانس للمدارس الابتدائية على نسب حجوم الاسقاطات السكانية.

الاتجاه الثاني :

2- استيعابية اعداد المدارس الموجودة في منطقة الدراسة للحجوم العمرية للتعليم الابتدائي.

اهدف البحث :

يتمحور هذا البحث في عدة اهداف

1- بيان التوزيع المكاني للمدارس الابتدائية.

2- تحليل كفاءة التوزيع من خلال استخدام الجار الاقرب والانحراف المعياري وكذلك Arc Map gis.

3- استخدام الاستنتاجات التطبيقية للعلاقات الوظيفية بين نسب السكان واعداد المدارس للتعليم الابتدائي.

4- بيان الكفاءة المستقبلية للتعليم الابتدائي حسب اسقاطات السكانية المستقبلية.

الحدود المكانية والزمانية للبحث :

أ- الحدود المكانية :

تتمثل الحدود المكانية للبحث بما يأتي :

1- الحدود الفلكية:

1( ) – وليد محمود صالح عبد , التنمية الريفية في ناحية اليوسفية , اطروحة دكتوراه (غير منشورة) , كلية التربية للعلوم الانسانية , جامعة الانبار , 2019م , ص 204 .

تقع منطقة الدراسة بين دائرتي عرض (″00 ′01 °33– ″00 ′14 °33) شمالاً وخطي طول (″00 ′01 °44 – ″00 ′18 °44) شرقاً [1] .

2- الحدود الإدارية :

تعد منطقة الدراسة (ناحية اليوسفية) إحدى نواحي قضاء المحمودية التابعة ادارياً إلى محافظة بغداد، ينظر الخريطة (1)، يحدها من الشرق كل من ناحية الرشيد وقضاء الكرخ، ومن الشمال كل من قضاء الكرخ وقضاء ابي غريب، ومن الشمال الغربي كل من قضاء ابي غريب وحدود محافظة الأنبار ويفصل بينهما مجرى نهر الفرات ومن الجنوب كل من مركز قضاء المحمودية وناحية اللطيفية، ومن الجنوب الغربي ناحية جرف الصخر التابعة لمحافظة بابل، وأيضاً يفصل بينهما مجرى نهر الفرات، ينظر الخريطة (2) .

3- الحدود الطبيعية :

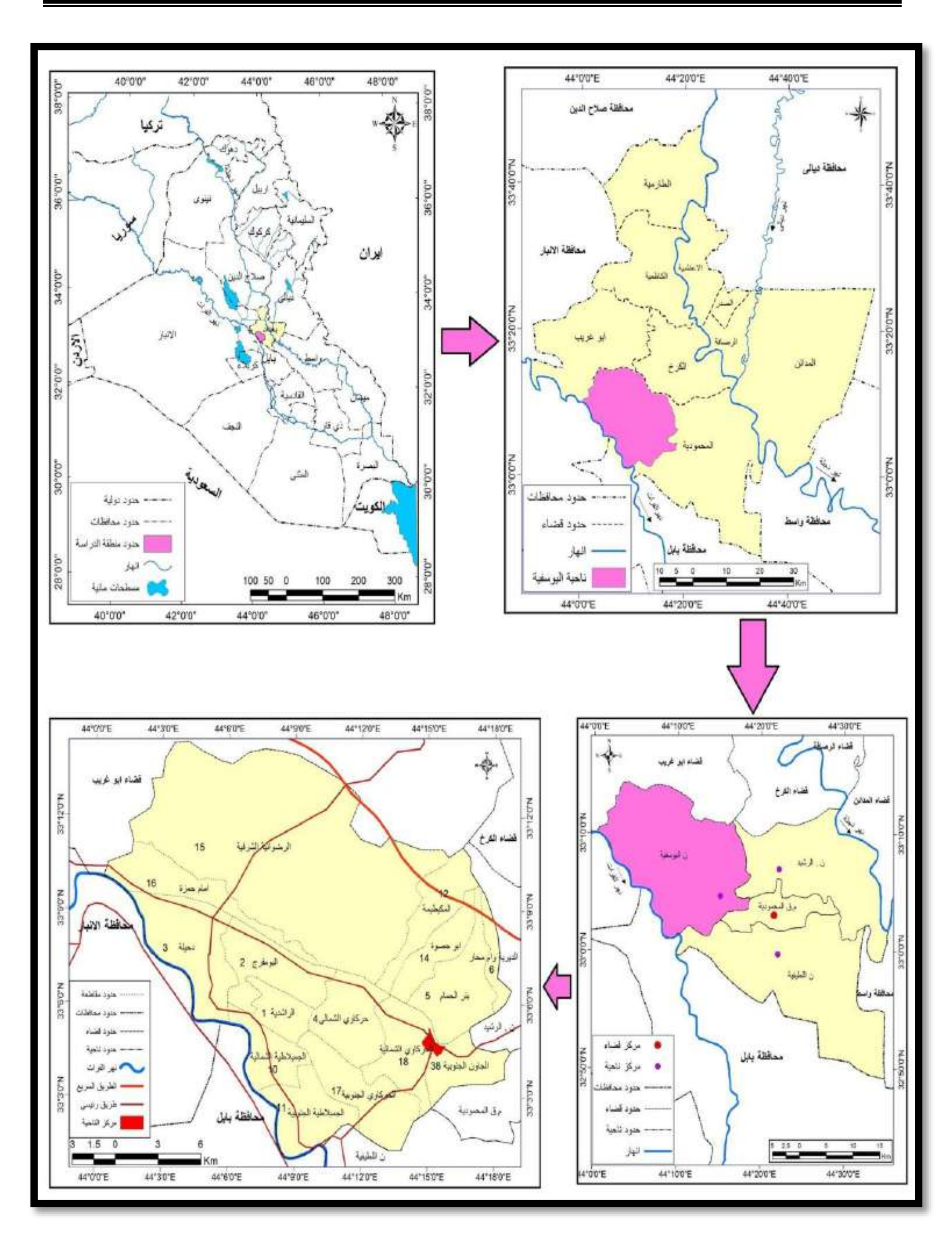
تقع منطقة الدراسة ضمن منطقة السهل الرسوبي العراقي ، الواقعة على الجانب الايسر من مجرى نهر الفرات ، إذ بلغت عدد مقاطعات منطقة الدراسة (15) مقاطعة، بلغت المساحة الكلية لمنطقة الدراسة (164071) دونم . وبلغت نسبة مساحة منطقة الدراسة إلى قضاء المحمودية هو (30.6%) أما نسبة منطقة الدراسة إلى محافظة بغداد بلغت ما نسبته (9%). أما نسبة منطقة الدراسة إلى عموم مساحة العراق بلغت ما نسبته(0.09%) [2] .

ب- الحدود الزمانية :

تتمثل الحدود الزمانية للدراسة بعامي 2017م – 2018 م، كواقع حال يمكن أن تنطلق منه الدراسة .

1() – وزارة الصناعة والمعادن الشركة العامة للمسح الجيولوجي والتعدين , بيانات غير منشورة , 2014 م .

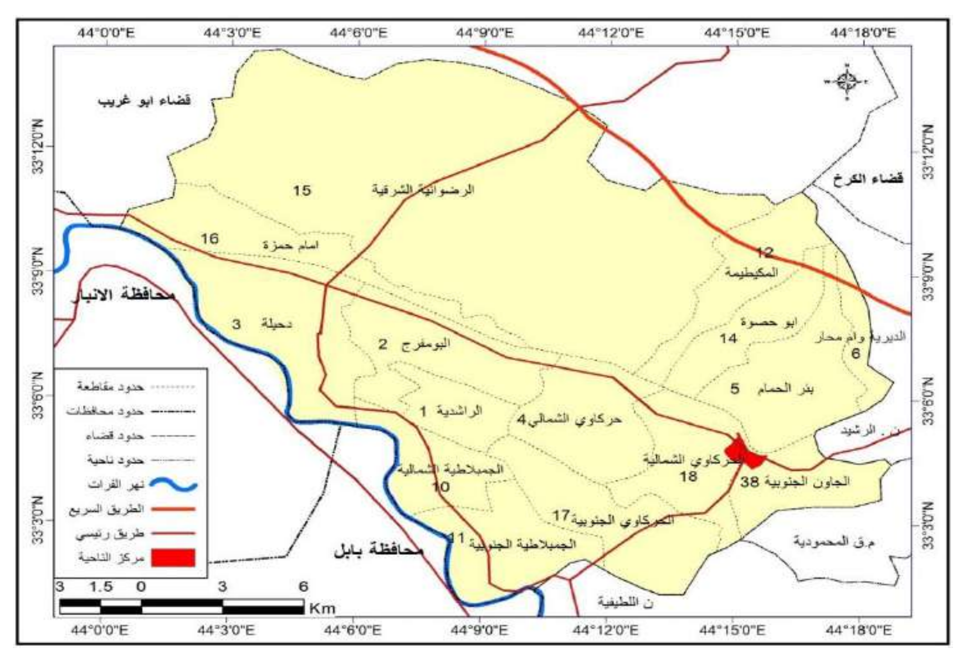
2() _ وليد محمود صالح عبد , التنمية الريفية في ناحية اليوسفية , اطروحة دكتوراه , مصدر سابق , ص 3 .



خريطة (1) موقع منطقة الدراسة من العراق ومحافظة بغداد

المصدر: 1. وزارة الموارد المائية في الهيئة العامة للمساحة، خريطة العراق الإدارية مقياس،1 : 000 1000 لسنة 2010.

2. منطقة زراعة ناحية اليوسفية، خريطة مقاطعات ناحية اليوسفية مقياس 250 000 : 1 لسنة 2010 م.



خريطة (2) مقاطعات منطقة الدراسة

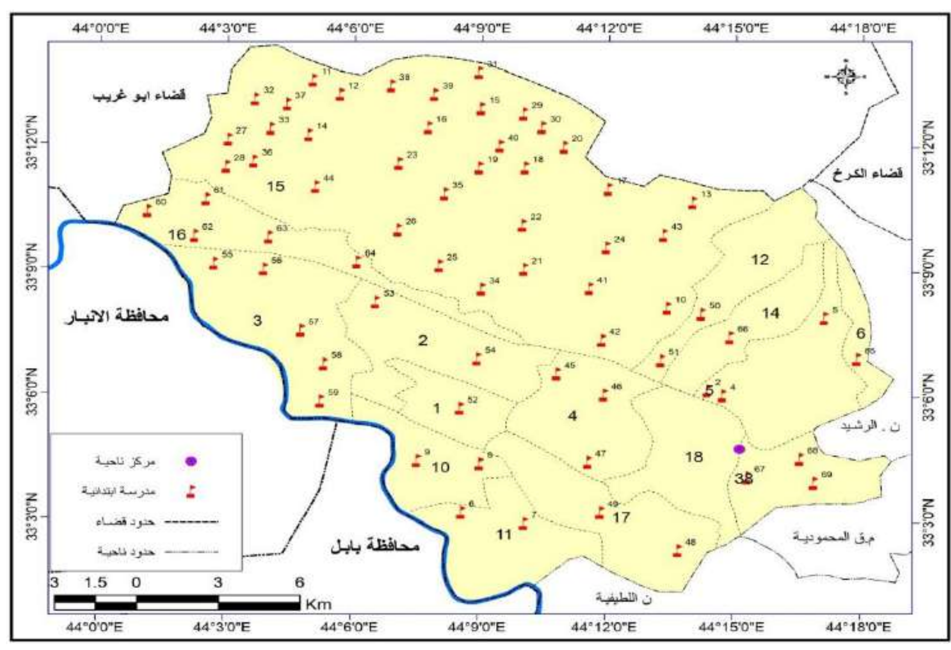
المصدر : شعبة زراعة اليوسفية خريطة مقاطعات ناحية اليوسفية، مقياس1 : 000 250 لسنة 2010م.

اولاً : واقع التعليم الابتدائي في ناحية اليوسفية

جدول (1) المدارس الابتدائية في مقاطعات منطقة الدراسة لسنة 2018م.

ت	اسم المقاطعة	عدد المدارس	عدد التلاميذ		المجموع	عدد المعلمين		المجموع	عدد القاعات
			ذكور	اناث		ذكور	اناث		
1	الرشدية	1	–	–	–	4	2	6	–
2	البو مفرج	2	357	265	622	21	15	36	16
3	دحيلة	6	1408	1169	1648	67	37	68	73
4	حركاوي شمالي\4	2	111	89	200	16	7	23	8
5	بئر الحمام	3	533	466	999	18	26	44	29
6	ديرية ومحار	1	216	185	401	7	7	14	10
7	الجمبلاطية الشمالية	2	431	355	786	19	17	36	21
8	الجمبلاطية الجنوبية	2	523	417	940	30	10	40	27
9	مكيطيمة	4	654	558	1212	39	34	73	41
10	ابو حصوة	1	270	244	514	11	10	21	12
11	الرضوانية الشرقية	29	5535	3796	9331	239	246	485	277
12	امام حمزة	3	413	387	800	19	13	32	25
13	الحركاوي الجنوبي	2	734	640	1374	19	15	34	30
14	الحركاوي الشمالي 18\	–	–	–	–	–	–	–	–
15	الجاون الجنوبي	3	424	320	744	34	13	47	20
المجموع		61	11609	8891	20500	543	452	995	605

المصدر: من عمل الباحث، بالاعتماد على وزاره التربيه، تربيه الكرخ الثانيه، قسم الاحصاء التربوي، بيانات غير منشوره، 2018 م.



خريطة (3) التوزيع الجغرافي للمدارس الابتدائية في منطقة الدراسة لسنة 2018

المصدر: الجدول (1).

ومن هذا يتضح ان معدل توزيع المدارس على مقاطعات منطقة الدراسة يتماشى مع نمط توزيع السكان وهذا يعد مؤشر جيد على كفاءة توزيع المدارس الابتدائية إذ بلغت مجموع المدارس (61) مدرسة ابتدائية وكان عدد تلاميذها لعام 2018م هو (20500) تلميذ وتلميذة وكان عدد المعلمين (995) معلم ومعلمة.

ان معدل ما يصيب المدرسة الوأحدة من التلاميذ هو (336) تلميذ وتلميذة وهي تعد ضمن حدود المعيار التربوي، وان معدل تلميذ / المعلم هو (21) تلميذ/ معلم وهو أعلى من المعيار بتلميذ وأحد، في حين كان معدل تلميذ / شعبة هو (34) تلميذ / شعبة وهو أعلى المعيار بأربع تلاميذ للشعبة الوأحد، الا ان هذه المعدلات تتباين من مقاطعة الى آخرى ضمن حدود منطقة الدراسة فمن خلال الجدول (2) يتبين ان معدل حصة المدرسة الواحدة من التلاميذ في منطقة الدراسة

وذلك للعام الدراسي 2018 – 2019 م بلغت (336) تلميذ / مدرسة وهي ضمن المعيار التخطيطي المحلي لوزارة التربية العراقية، حيث نجد أعلى المؤشرات هو في مقاطعة الحركاوي الجنوبي (17) وهو (687) تلميذ للمدرسة الواحدة وهو أعلى بكثير من المعيار التربوي ثم تليها مقاطعة ابو حصوة (14) بمعدل (514) تلميذ وهو ايضاً أكثر بكثير من المعيار التربوي ثم تليها في المرتبة الثالثة مقاطعة الجمبلاطية الجنوبية (11) إذ بلغت (470) تلميذ في المدرسة الوأحدة وهو ايضاً أعلى من المعيار التربوي.

جدول (2)

المؤشرات التربوية للمرحلة الابتدائية في مقاطعات منطقة الدراسة للعام 2017–2018م

ت	اسم المقاطعة	المدارس	عدد التلاميذ	عدد المعلمين	عدد الشعب	تلميذ\ مدرسة	تلميذ\ معلم	تلميذ\ شعبة
1	الرشدية	1	–	6	–	–	–	–
2	البو مفرج	2	622	36	16	311	17	39
3	دحيلة	6	1648	68	73	275	24	23
4	حركاوي شمالي\4	2	200	23	8	100	9	25
5	بئر الحمام	3	999	44	29	333	23	34
6	ديرية ومحار	1	401	14	10	401	29	40
7	الجمبلاطية الشمالية	2	786	36	21	393	22	38
8	الجمبلاطية الجنوبية	2	940	40	27	470	24	35
9	مكيطيمة	4	1212	73	41	303	16	30
10	ابو حصوة	1	514	21	12	514	25	43
11	الرضوانية الشرقية	29	9331	485	277	321	19	34
12	امام حمزة	3	800	32	25	266	25	32
13	الحركاوي الجنوبي	2	1374	34	30	687	40	46

14	الحركاوي الشمالي/18	–	–	–	–	–	–	–
15	الجاون الجنوبي	3	744	47	20	248	16	37
المجموع		61	20500	995	605	336	21	34

المصدر/ من عمل الباحث بالاعتماد على وزاره التربيه، بغداد، تربيه الكرخ الثانيه، قسم الاحصاء التربوي، بيانات غير منشوره، 2018 م.

اما أقل مؤشر فنجده في مقاطعة الحركاوي الشمالي (4) وعدد الطلبة هو (100) تلميذ للمدرسة الواحدة وهو أقل من المعيار التربوي بكثير.

اما مؤشر (تلميذ / معلم) فكان أعلى المعدلات هو في مقاطعة الحركاوي الجنوبي (17) إذ بلغ (40) تلميذ / معلم وهو أكبر من المعيار التربوي ثم تليها مقاطعة ديرية ومحار (6) وهو (29) تلميذ / معلم وهو أعلى من المعيار التربوي ثم تليها في المرتبة الثالثة كل من مقاطعتي ابو حصوة (14) وكذلك مقاطعة الامام حمزة (16) بمعدل (25) تلميذ / معلم وهي أعلى من المعيار التربوي.

اما أقل معدل تلميذ / معلم فهو في مقاطعة الحركاوي الشمالي (4) حيث كانت (9) تلميذ / معلم وهو أقل من المعيار التربوي. وهذا يعني كفاءة الخدمات التعليمية في بعض المقاطعات وعدم كفاءته في مفاطعات آخرى.

اما مؤشر (تلميذ / شعبة) إذ بلغت أعلى المؤشرات في مقاطعة الحركاوي الجنوبي (17) وهو (46) تلميذ / شعبة وهو أعلى بكثير من المعيار التربوي، اما المرتبة الثانية فهي مقاطعة ابو حصوة (14) وهو (43) تلميذ / شعبة وهو ايضاً أعلى بكثير من المعيار التربوي وفي المرتبة الثالثة ديرية ومحار (6) وهو (40) تلميذ / شعبة وهو ايضاً أعلى بكثير من المعيار التربوي، اما أقل معدل فهو في مقاطعة الحركاوي الشمالي (4) وهو (25) تلميذ / شعبة وهو أقل بقليل من المعيار التربوي وهذا دليل على عدم كفاءة الخدمات التعليمية في قسم من هذه المقاطعات،

وقد بلغ المعدل العام هو (34) تلميذ / شعبة هو أعلى من المعيار التربوي، ويعود السبب في ارتفاع عدد التلاميذ الى قلة المدارس الابتدائية في قسم من هذه المقاطعات فضلاً عن ذلك زيادة عدد السكان وكذلك تباعد المدارس الواحدة عن الأخرى بين قرية واخرى، إذ يقطع التلاميذ مسافات بعيدة للوصول الى اقرب مدارس ابتدائية في المقاطعات المجاورة وتصل هذه المسافات الى عدة كيلومترات وهذا أحد الأسباب الي تؤدي عزوف الكثير من العوائل الى ارسال ابنائها الى المدارس ويبقى يعمل في المزرعة دون ارساله الى المدرسة.

جدول (3) يوضح

المعايير التعليمية المحلية العراقية

المرحلة الدراسية	طالب / مدرسة	طالب / معلم	طالب / شعبة	المسافة / م من البيت الى المدرسة	الوقت (دق) من البيت الى المدرسة	نسمة / مدرسة
الابتدائية	360	20	30	800-400	10-5	2500
الثانوية	550	20-18	30	1600-800	20-10	5000

المصدر: جمهورية العراق، وزارة التربية، المديرية العامة للتخطيط التربوي، تقرير خطة التنمية التربوية للأعوام 1994 – 2005، ص 82-605

نظرية المجاور الأقربNearest neighbor theory: تعتمد النظرية على الطرق الرياضية (الكمية) ويجب إن تقاس بدقة وحذر وكذلك تعتمد تحليل النتائج على قدرة ومهارة الباحث في الكشف عن أنماط التوزيع المكاني. وتعتمد النظرية في أسلوب التحليل على قياس المسافة المستقيمة التي تفصل بين المستقرات والمدن المجاورة، حتى يتم قياس المسافات بين جميع المدن التي تتشكل بها منطقة(الإقليم) الدراسة على شكل مجاميع التي ترتبط بها المدن، وذلك بالاعتماد

على خريطة ذات مقياس موحد لكل من المسافة والمساحة لغرض استخراج معدل المسافة الحقيقية التي تفصل بين المدن[1]، وعلية تم استخدام طريقة المجاور الأقرب في كثير من البحوث والدراسات كما استخدمت أيضا في الدراسات العالمية والعربية فضلاً عن إن استخدام هذا الأسلوب في تحليل نمط التوزيع المكاني للمستقرات أو المدن لا يأخذ بنظر الاعتبار الحجم السكاني للمدن. وفي عام 1962 تم استخدام طريقة تحليل المجاور الأقرب من قبل الباحث الجغرافي ليسلي كنك King Leslie في تحليل نمط التوزيع لعدد من المدن في الولايات المتحدة الأمريكية وكان نمط التوزيع لهذه المدن هو النمط غير منتظم وذو توزيع عشوائي[2].

أن نظرية المجاور الأقرب قد تظهر في عدد من الصيغ الرياضية، ولكن أكثر الصيغة الرياضية المعتمدة والتي ستعتمد في هذا البحث في تحليل نمط التوزيع المكاني للمستقرات أو المدن[3]:

أن هذه الصيغة الرياضية تتلاءم مع تحليل نمط التوزيع ذو البعدين(Two– Dimensions)

$$L= 2D\sqrt{\frac{N}{A}}$$

حيث: L= المجاور الأقرب

D= معدل المسافة الحقيقية (المستقيمة) الفاصلة بين المستقرات أو المدن

N= عدد المستقرات أو المدن

A= مساحة منطقة البحث(الاقليم)

إن المعيار الكمي لنمط التوزيع المكاني لأسلوب تحليل المجاور الأقرب يعتمد على مقياس قيمة(L) التي تنحصر قيمته بين(0– 2.149) من خلال هذه القيم تتحدد **ثلاث أنماط رئيسة** للتوزيع المكاني للمدن(وتضم بداخلها أنماطاً ثانوية) هي:

1- الجنابي, د. صلاح حميد ، جغرافية الحضر، مجلة الجمعية الجغرافية، المجلد 16، 1980، ص419.

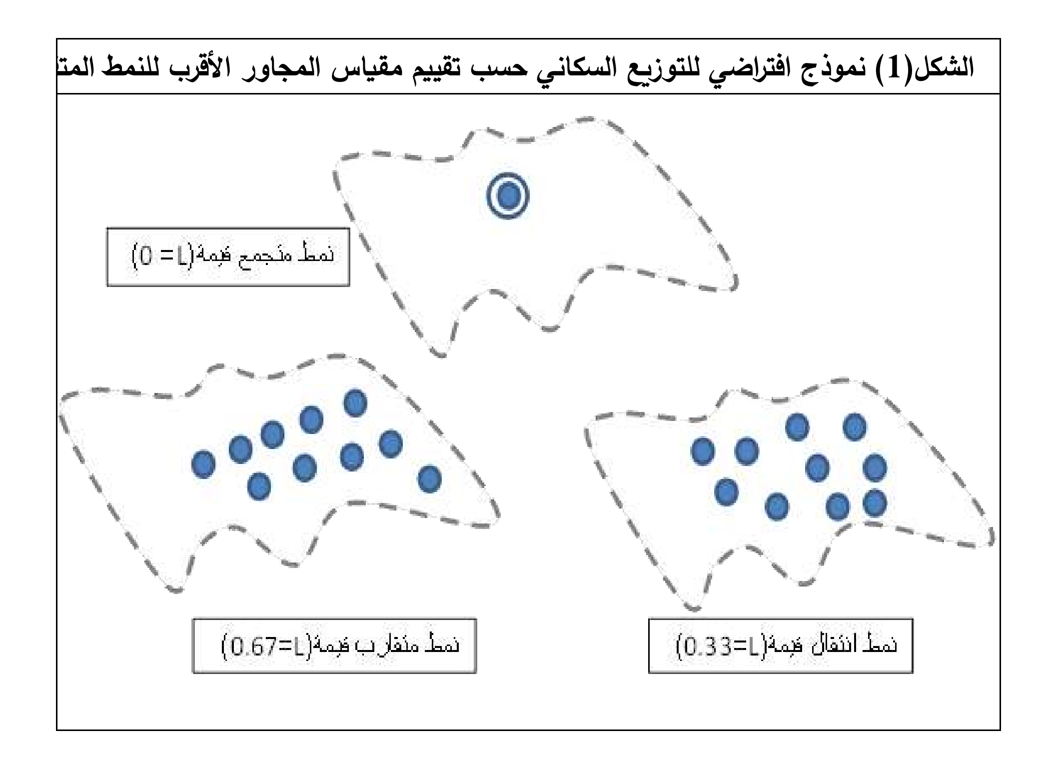
2-Peter Haggett , Locational analysis in human geography, London, 1968, p91.

3-مضر خليل العمري، كتاب الإحصاء الجغرافي، مطبعة جامعة البصرة، 1989، ص320.

1- النمط المتقارب(المتجمع)Clustered Pattern: تكون قيمة(L) بين(0- 1) مميزات هذا النمط يكون توزيع النقاط متقارباً وذو مسافات قصيرة ويأخذ هذا النمط صورة التوزيع المنتظم أو غير المنتظم وقد يترك مسافات خالية من السكان ويضم في داخلة ثلاثة أنماط ثانوية[1]: أنظر الشكل(1)

1. نمط متجمع تكون قيمة(L) تساوي صفر يكون توزيع النقاط بعضها فوق بعض وذات مسافة صغيرة يأخذ صفة(التراكيب).
2. نمط انتقال تكون قيمة(L) بين(0- 0.50).
3. نمط متقارباً قيمة(L) تقترب من(0.50) إلى أقل من(1) لذلك تنفرج المسافة بين نقاط التوزيع ويبتعد عن التكتل.

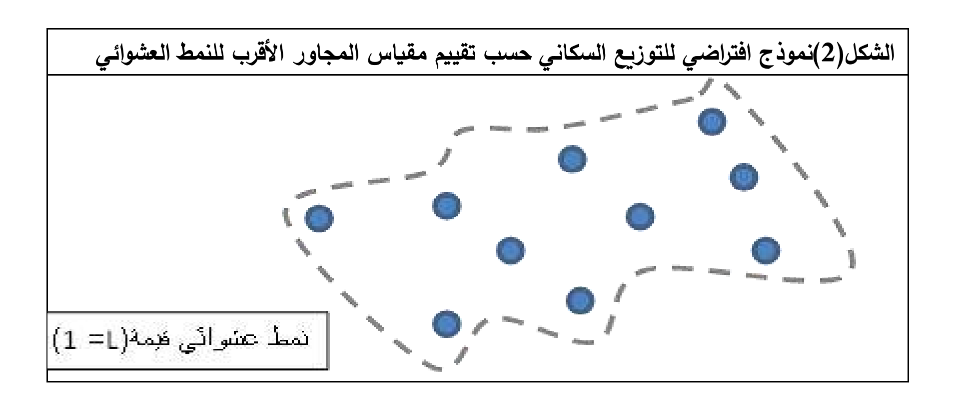
الشكل(1) نموذج افتراضي للتوزيع السكاني حسب تقييم مقياس المجاور الأقرب للنمط المتـ



1- الجنابي, د. صلاح حميد ، جغرافية الحضر، مصدر سابق، ص492.

2 – النمط العشوائي Random Pattern: هو المعيار المقارن بين التوزيعات الأخرى لإيجاد مدى التقارب والابتعاد بين النقاط وان قيمة(L=1) ويضم أنماطاً ذات توزيع منتظم وغير منتظم ويحمل صفة التجمع مع عدم انتظام المسافات بين النقاط كما موضح بالشكل(2)[1].

الشكل(2)نموذج افتراضي للتوزيع السكاني حسب تقييم مقياس المجاور الأقرب للنمط العشوائي

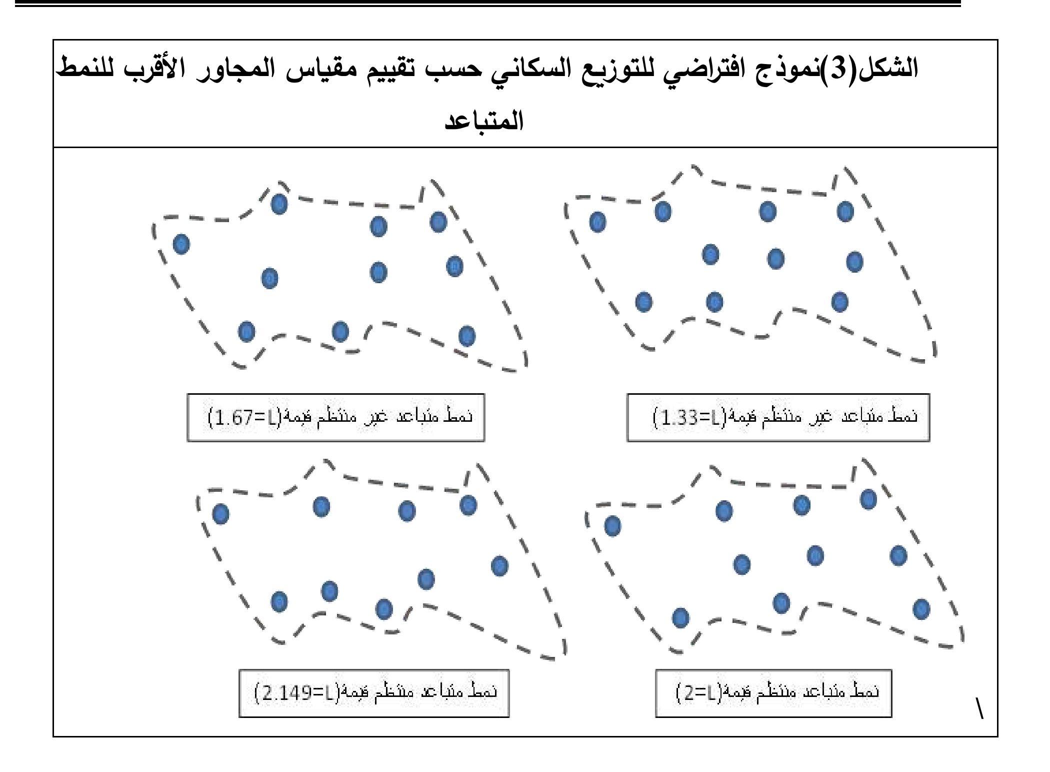


3 – النمط المتباعد Uniform Pattern: تنحصر قيمة(L)في هذا النمط بين(أكثر من 1– 2.149) ونقاط هذا النمط تكون متناثرة أو مبعثرة ويضم بداخله أنماط ثانوية حسب قيمة(L) . إذا كانت قيمته ما بين(أكثر من1– واقل من2) يكون النمط غير منتظم والمسافات متباعدة وغير منتظمة ،أما أذا كانت قيمة (L) من(2 إلى 2.149) يكون نمط التوزيع يأخذ صورة الشكل السداسي الذي اقترحه كريستالر(لتراتب مراكز المستقرات وتوزيعها المكاني في نظرية الأماكن المركزية Central places theory). وضمن هذا النمط يكون التباعد في أعلى حالة والمسافة منتظمة الأبعاد(هذا النمط يستخدم لأغراض الموازنة لا يوجد على سطح الأرض)لاحظ الشكل(3)[2].

1- محمد شرتوح الرحبى، كفاءة التوزيع المكاني لمراكز الاستيطان في محافظة نينوى، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الأداب، جامعة بغداد، 1990، ص60.

2- صالح عبدالله غنيمات، التوزيع المكاني للمراكز السكانية في محافظة البلقاء، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأنبار، 1998، ص150.

الشكل(3)نموذج افتراضي للتوزيع السكاني حسب تقييم مقياس المجاور الأقرب للنمط المتباعد



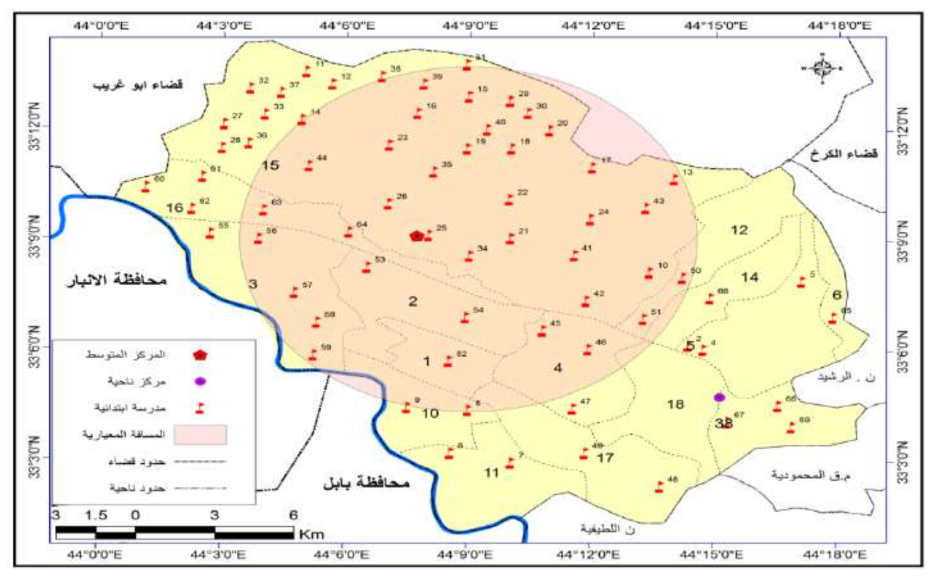
-7-5- تحليل كفاءة التوزيع المكاني المدارس الابتدائية

من خلال تحليل نتائج للمسافة المعيارية واستخدام برنامج Arc Map 10 في عملية التحليل يظهر ان (41) مدرسة ابتدائية تقع داخل الدائرة وكما في الخريطة (4) اي ما نسبته (62.1) % وان (25) مدرسة ابتدائية تقع خارج الدائرة المركزية اي ما نسبته (37.8) % وهذا مؤشر على ان المدارس الابتدائية في منطقة الدراسة تميل الى التشتت اي انها تأخذ النمط المبعثر.

أما بالنسبة الى قرينة الجار فيتبين من الشكل (4) قيمتها هي (1.34) اي انها اخذت النمط (المشتت) المبعثر.

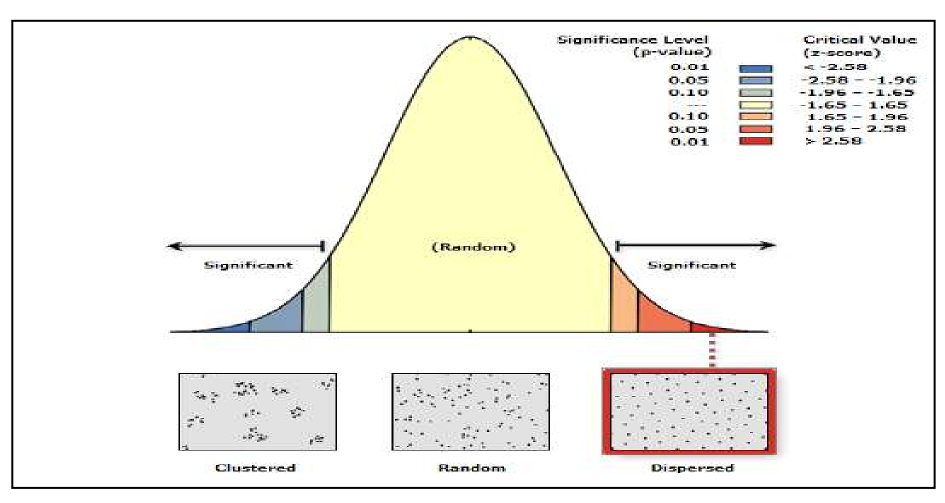


خريطة (4) تمثل الانحراف المعياري لمدارس التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة



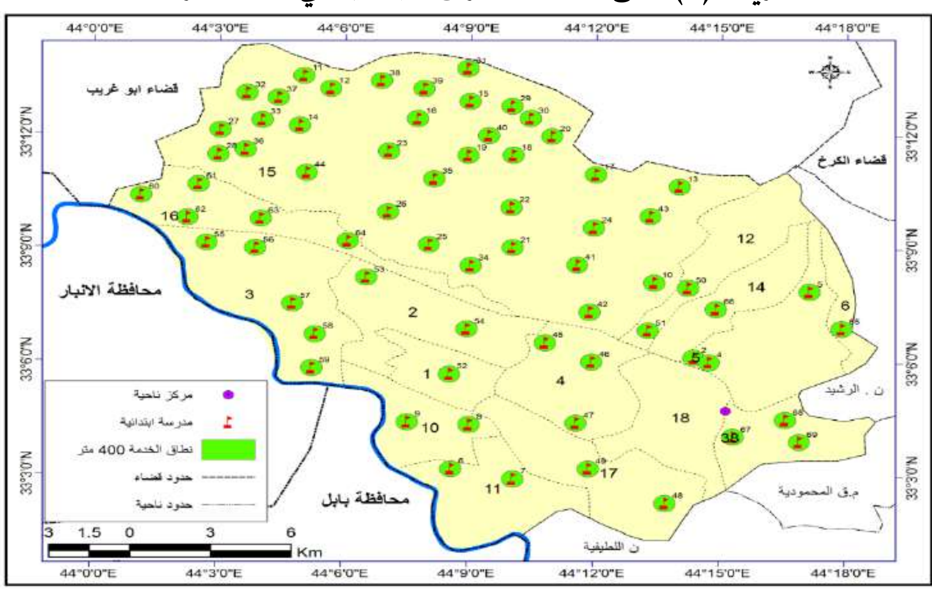
المصدر : باستعمال برنامج Arc Map 10،3

شكل **(4)** يوضح درجة الجار الاقرب لواقع مدارس التعليم الابتدائي في منطقة الدراسة



المصدر: من عمل الباحث باستعمال برنامج Arc Map 10،3

خريطة (5) نطاق الخدمة للمدارس الابتدائية في منطقة الدراسة



المصدر : من عمل الباحث باستعمال برنامج Arc Map 10،

ومن خلال استخدام برنامج Arc Map 10 في عملية تحليل نطاق الخدمة للمدارس الابتدائية في اقليم اليوسفية الثانوي تبين ان هناك مساحات واسعة من هذا الاقليم هي خارج نطاق الخدمة التربوية وهي غير مخدومة وهذا يعد خلل تخطيطي تربوي واضح بان هناك حجوم سكانية كبيرة لا يستهان بها غير مخدومة من الناحية التربوية وهذا ينعكس سلبا على المستوى العلمي في هذا الاقليم وبالتالي ينعكس سلبا على عمليات تحقيق التنمية الريفية في هذا الاقليم الثانوي وهي تقع خارج نطاق الخدمة للمدرسة وكما هو موضح في خريطة (5) وهذا يعد معوق ومشكلة حقيقية أمام تقديم الخدمات التعليمية يضاف الى ذلك الحوادث المرورية للتلاميذ اثناء المسير او العبور للشارع، ومن المدارس التي تقع ضمن هذا المعيار هي التضامن، البشير، الهلال، السالم أما بقية المدارس فهي اكبر من المعيار التربوي بكثير.

ملخص تحليل كفاءة التوزيع

1- قد تبين من خلال الدراسة ان المدارس الابتدائية تنتشر في معظم مقاطعات منطقة الدراسة ويتباين هذا العدد من مقاطعة الى اخرى وكان العدد الكلي (61) مدرسة .

2- اكبر عدد لوجود المدارس الابتدائية تتركز في مقاطعة الرضوانية الشرقية وهو (29) مدرسة ابتدائية .

3- وجود مدرسة ابتدائية واحدة في مقاطعة الرشدية وهي غير مفعلة .

4- عدم وجود اي مدرسة ابتدائية في مقاطعة الحركاوي الشمالي مما ادى الى ضعف التعليم فيها وزيادة الامية وبالتالي انتقال الطلبة الى مدارس المقاطعات الاخرى .

5- قد تبين من الدراسة ان هناك عدد من المدارس الابتدائية في منطقة الدراسة تعاني من عدم مطابقة هذه المدارس للمعايير التربوية العراقية من حيث نوعية الابنية وكذلك بعد مسافة الوصول وكذلك عدد الطلبة في المدرسة الواحدة او الصف الواحد وكذلك معيار طالب / معلم وهذا يشكل خلل واضح في العملية التعليمية .

6- من خلال تحليل المسافة المعيارية للمدارس الابتدائية تبين انها تميل الى التشتت اي انها تأخذ النمط المبعثر .

7- أما فيما يخص نطاق الخدمة هناك مساحات كبيرة تقع خارج نطاق الخدمة لهذه المدارس.

التوصيات :

1- الاهتمام بمراحل التعليم كافة وايلاء مرحلة التعليم الابتدائي وما قبلها (تمهيدي ورياض اطفال) اهمية كبيرة لأنها اساس بناء الطالب المتميز .

2- تعد عملية التعليم حجر الزاوية الاساس للقضاء على مختلف مظاهر التخلف في المجتمعات كافة وكذلك للقيام بالعمليات التنموية البشرية والطبيعية في هذه المجتمعات .

3- هناك نقص وخلل واضح في الخدمات التعليمية الابتدائية في منطقة الدراسة , اذ يجب معالجة هذا النقص والخلل .

4- تطبيق المعايير التعليمية والتربوية على جميع المدارس الابتدائية في منطقة الدراسة .

المصادر:

1- وليد محمود صالح عبد , التنمية الريفية في ناحية اليوسفية , اطروحة دكتوراه (غير منشورة) , كلية التربية للعلوم الانسانية , جامعة الانبار , 2019م , ص 204 .

2- وزارة الصناعة والمعادن الشركة العامة للمسح الجيولوجي والتعدين , بيانات غير منشورة , 2014 م .

3- صالح عبدالله غنيمات، التوزيع المكاني للمراكز السكانية في محافظة البلقاء، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأنبار، 1998، ص150.

4- محمد شرتوح الرحبى، كفاءة التوزيع المكاني لمراكز الاستيطان في محافظة نينوى، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990، ص60.

5- الجنابي, د. صلاح حميد ، جغرافية الحضر، مجلة الجمعية الجغرافية، المجلد 16، 1980، ص419.

6- Peter Haggett , Locational analysis in human geography, London, 1968, p91.

7- مضر خليل العمري، كتاب الإحصاء الجغرافي، مطبعة جامعة البصرة، 1989، ص320.

أثر استراتيجية المتشابهات في تطوير فن الأداء المهاري لبعض المهارات الأساسية بكرة القدم للطلاب

The effect of similar strategy in developing the art of performing skill for some basic skills of football students

حسن عدنان عاشور

ا.م.د زياد سالم عبد

ziyadsport@tu.edu.iq

الملخص:

يهدف البحث الى التعرف على:

- أثـر استراتيجية المتشابهات في تطوير فن الاداء المهاري لبعض المهارات الاساسية بكرة القدم للطـلاب.

استخدم الباحثان المنهج التجريبي لملاءمته وطبيعة البحث وبتصميم المجموعتين المتكافئتين التجريبية والضابطة ذات الملاحظة القبلية والبعدية واشتمل مجتمع البحث على طلاب الصف الثاني متوسط في متوسطة ابناء العراق الواحد / محافظة كركوك ، اما عينة البحث فكانت مكونة من (40) طالباً ، بواقع (20) طالب لكل مجموعة وبعد اجراء التجانس والتكافؤ لمجموعتي البحث عمد الباحثان الى استثمار استراتيجية المتشابهات في بناء (12) وحدة تعليمية من منهج وزارة التربية لدرس التربية الرياضية للمرحلة المتوسطة ، اجرى الباحثان الاختبارات القبلية والبعدية وبينهما تجربة البحث الرئيسة، ولمعالجة البيانات تم الاستعانة بالبرنامج الاحصائي (spss) .

وبعد تحليل النتائج ومناقشتها استنتج الباحثان ما يلي:

- ان استراتيجية المتشابهات لها الأثر الكبير في تطوير فن الأداء المهاري لبعض المهارات الاساسية بكرة القدم للطلاب .
- تفوق مجموعتي البحث في الاختبارات البعدية مقارنة بالقبلية في اختبار فن الاداء المهاري لبعض المهارات الاساسية (الدحرجة ، المناولة ، الاخماد) بكرة القدم .

– تفوق المجموعة التجريبية على الضابطة في نتائج الاختبار البعدي لفن الأداء المهاري لبعض المهارات الاساسية (الدحرجة ، المناولة ، الاخماد) بكرة القدم للطلاب .

واوصى الباحثان بما يلي :

1- حَثُّ مدرسي المدارس المتوسطة على استخدام استراتيجية المتشابهات في تدريس مهارات كرة القدم.

2- إجراء دراسات مشابهة على العاب رياضية أخرى مشابهة .

Abstract: The researching aims to know:
The strategy effect of similarities in evolving of skill performance art for some basic's skills of football ، the researchers used the test curriculum because its suitable with the subject of research and designed equaled two groups which have precedent equaled and dependent notes .

The research community consists second secondary students in (Abnaa Al-Iraq Alwahed)school / Kirkuk governorate ، The research consists from (40) students, (20) students of each group ، After testing of harmony and equaling for groups of two researches discipline and testing ، The researcher premeditated to invest similarities strategy for build (12) education units from education ministry curriculum for sport lecture for secondary stage, the researcher has tested precedent and dependent testing with basics researching test, and for data processing it's used counting program (SPSS) .

After analyzing and discussing the results found out :

- Similarities strategy has big effect in evolve skill perform art for some basics football skills.
- research groups exceed in dependents testing compared with precedent in skill perform art for some basics skills (rolling, pass, taking down) in football.
- testing group exceed to discipline in dependent testing results for skill perform .

The researchers recommend :

❖ motivate the teachers of secondary schools to use Similarities strategy in teaching football skills.
❖ Trying similar studies on other similar game sports.

1- التعريف بالبحث

1-1المقدمة وأهمية البحث :

السنوات ألأخيرة شهدت تطورا وتقدما كبيرا في مجال التربية والتعليم ، وأصبحت ألعملية التعليمية في مجمل مكوناتها (المدرس ، ألطالب ، المادة والأسلوب ألذي ينفذ به) هي من شغل ألكثير من الباحثانين والمهتمين بالعملية ألتعليمية بشكل عام وبطرائق التدريس بشكل خاص حيث سعت دائما الجهات ألمعنية بالتربية في العالم الى تطوير نظمها التعليمية بما يتفق مع طبيعة ألمتعلم وميوله واتجاهاته والإمكانات ألمتوفرة لديه. وبما إن مدرس التربية الرياضية هو المحور في ألعملية ألتعليمية وله دور فاعل وكبير في إيصال المعلومات الى ألطالب من خلال اطلاعه ألمستمر على ألمعلومات والمصادر والاستراتيجيات والتقنيات ألحديثة في التدريس لمساهمته ألفعالة في وصول ألطالب إلى ألمستويات الجيدة وذلك باستخدام أساليب التدريس ألحديثة التي تستخدم وسائل تعليمية لإيصال المعلومات بأقل وقت وأقل جهد.

ويعد تنوع اساليب التدريس من العناصر المهمة لإحداث هذه الفاعلية في التدريس ولغرض معالجة المواقف التعليمية على اختلاف مواقفها أثناء درس التربية الرياضية وُجدت استراتيجيات تدريس جديدة تفعّل دور المتعلم تعليمياً وتطويريا ، ومن أهم الاستراتيجيات المنبثقة عن النظرية البنائية هي استراتيجية (المتشابهات) التي تساعد على جعل المعلومات غير المألوفة لدى الطلبة ، مألوفة وذات معنى ويتم هذا من خلال تفكير الطلبة بأشياء من بيئتهم ومن خبراتهم السابقة ، وبين المعلومات الجديدة وعمل المقارنات بينهما. تعد من الاستراتيجيات المعاصرة التي تعطي المتعلم دوراً كبيراً للتفاعل اثناء التدريس من خلال المشاركة الفاعلة في عملية التدريس ، إذ " أن التدريس الفعال هو الذي يجعل المتعلم باحثاً عن المعلومة بشتى الوسائل الممكنة وبكلمات أكثر دقة هو نمط من التدريس يعتمد على النشاط الذاتي والمشاركة الايجابية للمتعلم ، والتي من خلالها قد يقوم بالبحث مستخدماً مجموعة من الانشطة والعمليات العلمية كالملاحظة ووضع الفروض وقراءة البيانات والاستنتاج ، والتي تساعده في التوصل الى المعلومة بنفسه ، وتحت اشراف المدرس وتوجيهه وتقويمه" (السليتي،55،2008).

ان استعمال استراتيجيات قائمة على افكار النظرية البنائية التي ترى ان الفرد يبني بنفسه المعلومات والمعرفة العلمية التي يكتسبها والخبرات التي يمر بها من خلال البيئة التي يعيش فيها ويتفاعل معها في بناء المعرفة الجديدة ، وهذا ما تدعو اليه استراتيجية التعلم التماثلي التي تحدث تصور عقلي يعطي رمزاً او لفظاً او اسماً لفكرة معينة يتم التوصل اليها من خلال عمليات التمييز والتصنيف للصفات المشتركة وغير المشتركة للمجموعات ، ولكي يتحقق التدرج المنطقي للتعلم ومدخل المعرفة المنظمة ازداد الاهتمام بالمفاهيم الموجودة بالبنية المعرفية للمتعلم ، كأساس وكمحور تبنى عليه المفاهيم الجديدة . (الأغا ، 2007م ، ص3). ولعبة كرة القدم تعد من الالعاب الجماعية والمشوقة والاكثر جماهيرية من بين الالعاب الاخرى لذلك يتطلب تطوير مهاراتها المتعددة لتحقيق مستوى عالٍ في الاداء الفني ، لذا استخدم الباحثان هذه الاستراتيجية التدريسية آملاً بإحداث التطور في بعض المهارات الاساسية بكرة القدم والتعرف على مدى فاعلية هذه الاستراتيجية في تطوير فن الاداء المهارى لديهم ومن هنا تأتي أهمية البحث .

1-2 مشكلة البحث :

لقد تعدد استخدام الاستراتيجيات والطرق واساليب التدريس في درس التربية الرياضية لطلاب المراحل المتوسطة من خلال قيام الكثير من الباحثانين بتطبيقها على عينات مختلفة وبمهارات من فعاليات مختلفة كذلك ، الا ان العديد من مدرسي المادة مازال يمارس التدريس التقليدي وفقاً لخبرته الميدانية في مجال تخصصه والتي تُغيّب دور المتعلم عن المشاركة الفاعلة في العملية التعليمية. ولكون الباحثان يمتهنان مهنة التدريس في مجال التربية الرياضية وجدا بأنه من الضروري ان يتم التركيز على استخدام استراتيجيات جديدة في مجال كرة القدم تعمل على تطوير الواقع الحالي لمستويات الطلاب والفئات العمرية في هذه اللعبة ، ومن خلال اطلاع الباحثان على اداء بعض مدرسي التربية الرياضية أثناء تنفيذ الدرس ، وجدا أن أغلبهم مازال يهمل دور المتعلم ولا يُفعِّله في العملية التعليمية ، لذا عمد الباحثان الى استخدام استراتيجية المتشابهات في تطوير فن الاداء المهارى لبعض المهارات الاساسية بكرة القدم للطلاب .

ولهذا تحددت مشكلة البحث بالإجابة عن التساؤل الاتي :

هل لاستراتيجية المتشابهات دور فاعل في تطوير فن الاداء المهارى لبعض المهارات الاساسية بكرة القدم للطلاب؟

1-3 هدف البحث :

يهدف البحث الى الكشف عن فاعلية :

استراتيجية المتشابهات في تطوير فن الاداء المهارى لبعض المهارات الاساسية بكرة القدم للطلاب.

1-4 فرضا البحث :

- توجد فروق ذات دلالة معنوية بين نتائج الاختبارين القبلي والبعدي لمجموعتي البحث الضابطة والتجريبية في اختبار فن الأداء المهارى لبعض المهارات الاساسية (الدحرجة ، المناولة ، الاخماد) بكرة القدم للطلاب .

- توجد فروق ذات دلالة معنوية بين نتائج الاختبارين البعديين لمجموعتي البحث الضابطة والتجريبية في اختبار فن الأداء المهارى لبعض المهارات الاساسية (الدحرجة ، المناولة ، الاخماد) بكرة القدم للطلاب .

1-5 مجالات البحث:

1-5-1 <u>**المجال البشري**</u>: عينة من طلاب الصف الثاني متوسط/متوسطة ابناء العراق الواحد في محافظة كركوك.

1-5-2 <u>**المجال المكاني**</u>: ساحات متوسطة ابناء العراق الواحد .

1-5-3 <u>**المجال الزماني**</u>: للفترة من (2019/3/3 ولغاية 2019/4/29).

2-مفهوم استراتيجية المتشابهات :

تعتبر استراتيجية المتشابهات من الاستراتيجيات الحديثة التطبيق في العراق ... وتنتمي هذه الاستراتيجية الى النظرية البنائية ، وهي تستند الى الاثارة العشوائية وتوليد الافكار الجديدة ، فهي من استراتيجيات التفكير الناقد والابتكاري ايضا ، وتقوم على اساس استثمار المعلومات القديمة في البنى المعرفية لدى المتعلمين في التعلم الجديد من خلال اكتشاف علاقات بين المعرفة السابقة والخبرة الجديدة (عطية ،211،2009) .

2-2 إستراتيجية المتشابهات :

هي طريقة تقوم على اساس مقارنة ومشابهة المفاهيم المراد تعلمها للطلاب بتلك المألوفة والمتاحة في بنيتهم المعرفية السابقة(علي ،93،2011) .

وعرفها (القطراوي 2010) بانها احدى الاستراتيجيات الحديثة لتدريس العلوم وتقوم على تسهيل فهم المفاهيم المجردة غير الشائعة او غير المألوفة من خلال التركيز على التشبيه مع العالم الواقعي بمفاهيم شائعة او مألوفة (المشبه) الذي يعيشه الفرد ، اي السمات المشتركة (اوجه التشابه) والسمات خارج الموضوع (اوجه الاختلاف)(عبد الوهاب ،9،2010) .

وعرفها (زيتون 2000) بأنها اداة فعالة في تسهيل عملية بناء المعرفة التي يقوم بها الفرد على قاعدة من المفاهيم التي يعلمها والمتاحة ببنيته المعرفية السابقة(زيتون،329،2000) .

2-3 خطوات استراتيجية المتشابهات :

اختلفت خطوات التدريس بالمتشابهات باختلاف اراء العديد من العلماء والباحثانين وحسب مجالاتهم ولكن يتفق الباحثان مع رأي كل من (عبيدات وابو السميد ، 2007) و(عطية ، 2009) في اكثر الخطوات المذكورة ، لذلك ذكر الباحثان بعض الخطوات التي تبنوها وهي على النحو الآتي :

أولا : الخطوات التي حددها (عبيدات وابو السميد ، 2007) :

1. يقدم المدرس عرضا بسيطا يوضح فيه موضوع الدرس والفكرة الأساسية فيه ، وهذه خطوة مهمة لأن الموضوع جديد ، لا يمتلك الطلبة معلومات عنه .
2. يقوم المدرس بتشبيه الموضوع الجديد بموضوع اخر او شيء يعرفه الطلبة من قبل .
3. يطلب المدرس من الطلاب ايجاد اوجه الشبه والاختلاف بين المشبه والمشبه به .
4. يطلب المدرس من الطلاب تكوين علاقات بين الموضوع الجديد والموضوع السابق والربط فيما بينهما (عبيدات،152،2007) .

ثانيا : الخطوات التي حددها (عطية ، 2009) :

1. التهيئة النفسية للطلاب واثارة حماسهم ودافعيتهم للخوض في الموضوع الجديد .
2. تقديم فكرة بسيطة عن الموضوع الجديد تتضمن بيان الافكار الاساسية فيه لكي يعرف الطلبة موضوع الدرس وعناصره .
3. مقارنة ومشابهة عدد من المفاهيم او الصور او الاشياء وموضوع الدرس .
4. يسأل المدرس طلبته عن افضل مشابهة بين التشبيهات التي طرحها .

5. يسأل الطلاب عن العلاقة بين المشبه والمشبه به ويعطيهم فرصة للتفكير (عطية،213،2009)

ولقد توافق رأي الباحثان مع أراء (عبيدات وابو السميد ، 2007) و(عطية ، 2009) فقد جمع بين الخطوات التي عرضوها ، وعمد الباحثان على اختيار اكثر الخطوات ملائمة لطلاب المجموعة التجريبية ، وعمل على ترتيب خطوات التدريس باستراتيجية المتشابهات التي درس بها طلاب المجموعة التجريبية وكان مستخلص الخطوات كالآتي :

1. تقديم عرض مبسط يوضح فيه موضوع الدرس والفكرة الاساسية فيه (استراتيجية المتشابهات).
2. تحديد خلفية الطلاب عن بعض المهارات من خلال استثارة المدرس للطلاب للتعرف على خلفيتهم المعرفية.
3. تقديم بعض المهارات بشكل مفصل وذلك من خلال طرح اسئلة او من خلال عرض صور معينة .
4. ربط المفهوم الموجود في ذهن الطالب من جراء الخبرات السابقة مع الخبرات الجديدة .
5. يطلب المدرس من الطلبة ايجاد اوجه التشابه والاختلاف بين المشبه والمشبه به .
6. يطبق الطلاب المهارة بالاعتماد على ما موجود في ذاكرتهم من خبرات سابقة .
7. يقوم المدرس بتقديم خلاصة (فكرة نهائية) عن استراتيجية المتشابهات .

2-2-1 دراسة (ألقطراوي ، 2010) .

- **عنوان الدراسة :**

(أثر استخدام استراتيجية المتشابهات في تنمية عمليات العلم ومهارات التفكير التأملي في العلوم لدى طلاب الصف الثامن الأساسي) .

هدفت هذه الدراسة الى معرفة اثر استخدام استراتيجية المتشابهات في تنمية عمليات العلم ومهارات التفكير التأملي في العلوم لدى طلاب الصف الثامن الاساسي ، ولتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحثان المنهج التجريبي ، واختيرت عينة الدراسة بطريقة قصدية من مدرسة (عين الحلوة) الثانوية للبنين في فلسطين ، وقد تكونت من شعبتين دراسيتين من طلاب الصف الثامن الاساسي ، وتم تقسيمهم الى مجموعتين إحداهما تجريبية والاخرى ضابطة عدد كل منهما (32) طالبا ، واظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطي درجات طلاب المجموعتين

التجريبية والضابطة وفي كل مهارة من مهارات عمليات العلم لصالح المجموعة التجريبية ، ووجود فروق ذات دلالة احصائية بين متوسطي درجات المجموعتين التجريبية والضابطة وفي كل مهارة من مهارات التفكير التأملي لصالح المجموعة التجريبية تعزى لأستخدام استراتيجية المتشابهات .

2-2-4 دراسة (ألعضيلة ، 2014) .

❖ **عنوان الدراسة :**

(اثر استخدام استراتيجية المتشابهات في تدريس العلوم لتنمية التحصيل والاتجاه نحو المادة لدى طلاب الصف الاول المتوسط بمحافظة المهد التعليمية) .

هدفت هذه الدراسة الى الكشف عن اثر استخدام استراتيجية المتشابهات في تدريس العلوم لتنمية التحصيل والاتجاه نحو المادة لدى طلاب الصف الاول المتوسط بمحافظة المهد التعليمية ، ولتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحثان المنهج التجريبي ، وقسمت العينة المكونة من (80) طالب من طلاب الصف الاول المتوسط بمدرسة حكومية في محافظة المهد التعليمية في السعودية الى مجموعتين ، الأولى درست بإستخدام استراتيجية المتشابهات والثانية ضابطة درست بالطريقة التقليدية المتبعة ، وتكونت اداتا الدراسة من اختبار التحصيل المعرفي بمستوياته الثلاثة (التذكر ، الفهم ، التطبيق) ومقياس الاتجاه نحو العلوم ، وتوصلت الدراسة الى تفوق المجموعة التجريبية (بإستخدام استراتيجية المتشابهات) على المجموعة الضابطة (التقليدية) في كل من الاختبار التحصيلي والاتجاه نحو العلوم .

3- منهج البحث وإجراءاته الميدانية :

3-1منهج البحث :

استخدم الباحثان المنهج التجريبي لملاءمته لطبيعة البحث ومشكلته .

3-2مجتمع البحث وعينته :

تم اختيار مجتمع البحث بالطريقة العمدية من طلاب الصف الثاني المتوسط في متوسطة ابناء العراق الواحد في محافظة كركوك للعام الدراســـي (2018 – 2019) ، والبالغ عددهم (90) طالب، وبواقع (3) شعب (ا ، ب ، ج) ، أما عينة البحث فقد اختيرت بالطريقة العشوائية ايضا ، والتي تمثلت بشعبتين (أ ، ب) البالغ عددهم (65) طالب ، وتم اختيار (40) طالباً منهم وبواقع (20) طـــالب لكل مجموعة ، المجموعة التجريبـــيـــة مثلتهـــا شعبة (أ) إذ ستطبق هذه

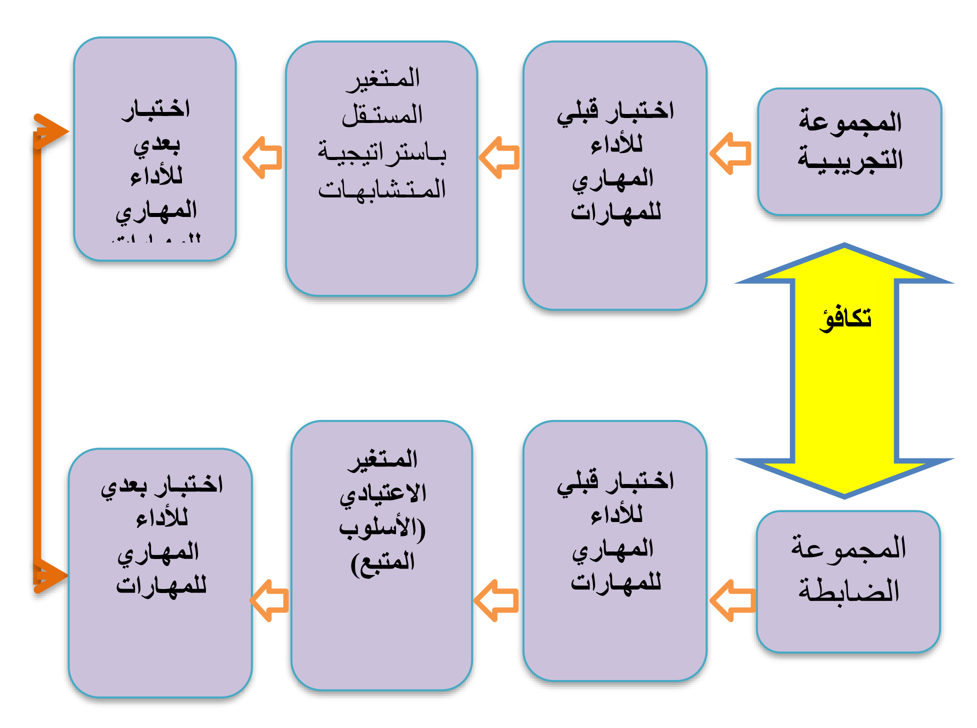
المجموعة استراتيجيـــة المــــتـــشابهـــات ، والمجموعة الضابطة مثلتهـــا شعبة (ب) إذ ستطبق الأسلوب المتبع من قبل مدرس المادة . واستبعد الباحثان من المجموعة التجريبية (11) طالب (الطلاب غير الممارسين ، المعاقين ، والمتغيبين) كما واستبعد من المجموعة الضابطة (14) طالب (الطلاب غير الممارسين ، المعاقين ، والمتغيبين) ، والجدول (1) يبين ذلك .

الجدول (1) يوضح مجموعتي البحث وحجم العينة والأسلوب المستخدم في التدريس

الشعبة	المجموعة	الأسلوب المستخدم	العدد الكلي	المستبعدون	عينة البحث
أ	التجريبية	استراتيجية المتشابهات	**31**	**11**	**20**
ب	الضابطة	الأسلوب (**التقليدي**)	**34**	**14**	**20**
المجموع			**65**	**25**	**40**

3-3 التصميم التجريبي :

وهـي الإجـراءات التـي يستخدمهـا الباحثـان للتحقـق مـن صـحة فـروضه التـي وضعهـا ولـذلك " يجـب علـى الباحثـان اخـتيار التصـميم التجريبـي المـناسب لاختبـار صـحة النتـائج المستـنبطة مـن الفـروض ، ويـتوقف اخـتيار التصـميم علـى طبـيعة الدراسـة والشـروط أو الظـروف التـي تجـري فيهـا (عبـد الحفـيظ،119،2002) ، وعليـه تـم استـعمال التصـميم التجريبـي الـذي يطلـق عليـه " تصـميم المجموعـات العشوائيـة الاخـتيار ذات الاختبارات القبلية والبعدية محكمة الضبط والشكل (1) يوضح ذلك :



الشكل (1) يوضح التصميم التجريبي للبحث

3-4 تجانس وتكافؤ مجموعتي البحث :

3-4-1 تكافؤ مجموعتي البحث

مقارنة

تم إجراء التكافؤ بين مجموعتي البحث في بعض المهارات الاساسية (الدحرجة ، المناولة، الاخماد) بكرة القدم ، في ساحة المدرسة بمتوسطة ابناء العراق الواحد في محافظة كركوك بتأريخ (24 / 2 / 2019) ، و بمساعدة فريق العمل المساعد* ، والجدول (3) يبين ذلك .

* فريق العمل المساعد :

(1) م . د . عاطف عبد الخالق احمد ، تدريسي في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة /جامعة تكريت .

(2) م . محمد صبري محمد ، مدرس تربية رياضية .

(3) م . هشام عطا عبد الحسين . تدريسي في كلية التربية الرياضية/جامعة كركوك

الجدول (3) يبين تكافؤ المجموعتين في العمر ، الطول ، الكتلة وبعض المهارات الأساسية قيد البحث

المعالجات / المتغيرات		المجموعة الضابطة		المجموعة التجريبية		قيمة t المحسوبة	مستوى الدلالة* sig	الدلالة الإحصائية
		(سَ)	(ع)	(سَ)	(ع)			
العمر	شهر	164.250	3.739	165.350	5.187	0.770	0.446	غير معنوي
الطول	سم	156.050	6.091	157.250	5.339	0.663	0.512	غير معنوي
الكتلة	كغم	46.850	3.963	47.550	3.235	0.612	0.544	غير معنوي
الدحرجة	فن الأداء درجة	42.465	3.512	44.735	3.819	1.956	0.06	غير معنوي
	الانجاز ثانية	13.635	0.267	13.295	0.703	1.503	0.141	غير معنوي
المناولة	فن الأداء درجة	41.475	4.766	42.990	3.150	1.186	0.243	غير معنوي
	الانجاز عدد	5.60	0.680	6.00	0.648	1.902	0.065	غير معنوي
الإخماد	فن الأداء درجة	37.435	6.549	40.480	3.391	1.846	0.073	غير معنوي
	الانجاز درجة	5.00	0.458	5.200	0.523	1.285	0.206	غير معنوي

- **غير معنوي عند مستوى دلالة ≤ (0.05) وأمام درجة حرية (38)**

يتبين من الجدول (3) ان قيم مستويات الدلالة (sig) أكبر من قيمة(0,05) و هذا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة معنوية بين مجموعتي البحث التجريبية والضابطة وهذا يدل على تكافؤهما في المهارات اعلاه .

3-5 تحديد بعض المهارات الاساسية بكرة القدم:

تم تحديد بعض المهارات من قبل الباحثان وفق المفردات الموجودة في المنهج الدراسي المقرر من وزارة التربية والتعليم للعام الدراسي (2018-2019م) ، والمهارات هي (الدحرجة ، المناولة، الاخماد) .

3-6 تحديد الاختبار الانسب لتقويم فن الاداء المهارى بكرة القدم :

بعدما تم تحديد بعض المهارات الاساسية بكرة القدم (الدحرجة ، المناولة ، الاخماد) ، يلزم تحديد الاختبار الخاص بكل مهارة ، ومن خلال اطلاع الباحثان على بعض الرسائل والاطروحات السابقة المتعلقة بمهارات كرة القدم والمتضمنة لمجموعة من الاختبارات المقننة ، ومن خلال تحليل محتوى المصادر فقد استعان الباحثان بالدراسات السابقة الخاصة بكرة القدم وذلك لملائمتها للبحث من حيث اعمار الطلاب ، ومن حيث البيئة حيث جميع الرسائل كانت في البيئة العراقية ، كما في دراسة (هليل 2009) ، ودراسة (العوادي 2009) ، ودراسة (قادر 2015).

3-7 الأجهزة والأدوات ووسائل جمع المعلومات :

3-7-1الأجهزة:

كاميرا نوع (Sony) يابانية الصنع عدد (1) ، حامل كاميرا ثلاثي عدد (1) ، شريط كاسيت حجم (4ملم) عدد (2) ، اقراص (DVD) عدد (6) ، لابتوب نوع (Dell) عدد (1) ، جهاز لقياس الوزن عدد (1) وشريط لقياس الطول عدد (1) ، ساعة توقيت الكترونية عدد (2) .

3-7-2 الأدوات :

كرات قدم عدد (10) ، شواخص عدد (12) ، بورك كيس عدد (3) ، شريط قياس عدد (1) ، صبغ دهني علبة عدد(1) ، صافرة عدد (3) .

3-7- 3 وسائل جمع المعلومات :

ويتم ذلك من خلال البحث والاستعانة بالمصادر العربية والاجنبية واستمارة التسجيل والتفريغ وشبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، والاستبانات والمقابلات الشخصية .

3-7-3-1 المقابلات الشخصية :

قام الباحثان بإجراء المقابلات الشخصية مع عدد من المختصين في مجال التربية الرياضية باختصاص كرة القدم وطرائق التدريس ، للاستفادة من آرائهم فيما يخص المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة .

3-7-3-2 استمارات الاستبيان :

3-7-3-2-1 استمارة استبيان اراء الخبراء والمختصين حول تقسيم الدرجة على اقسام المهارات

تم اعداد استمارة استبيان حول تقسيم الدرجة على كل قسم من اقسام المهارات قيد البحث ، وتم توزيعها على السادة الخبراء والمختصين في كرة القدم وتم من خلالهم تحديد الدرجة لكل قسم من اقسام البناء الحركي والشكل الظاهري الذي يتضمن (القسم التحضيري ، القسم الرئيسي ، والقسم الختامي) لكل مهارة من المهارات وقد حددت الدرجة الكلية من (100) .

3-7-3-2-2 استمارة تقييم فن الاداء المهارى لبعض المهارات الاساسية (الدحرجة ، المناولة والاخماد)

قام الباحثان بتصميم استمارات لتقييم الشكل الظاهري وفن الاداء المهارى للمهارات قيد الدراسة ، واستعمل الباحثان التصوير الفيديوي في الاختبارين القبلي والبعدي ، ثم تم تحويل التصوير إلى أقراص (DVD) وتم توزيعها مع استمارات التقييم المعدة لهذا الغرض على ثلاثة مقومين، من قبل تدريسيين اختصاص في كرة القدم , للمواقف التعليمية في الاختبارات القبلية والبعدية لعينة البحث ، لتعذر حضورهم إلى مكان الاختبارين القبلي والبعدي ، إذ يعطي كل مقوم درجة من (100) للأقسام الثلاثة ويتم استخراج الوسط الحسابي بين درجات المقومين الثلاثة لكل طالب عن كل مهارة لإظهار درجة تقييم المهارة النهائية .

3-7-3-2-3 استمارة استبيان حول تحديد صلاحية الاستراتيجية المستخدمة :

قام الباحثان بإعداد استمارة استبيان وتم عرضها على السادة الخبراء والمختصين حول صلاحية استخدام استراتيجية المتشابهات في تطوير فن الاداء المهارى لبعض المهارات الاساسية بكرة القدم للطلاب بعدما تم الاطلاع على المصادر العلمية والدراسات السابقة المتعلقة بالبحث ، وطلب من الخبراء التأكد من صلاحية خطة الدرس والوحدات التعليمية وتم توزيعها على السادة

المختصين وبعد استعادة الاستبيان منهم تم توحيد آراء الخبراء ووضع الوحدات التعليمية بصورتها النهائية .

3-8 تحديد وضبط متغيرات البحث :

وفيما يأتي عرض لأهم المتغيرات التي تهدد السلامة الداخلية والخارجية :

يتضمن البحث الحالي المتغيرات الآتية :

3-8-1 المتغير المستقل (التجريبي) : " وهو المتغير الذي يؤثر على المتغير التابع ولا يتأثر به " ، ويتمثل المتغير المستقل في البحث الحالي بما يأتي :

❖ استراتيجية المتشابهات .

3-8-2 المتغير التابع : " وهو المتغير الذي يتغير نتيجة تأثير المتغير المستقل " ، و يتمثل المتغير التابع في البحث الحالي بما يأتي :

❖ الأداء المهاري .

3-8-3 المتغيرات غير التجريبية (الدخيلة): إن كل تجربة معرضة إلى متغيرات خارجية (دخيلة) لابد من العمل على تلافيها حتى نتمكن من إرجاع التغيير الحاصل في المتغير التابع إلى المتغير التجريبي (المستقل) ، و يشير (**كشرود ، 2007**) إلى أن المتغير الدخيل هو عبارة عن أي ظرف أو متغير لا يعد جزءاً من الدراسة ولكن قد يكون له تأثير على المتغير التابع في الدراسة. ومن المؤكد بأن سلامة التصميم التجريبي لها جانبان ، أحدهما داخلي والآخر خارجي .

أولاً : السلامة الداخلية للتصميم : أهم المتغيرات التي تؤثر على المتغير التابع هي :

1- ظروف التجربة والعوامل المصاحبة لها : لم يتعرض البحث طول مدة التجربة من تأريخ (2019/3/3) إلى (2019/4/29) لأي حادث يؤثر سلبياً على التجربة .

2- العمليات المتعلقة بالنضج : بما أن المجموعتين التجريبية والضابطة متجانستان في العمر الزمني، أي إنهم يتعرضون لعمليات النمو نفسها و هذا بدوره يقلل من تأثير المتغير الدخيل على المتغير التابع .

3- أدوات القياس : هذا العامل تمت السيطرة عليه باستعمال الأجهزة والأدوات نفسها لكلتا المجموعتين التجريبيتين وبشروط القياس والاختبار نفسها .

4- الفروق في اختيار ألافراد : لتلافي هذا المتغير استخدم الباحثان طريقة الاختيار العمدي للمجموعتين الضابطة والتجريبية (اللاعبين الممارسين) .

5- التاركون للتجربة : ويقصد به الأثر الناتج عن انقطاع أو ترك قسم من أفراد عينة مجموعتي البحث التجريبية والضابطة للتجربة ، مما يؤثر في مستوى مهاراتهم وتعلمهم ، وهذا لم يحدث أبداً في الاختبارات القبلية والبعدية في فترة التجربة وفي فترة تطبيق المنهاج .

ثانياً: السلامة الخارجية للتصميم : للتأكد من الصدق الخارجي للتجربة ينبغي أن تكون التجربة خالية من الأخطاء ، كما في النقاط الآتية :

1- تفاعل تأثير المتغير المستقل (التجريبي) مع تحيزات الاختبار : أن هذا العامل لم يكن له تأثير وذلك لأنه تم اختيار العينة بالطريقة العمدية (الطلاب الممارسين لكرة القدم)، ومن ثم تم التحقق من التجانس والتكافؤ بين المجموعتين التجريبية والضابطة.

2- تأثير الإجراءات التجريبية : لم يتم إخبار أفراد عينة المجموعتين بأهداف البحث ، إذ تم تنفيذ الاختبارات القبلية وتطبيق الوحدات التعليمية والاختبارات البعدية بإشراف الباحثان وبمساعدة فريق العمل المساعد ، و بذلك زال تأثير هذا المتغير .

3- المادة التعليمية : تضمنت المادة التعليمية مهارات (الدحرجة ، المناولة ، والإخماد) بكرة قدم ، إذ قام الباحثان باستعمال استراتيجية المتشابهات وتم عرضها على عدد من المختصين في مجال كرة القدم (التعلم الحركي ، طرائق التدريس ، والتدريب الرياضي) من أجل دعم الأسلوب العلمي الصحيح في هذا المنهاج التعليمي وإبداء الملاحظات العلمية القيمة حوله .

4- المدرس : لقد قام مدرس المادة(*) بتطبيق الوحدات التعليمية ، بعد أن تم الاتفاق مع إدارة المدرسة (متوسطة ابناء العراق الواحد) / محافظة كركوك .

5- المدة الزمنية للتجربة : بدأت التجربة بتأريخ (2019/3/3) وانتهت بتأريخ (2019/4/29) ، وبواقع وحدتين تعليميتين في الأسبوع الواحد وبمعدل (12) وحدة تعليمية لكل مجموعة وكان زمن الوحدة التعليمية الواحدة (40) دقيقة .

(*) مدرس المادة : سعد رؤوف مردان / حاصل على شهادة البكالوريوس في التربية الرياضية .

6- مكان تطبيق الوحدات التعليمية : تم تطبيق الوحدات التعليمية لكلتا المجموعتين بمكان واحد ، هو ساحات مدرسة متوسطة أبناء العراق الواحد للبنين / محافظة كركوك ، و كل مجموعة حسب الوقت المحدد لها.

1- المحكمون : هم من قاموا بعملية تقييم الأداء المهاري للطلاب في الاختبارات القبلية ، وهم نفس المحكمين الذين قاموا بعملية تقييم الأداء المهاري للطلاب في الاختبارات البعدية .

3-9 إعداد المنهاج التعليمي :

بعد أخذ آراء الخبراء والمختصين في مجال طرائق التدريس والتعلم الحركي والتدريب الرياضي، ومن خلال المقابلات الشخصية التي أجراها الباحثان حول إعداد خطة الدرس التعليمية لكل مهارة من المهارات باستخدام استراتيجية المتشابهات وتطبيقها على المجموعة التجريبية.
وكانت مجموعتا البحث كالآتي :

المجموعتان التجريبية والضابطة متشابهتان في الجزء الإعدادي والجزء الختامي ومختلفتان في الجزء الرئيسي ، إذ تم إدخال استراتيجية المتشابهات على المجموعة التجريبية لتحسين الأداء المهاري لعدد من المهارات الأساسية المراد تعلمها في الوحدات التعليمية وبواقع (12) وحدة تعليمية وبزمن كلي بلغ (480) دقيقة قام بتدريسها مدرس المادة ، واستخدم مدرس المادة استراتيجية المتشابهات على المجموعة التجريبية لتحسين الأداء المهاري على ضوء المهارات المستعملة في البحث ، أما المجموعة الضابطة فتتعلم الأداء المهاري لعدد من المهارات الأساسية بكرة القدم وبالأسلوب المتبع (أسلوب مدرس المادة) وبواقع (12) وحدة تعليمية وبزمن كلي بلغ (480) دقيقة قام بتدريسها المدرس نفسه . وقد قام الباحثان بمحاضرة تعريفية وتوضيحية لمدرس المادة والتي تضمنت شرح مفهوم استراتيجية المتشابهات وكيفية العمل بها مع المجموعة التجريبية .

الخطط التعليمية كما مبين في جدول (3)

جدول رقم (3) يبين اقسام الخطط التعليمية وزمنها

أقسام الخطة التعليمية		الزمن خلال الخطة الواحدة	الزمن خلال (12) وحدة تعليمية	النسبة المئوية
القسم الإعدادي	**المقدمة+ الإحماء + التمارين البدنية**	**10دقيقة**	**120دقيقة**	% 25
القسم الرئيسي	**النشاط التعليمي**	**10دقيقة**	**120دقيقة**	% 25
	النشاط التطبيقي	**15دقيقة**	**180دقيقة**	%37.5
القسم الختامي		**5 دقائق**	**60 دقيقة**	%12.5
المجموع الكلي		40دقيقة	480 دقيقة	% 100

3-10 التجارب الاستطلاعية :

3-10-1 التجربة الاستطلاعية الأولى للأداء المهارى (المواقف التعليمية) :

أجرى الباحثان بمساعدة فريق العمل المساعد تجربة استطلاعية خاصة بالمواقف التعليمية على عينة من الطلاب والبالغ عددهم (10) طلاب من الذين تم استبعادهم عن تجربة البحث الرئيسة ، وتمت التجربة الاستطلاعية يوم الاحد الموافق 2019/2/24.

3-10-2 التجربة الاستطلاعية الثانية حول تطبيق استراتيجية المتشابهات في الدرس :

قام الباحثان وبمساعدة مدرس المادة بإجراء تجربة استطلاعية لتطبيق وحدة تعليمية باستخدام استراتيجية المتشابهات في يوم الثلاثاء الموافق(2019/2/26) على عينة من الطلاب والبالغ عددهم (10) طلاب من مجتمع البحث .

3-10 الاختبارات القبلية :

تم إجراء الاختبارات القبلية لمجموعتي البحث التجريبية والضابطة عن طريق تصوير المواقف التعليمية التي تم وضعها لتقييم أداء الشكل الظاهري للمهارات قيد الدراسة ،وذلك في يومي الاحد والاثنين الموافقين
(3-4/ 3 /2019) الساعة التاسعة صباحاً.

3-11 التجربة الرئيسة :

قام الباحثان بالبدء في تنفيذ الوحدات التعليمية يوم الاربعاء الموافق (2019/3/6) بحسب جدول الدروس الاسبوعي ولغاية يوم الاربعاء الموافق (2018/4/24) .

3-12 الاختبارات البعدية :

تم إجراء الاختبارات البعدية للمجموعتين التجريبية والضابطة بعد الإنتهاء من تنفيذ الوحدات التعليمية ، إذ تم تصوير أداء الطلاب للمهارات قيد الدراسة من خلال أدائهم للمواقف التعليمية ، وبالظروف نفسها التي تم فيها اجراء الاختبارات القبلية من حيث المكان والأجهزة والأدوات وأسلوب التنفيذ ، وذلك في يومي الاحد والاثنين الموافقين (28-2019/4/29) الساعة التاسعة صباحاً .

3- 13 الوسائل الاحصائية :

استخدم الباحثان الحزمة الاحصائية ال (Spss) (الحقيبة الاحصائية للعلوم الاجتماعية) وذلك لمعالجة البيانات الخاصة بالبحث والتي تضمنت : (الوسط الحسابي ، الانحراف المعياري ، معامل الاختلاف ، النسبة المئوية ، معامل الارتباط البسيط (بيرسون) ، اختبار (t) للعينات المترابطة ، واختبار (t) للعينات المستقلة .

4-عرض النتائج ومناقشتها:

4-1 عرض ومناقشـــــة نتائج الفروق (ت) بين الاختبار القبلي والبعدي لمجموعتي البحث الضابطة والتجريبية للمهارات الاساسية (فن الأداء المهاري) :

الجدول(4) يبين معنوية الفروق بين القياس القبلي والبعدي في بعض المهارات الأساسية بكرة القدم للمجموعة الضابطة (فن الأداء المهاري)

المعالجات الإحصائية المتغيرات	وحدة القياس	الاختبارات القبلية		الاختبارات البعدية		قيمة(t) المحسوبة	مستوى الدلالة*	نوع الدلالة
		سَ	(ع)	سَ	(ع)			
الدحرجة	درجة	42.465	3.512	63.055	3.504	24.075	0.000	**معنوي**
المناولة	درجة	41.475	4.766	62.770	3.505	20.809	0.000	**معنوي**

الإخماد	درجة	37.435	6.549	62.750	3.510	18.180	0.000	معنوي

(*) معنوي عند مستوى دلالة ≥ (0.05) وأمام درجة حرية (19)

يبين جدول (4) أن الوسط الحسابي لمهارة **الدحرجة** في الاختبار القبلي قد بلغ (42.465) وبانحراف معياري قيمته (3.512) في حين أن الوسط الحسابي للمهارة نفسها في الاختبار البعدي قد بلغ (63.055) بانحراف معياري قيمته (3.504) علماً أن قيمة (**t**) المحسوبة (24.075) وقيمة مستوى الدلالة (sig)(0,000) مما يدل على أن هناك فروقاً معنوية بين نتائج الاختبارين القبلي والبعدي ولصالح الاختبار البعدي للمجموعة الضابطة .

كما يبين جدول (4) أن الوسط الحسابي لمهارة **المناولة** في الاختبار القبلي قد بلغ (41.475) وبانحراف معياري قيمته (4.766) في حين أن الوسط الحسابي للمهارة نفسها في الاختبار البعدي قد بلغ (62.770) بانحراف معياري قيمته (3.505) علماً أن قيمة (**t**) المحسوبة (20.809) وقيمة (sig) (0,000) مما يدل على أن هناك فروقاً معنوية بين نتائج الاختبارين القبلي والبعدي لصالح الاختبار البعدي للمجموعة الضابطة .

كما يبين جدول (4) أيضاً بأن الوسط الحسابي لمهارة **الإخماد** في الاختبار القبلي قد بلغ (37.435) وبانحراف معياري قيمته (6.549) في حين أن الوسط الحسابي للمهارة نفسها في الاختبار البعدي قد بلغ (62.750) بانحراف معياري قيمته (3.510) علماً أن قيمة (**t**) المحسوبة (18.180) وقيمة مستوى الدلالة (sig) (0,000) مما يدل على أن هناك فروقاً معنوية بين نتائج الاختبارين القبلي والبعدي ولصالح الاختبار البعدي للمجموعة الضابطة .

الجدول (5) يبين معنوية الفروق بين القياس القبلي والبعدي في بعض المهارات الأساسية بكرة القدم للمجموعة التجريبية (فن الأداء المهاري) باستخدام استراتيجية المتشابهات

المعالجات الإحصائية / المتغيرات	وحدة القياس	الاختبارات القبلية		الاختبارات البعدية		قيمة(t) المحسوبة	مستوى الدلالة*	نوع الدلالة
		سَ	(ع)	سَ	(ع)			
الدحرجة	درجة	44.735	3.819	69.960	4.964	20.309	0.000	معنوي

المناولة	درجة	42.990	3.150	67.890	3.707	25.890	0.000	معنوي
الإخماد	درجة	40.480	3.391	66.480	5.830	21.548	0.000	معنوي

(*) **معنوي عند مستوى دلالة ≥ (0.05) وأمام درجة حرية (19)**

يبين جدول (5) أن الوسط الحسابي لمهارة **الدحرجة** في الاختبار القبلي قد بلغ (44.735)، وبانحراف معيري قيمته (3.819) ، في حين أن الوسط الحسابي للمهارة نفسها في الاختبار البعدي قد بلغ (69.960) ، بانحراف معياري مقداره (4.964) ، علماً أن قيمة (**t**) المحسوبة (20.309) وقيمة مستوى الدلالة (sig) (0,000) مما يدل على أن هناك فروقاً معنوية بين نتائج الاختبارين القبلي والبعدي ولصالح الاختبار البعدي للمجموعة التجريبية باستخدام استراتيجية المتشابهات .

كما يبين جدول (5) أن الوسط الحسابي لمهارة **المناولة** في الاختبار القبلي قد بلغ (42.990) ، وبانحراف معياري قيمته (3.150) ، في حين أن الوسط الحسابي للمهارة نفسها في الاختبار البعدي قد بلغ (67.890) ، وبانحراف معياري قيمته (3.707) ، علماً أن قيمة (**t**) المحسوبة (25.890) وقيمة مستوى الدلالة (sig) (0,000) ، مما يدل على أن هناك فروقا معنوية بين نتائج الاختبارين القبلي والبعدي ولصالح الاختبار البعدي للمجموعة التجريبية باستخدام استراتيجية المتشابهات .

كما يبين جدول (5) أيضاً أن الوسط الحسابي لمهارة **الإخماد** في الاختبار القبلي قد بلغ (40.480) ، وبانحراف معياري قيمته (3.391) ، في حين أن الوسط الحسابي للمهارة نفسها للاختبار البعدي قد بلغ (66.480) ، وبانحراف معياري قيمته (5.830) ، علماً أن قيمة (**t**) المحسوبة (21.548) وقيمة مستوى الدلالة (sig) (0,000) ، مما يدل على أن هناك فروقاً معنوية بين نتائج الاختبارين القبلي والبعدي ولصالح الاختبار البعدي للمجموعة التجريبية باستخدام استراتيجية المتشابهات .

2-4 عرض ومناقشة نتـــائج الفروق (ت) بين الاختبـــار البعدي لمجموعتي البحث الضابطة والتجريبية في تقييم فن الأداء المهاري لبعض المهارات الأساسية .

الجدول (6) يبين دلالة الفروق بين الاختبارات البعدية للمجموعتين الضابطة والتجريبية في بعض المهارات الأساسية بكرة القدم (فن الأداء المهاري)

المعالجات الاحصائية / المتغيرات		المجموعة الضابطة		المجموعة التجريبية		قيمة (t) المحسوبة	مستوى الدلالة*	الدلالة الإحصائية
		(سَ)	(ع)	(سَ)	(ع)			
الدحرجة	درجة	63.055	3.504	69.960	4.964	5.081	0.000	معنوي
المناولة	درجة	62.770	3.505	67.890	3.707	4.488	0.000	معنوي
الإخماد	درجة	62.750	3.510	66.480	5.830	2.451	0.019	معنوي

*** معنوي عند مستوى دلالة ≥ (0.05) وأمام درجة حرية (38)**

يبين جدول (6) أن الوسط الحسابي لمهارة **الدحرجة** في الاختبار البعدي للمجموعة الضابطة قد بلغ (63.055) ، و بانحراف معياري قيمته (3.504) ، في حين أن الوسط الحسابي للمهارة نفسها في الاختبار البعدي للمجموعة التجريبية باستخدام استراتيجية المتشابهات قد بلغ (69.960) ، وبانحراف معياري قيمته (4.964) علما أن قيمة (**t**) المحسوبة قد بلغت (5.081) وقيمة مستوى الدلالة (sig) (0,000) ، مما يدل على أن هناك فروقاً معنوية بين نتائج الاختبار البعدي للمجموعتين الضابطة والتجريبية لصالح الاختبار البعدي للمجموعة التجريبية باستخدام استراتيجية المتشابهات في تطوير فن الأداء المهاري .

كما يبين جدول (6) أن الوسط الحسابي لمهارة **المناولة** في الاختبار البعدي للمجموعة الضابطة قد بلغ (62.770) ، وبانحراف معياري قيمته (3.505) ، في حين أن الوسط الحسابي للمهارة نفسها في الاختبار البعدي للمجموعة التجريبية باستخدام استراتيجية المتشابهات قد بلغ (67.890) ، وبانحراف معياري قيمته (3.707) ، علماً أن قيمة (**t**) المحسوبة قد بلغت

(4.488) وقيمة مستوى الدلالة (sig) (0,000) ، مما يدل على أن هناك فروقاً معنوية بين نتائج الاختبار البعدي للمجموعتين التجريبية والضابطة ولصالح الاختبار البعدي للمجموعة التجريبية باستخدام استراتيجية المتشابهات في تطوير فن الأداء المهاري .

كما يبين جدول (6) أيضا أن الوسط الحسابي لمهارة **الإخماد** في الاختبار البعدي للمجموعة الضابطة قد بلغ (62.750) ، وبانحراف معياري قيمته (3.510) في حين أن الوسط الحسابي للمهارة نفسها في الاختبار البعدي للمجموعة التجريبية باستخدام استراتيجية المتشابهات قد بلغ (66.480) وبانحراف معياري قيمته (5.830) علماً أن قيمة (**t**) المحسوبة قد بلغت (2.451) وقيمة مستوى الدلالة (sig) (0,019) مما يدل على أن هناك فروقاً معنوية بين نتائج الاختبار البعدي للمجموعتين التجريبية والضابطة ولصالح الاختبار البعدي للمجموعة التجريبية باستخدام استراتيجية المتشابهات في تطوير فن الأداء المهاري .

4-3 مناقشة النتائج :

4-3-1 مناقشة نتائج الاختبار القبلي والبعدي لمجموعتي البحث الضابطة والتجريبية في تقييم الأداء المهاري لبعض المهارات الأساسية (الدحرجة ، المناولة ، الإخماد) بكرة القدم.

يتضح من الجداول (5 ، 6) السابقة ، أن حجم تأثير خطة الدرس والوحدات التعليمية ، بدا واضحاً من خلال نتائج المجموعتين الضابطة والتجريبية في الاختبارات القبلية والبعدية ولصالح الاختبار البعدي للمجموعتين التجريبية والضابطة ، ويعزو الباحثان سبب ذلك إلى فاعلية المنهاج التعليمي المستخدم الذي طبق على المجموعتين التجريبية والضابطة من قبل مدرس التربية الرياضية ، وبأسلوب تطبيق يختلف بالنسبة للمجموعة التجريبية باستخدام (استراتيجية المتشابهات) عنه في المجموعة الضابطة (الأسلوب المتبع) ، والتي أدت إلى تحقيق نتائج أفضل في الاختبار البعدي للمجموعتين الضابطة والتجريبية في تحسين الأداء المهاري .

إن المجموعة التجريبية التي استخدمت استراتيجية المتشابهات وما احتوته الخطط التعليمية من تمارين رياضية والتدرج فيها وكذلك ما طرح من معلومات معرفية وما عرض من صور توضيحية أدت بالتالي إلى وصف دقيق للأداء المهاري للحركة ، ولا ينسى الباحثان الدور الذي يشغله المدرس من خلال القيام بأداء المهارات والتمارين ، وإعطاء الملاحظات والتوجيهات والثناء على الطلاب أثناء أداء التمارين المهارية وكذلك التغذية الراجعة عند أداء المهارات

الحركية والدور الفعال الذي يلعبه المدرس في المشاركة بالأداء وإبداء الملاحظات ، كل هذا أدى إلى تحسين الأداء المهاري للطلاب وانعكس ذلك على طلاب المجموعتين التجريبية والضابطة في الاختبار البعدي ، إذ إنه كلما كان أدائهم جيداً كلما كانت النتائج أفضل وهذا بدوره أدى إلى التركيز على الجهد الخاص الذي يخدم الأداء المهاري للمهارات الأساسية (الدحرجة ، المناولة ، الإخماد) ، إذ إنَّ الشرح والعرض التوضيحي للصور ، والتمرين على أداء المهارات ، وتصحيح الاخطاء ، والمدة الزمنية المحددة للوحدات التعليمية يساعد على الوصول إلى التعلم المؤثر والفعال مما أدى إلى تحسين الأداء المهاري للمهارات الأساسية (الدحرجة ، المناولة ، الإخماد) بكرة القدم لكلتا المجموعتين .

وهذا ما أكده (الحيلة ، 1999) بأنه "عند تنفيذ المنهاج بشكل فعال فإن الأداء العام للطالب يتحسن كثيراً ومن ثم يمكن للطلاب أن يكتسبوا فائدة إضافية وهي تطوير تعلم جديد عن كيفية تعلم المهارات " (الحيلة ،64،1999).

وتعد لعبة كرة القدم من الألعاب الرياضية التي يقترن نجاح الأداء فيها بالبناء النظري والعلمي للطلاب ، إذ إن تزويد الطالب بالمعلومات والمعارف التي يعمل على دمجها مع ما تعلمه سابقاً ، وما يملكه من خبرة سابقة لتحقيق الوصول إلى التفكير الذي ينعكس أثناء الأداء لاسيما وأن إيقاع اللعب يتغير ، وذلك يتطلب توافق العمل العقلي مع العمل الحركي (الخولي ،226،2000) ، لتكوين استجابات حركية صحيحة للمواقف المختلفة .

كما أن إعطاء التوجيهات للطلاب أثناء أداء التمارين المهارية ، كان له دور كبير في تحسن الاداء المهاري للطلاب الذين حصلوا عليه في الاختبار البعدي إذ إنه كلما اقترب الأداء من الصورة المثلى كلما كانت النتائج عالية بفضل الحصول على الاقتصاد بالجهد المبذول والتركيز على الجهد الخاص الذي يخدم الأداء المهاري للمهارات الأساسية الثلاث ، والذي بدوره يعمل على تحقيق انسجام بين الطالب والمهارة المطلوبة ، إذ إنَّ أداء المهارة بانتظام يساعد على تعلمها وتثبيتها (الحيلة،64،1999).

4-3-2 مناقشة نتائج الاختبار البعدي لمجموعتي البحث الضابطة والتجريبية في تقييم الأداء المهاري لبعض المهارات الأساسية (الدحرجة ، المناولة ، الإخماد) بكرة القدم .

يتضح من الجدول (7) أن النتائج أشارت الى تفوق المجموعة التجريبية وفقا لاستراتيجية المتشابهات على المجموعة الضابطة التي استخدمت الاسلوب المتبع ، فيتبين أن هناك فروقاً ذات دلالة معنوية بين الاختبارين البعديين للمجموعتين التجريبية والضابطة في تحسين الأداء المهاري للمهارات الأساسية (الدحرجة ، المناولة ، الإخماد) بكرة القدم ولصالح المجموعة التجريبية وفقاً لاستراتيجية المتشابهات .

ويعزو الباحثان سبب ذلك إلى فاعلية المنهاج التعليمي الذي طبق على المجموعة التجريبية باستخدام استراتيجية المتشابهات ، إذا ما قورن بالمنهاج التعليمي الذي طبق على المجموعة الضابطة باستخدام الأسلوب المتبع ، وذلك لأن استراتيجية المتشابهات هي عبارة عن أداة فعالة تسهل عملية بناء المعرفة للفرد على قاعدة من المفاهيم التي يعلمها والمتاحة في بنيته المعرفية السابقة (زيتزن،255،2000).

ان استراتيجية المتشابهات تجعل المتعلم يبذل قصارى جهده في الأنشطة الرياضية بدلاً من أن يكون سلبياً ، وهذه الاستراتيجية تشجع الطالب على التفاعل والمشاركة في العملية التعليمية ، فضلاً عن أن هذه الاستراتيجية تنمي أفكار الطالب وتكسبه المهارات وتشجعه على حل المشاكل التي تعوقه .

ويمكن ارجاع تلك الفروق إلى أن التعلم في ضوء استراتيجية المتشابهات ساعد الطلاب على التفكير والتصور واسترجاع ما مخزون في ذاكرتهم من خبرات سابقة للمهارة المطلوبة ، فلم يعد الطالب وفق النظرية البنائية التي انبثقت عنها استراتيجية المتشابهات ذلك الطالب المتلقي للمعلومات كما هي ، بل أصبح يستخدم عقله في كل ما يعرض عليه من معلومات ويربطها بما لديه من معلومات وخبرات سابقة فتحقق لدى الطلاب عامل المثابرة والتشويق والإثارة ، وإن استراتيجية المتشابهات المستخدمة تكون بسيطة وغير معقدة وقريبة من بيئة الطالب والتي يتم من خلالها شرح المهارة من خلال الأنموذج أو عرض صور اللاعبين ومعرفة المهارات الأساسية وتطبيقها ومن ثم تصحيح الأخطاء التي تحدث ، هذا بالإضافة إلى أن تحسن المهارات وفقا لاستراتيجية المتشابهات ساعد على جذب انتباه الطلاب وزيادة دافعيتهم مما ساعد على تحسين أدائهم . ومما سبق يتضح أن استراتيجية المتشابهات تؤثر تأثيراً إيجابياً في مراحل تعلم المهارات الرياضية بشكل عام والمهارات الأساسية بكرة القدم بشكل خاص ، وهذا يتفق مع ما

توصلت إليه نتائج الدراسات المشابهة لكل من (عبد المعطي ، 2000) ، و(الأغا ، 2007) ، و(القطراوي ، 2010) ، و(العضيلة ، 2014)

كذلك فأن المجموعة الضابطة تحسن ادائهم المهاري حسب الاسلوب المتبع ، وذلك من خلال خطة درس التربية الرياضية ، فلا ننسى الدور الذي قام به مدرس المادة من شرح للمهارات وتطبيقها والقيام بتصحيح الاخطاء .

5-1 الاستنتاجات :

في ضوء ما تقدم من إجراءات البحث واستخدام الوسائل الإحصائية المناسبة وعرض وتحليل ومناقشة النتائج فقد استنتج الباحثان الآتي :

1-إن استراتيجية المتشابهات لها الأثر الكبير في تحسين الأداء المهاري لبعض المهارات الأساسية بكرة القدم .

2- تفوق مجموعتي البحث في الاختبارات البعدية مقارنة بالقبلية في اختبار الأداء المهاري لبعض المهارات الأساسية (الدحرجة ، المناولة ، الإخماد) بكرة القدم .

3- تفوق المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة في نتائج الاختبار البعدي بالنسبة للأداء المهاري لبعض المهارات الأساسية (الدحرجة ، المناولة ، الإخماد) بكرة القدم .

5-2 التوصيات :

1- حث مدرسي التربية الرياضية على استخدام استراتيجية المتشابهات في تدريس مهارات كرة القدم .

2- إجراء دراسات وبحوث مشابهة على العاب رياضية أخرى مشابهة .

3- الحث على استخدام استراتيجية المتشابهات في الأندية الرياضية .

4- توظيف استراتيجية المتشابهات في جميع المراحل الدراسية مما يزيد من فاعلية التعلم .

المصادر العربية والاجنبية

- الاغا ، ايمان اسحاق (2007): **أثر استخدام استراتيجية المتشابهات في اكتساب المفاهيم العلمية والاحتفاظ بها لدى طالبات الصف التاسع الاساسي بغزة** ، رسالة ماجستير (

غير منشورة) ، قسم المناهج وطرق التدريس ، كلية التربية ، الجامعة الاسلامية – غزة ، فلسطين.

- التكريتي، وديع ياسين و العبيدي ،حسن محمد (1999): **التطبيقات الإحصائية واستخدامات الحاسوب في بحوث التربية الرياضية** ، الموصل جامعة الموصل .
- الجنابي، عبدالمنعم أحمد جاسم (2007): **بناء حقيبة اختبارات لاختبار لاعبي المدارس بكرة القدم لأعمار (11 – 12) سنة في مدينة تكريت** ، أطروحة دكتوراه ، **غير منشورة** ، جامعة الموصل – كلية التربية الرياضية .
- حسن ،هاشم ياسر **(2008): اسس التدريب المهاري للاعبي كرة القدم**، مركز الكتاب للنشر ، عمان، الاردن .
- حمادات، محمد حسن (2009): **منظومة التعليم واساليب التدريس** ، ط1،الاردن ، دار الحامد للنشر والتوزيع .
- الخشاب ، زهير قاسم و الحياني، محمد خضر اسمر(1999) ؛ **كرة القدم لطلاب كليات واقسام التربية الرياضية** ، ط2 ، الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر .
- زاير، سعد علي واخرون (2013): **الموسوعة الشاملة ـ استراتيجيات وطرائق ونماذج واساليب وبرامج** ، ط1، بغداد ، دار المرتضى للطبع والنشر والتوزيع .
- الزبيدي، عبد الرزاق كاظم وإخرون(1012) : **مناهج البحث في التربية** ، ط1: بغداد ، مطبعة التعليم العالي.
- زيتون، كمال عبدالحميد(2000): **تدريس العلوم من منظور البنائية** ، الاسكندرية ، المكتب العلمي للنشر والتوزيع .
- السليتي، فراس (2008): **استراتيجيات التعلم والتعليم النظرية والتطبيق** ،عمان ، جدار للكتاب العالمي.
- عبد الحفيظ، إخلاص محمد و باهي، مصطفى حسين (2002): **طرق البحث العلمي والتحليل الاحصائي في المجالات التربوية والنفسية والرياضية**، ط2 ، القاهرة ، مركز الكتاب للنشر.

- عبيدات، ذوقان وابو السميد ،سهيلة (2007): **استراتيجيات التدريس في القرن الحادي والعشرين – دليل المعلم والمشرف التربوي** ، ط1، عمان ، دار الفكر .
- العضيلة، سعود رشدان(2014) :**اثر استخدام استراتيجية المتشابهات في تدريس العلوم لتنمية التحصيل والاتجاه نحو المادة لدى طلاب الصف الاول المتوسط بمحافظة المهد التعليمية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة ام القرى ، كلية التربية .
- عطية ، محسن علي (2009): **الجودة الشاملة والجديد في التدريس** ، ط1، عمان ، دار صفاء للنشر والتوزيع .
- علي ،محمد السيد (2011): **موسوعة المصطلحات التربوية** ، ط1 ، الأردن ، دار المسيرة .
- العوادي ، محمد هاشم محمد(2011) : **أثر التدريس بأنموذج المتشابهات في تنمية ادراك العلاقات المفاهيمية في مادة التاريخ لدى طلاب الصف الثاني المتوسط** ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، قسم التربية وعلم النفس ، كلية التربية ، جامعة القادسية ، العراق .
- القطراوي ، عبد العزيز جميل عبد الوهاب(2010) : **أثر استخدام استراتيجية المتشابهات في تنمية عمليات العلم ومهارات التفكير التأملي في العلوم لدى طلاب الصف الثامن الاساسي** ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، قسم المناهج وطرق التدريس ، كلية التربية ، الجامعة الاسلامية – غزة ، فلسطين .
- محجوب، وجيه (1987): **التحليل الحركي** ، بغداد ، مطبعة التعليم العالي ، 1987.
- محمود، غازي صالح (2011): **كرة القدم (المفاهيم ، التدريب)** ،ط1، الاردن ، مكتبة المجتمع العربي.
- مختار، حنفي محمود (1997): **كرة القدم للناشئين**، القاهرة ، دار الفكر العربي.
- Orhan Gençer ؛ Antrenörün EL Kitabi(2008) : (Istanbul ، Bahar Mataba ltd.şti
- محمد محمود الحيلة(1999): **التصميم التعليمي نظرية وممارسة** ، ط1عمان ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ،) ص64
- الخولي، امين انور والشافعي جمال الدين (2000)؛ **مناهج التدريب البدنية المعاصرة** ، ط1 القاهرة ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر .